موجز

تأريخ المسيح

يتناول بالتحقيق التاريخي العلمي
قصص زكريا ويحيى ومريم وعيسى
عليهم السلام

عباس الربيعي

موجز تأريخ المسيح



الإهداء

إلى

داعي التوبة

وابن المعجزة

ومحيي الموتى



بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأول

الشيبة الصالحة

زكريا عليه السلام
(ذكر الله)

يفرَق النصارى بين أثنين من أنبياء العهد القديم[1] : أولهما هو زكريا بن برخيا بن عدو النبي والذي يوجد باسمه سفر من أسفار العهد القديم[2]. والثاني هو زكريا أبو يحيى عليه السلام، أقول يفرَقون بينهما فالأول (زكريا) والثاني (زكاري أو زخاري).

والقرآن ذكر المتأخر منهما وسمّاه زكريا عليه السلام. وإذا ما عربت ذلك الاسم العبري (زكريا) فانه يعني (الله ذكر) أو (ذكر الله). وكما نعتقد فانه ما من معنى لاسم أو واقعة أو كم أو كيف إلا وتتضمنه الآي القرآنية بدرجة من درجات الوضوح أو الخفاء؛ فتبتدأ قصة زكريا القرآنية بذكر أسمه على سبيل الإشارة ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾.

عصره

كانت أرض فلسطين ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد تعيش في دوامة اضطراب كبيرة فبعد أن ثارت العصبة المكابية على السلوقيين ومكثت حيناً من الدهر بين أخذ ورد وهزيمة وانتصار حسنت علاقاتهما زمناً ثم عادت لتسوء ثانية.

---

(1) العهد القديم هو القسم الأول من الكتاب المقدس الذي يبجله اليهود والنصارى. والعهد القديم هو القسم الحاوي على كتب موسى الخمسة وكتابات الأنبياء والملاحق الأخرى السابقة لعهد المسيح.

(2) توهم بعض الباحثين إن زكريا الأول هو زكريا بن عدو (تبعا لما ورد في سفر عزرا) وأن الثاني هو زكريا بن برخيا. إلا أن الحق وفق سفر زكريا نفسه إن الأول هو زكريا بن برخيا بن عدو، والثاني لم يرد ذكره في العهد القديم.

وجاء عصر (جان هركانوس) اليهودي ثم ابنه جانيوس (١٠٣-٧٦ ق.م) الذي قتل في أحد المرات ثمانمائة من الفريسيين المعارضين له أمام زوجاتهم وأطفالهم. ثم تلته في الحكم في زوجته (سالوم اسكندرة) (٧٦-٦٩ ق.م) والتي نال الفريسيون في عهدها نفوذاً ممتازاً.

وبعد صراع دار بين الأخوين (ارستوبولس وهركانوس) الابن دبَره في الخفاء الادومي المتهوِّد (انتيباتر) مالت فيه جيوش روما إلى الأخيرين نفي (ارستوبولس) وعائلته سنة (٦١ق.م)، وحكي عن مذبحة كلَفت اليهود (١٢٠٠٠) قتيل كان بطلها (بومبي) الروماني، لينتهي هذا الصراع بتسلَط (هركانوس) على الكهانة و(انتيباتر) على الإدارة ويقود فيما بعد سلالته لملك اليهود قرناً من الزمان.

في تلك الأثناء كان هناك رجلاً عاصر تلك الأحداث ورأى إن كل الطوائف الكبيرة من متديني اليهود قد تركت الله ولجأت إلى قيصر مرة والى الحارث أخرى وإلى حيلها السياسية مرة ثالثة، وبلغ الرجل زكريا عليه السلام من العمر ما جعله يستشعر بانتهاء قدرته على إنجاب الولد وهو ما ينتهي عادة في أحسن الظروف فوق الستين.[1]

ولم يجد في أتباعه من يرى فيه الأمل بإكمال رسالته وصون تراث أسلافه الأنبياء. فهو وعمران قد بلغا سناً لا تسمح لهما أن يربيا من جديد مؤهلا لحمل الوديعة والأسرار!.

---

(١) لذا فان سن ما فوق السبعين هي السن المحتملة لواقعة الدعاء الشهيرة.



نبي أم كاهن..؟!

قدم الطبيب (لوقا) ـ ووحده فعل ـ قصة البشارة لزكريا، ونعرف من تدقيق النص أنه لم يكن في نظر (لوقا) سوى كاهن من كهنة فرقة اسماها (أبيا).

فما هي تلك الفرقة؟

لم تكن فرقة بالحقيقة، إنما كان الكهنة من آل هارون قد صنفوا حسب عشائرهم وسموا فرقا، وفرقة (أبيا) هم المتحدرون من نسل (أبيا) من أحفاد هارون النبي. ولهم النوبة الثامنة من نوبات الخدمة في الهيكل!.[1]

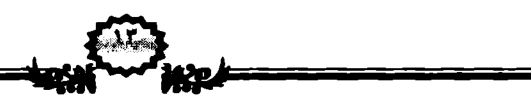
وزعم أبو هريرة إن زكريا عليه السلام كان نجّارا. فيما يكشف ذلك عن رغبة لتحويل آل عمران وأقاربهم برمتهم إلى عائلة ذات مهنة واحدة؛ فيوسف والمسيح وزكريا عليه السلام كانوا وفق هذا كلهم نجّارون. في حين إن ممارسة الكهانة مانع من ممارسة مهنة أخرى طبقا لشريعة موسى، ولم تثبت صلة المسيح بيوسف النجّار. ولم يتأكد كون المسيح مارس النجارة من مصادرنا ولا من الأناجيل إلا في فقرة واحدة عن مر قس توحي للمرء إن هناك سقطاً في النسخ قد حصل.

نفحات الرحمة

أن الحدس واستشفاف التاريخ يؤكدان إن رفقة حميمة قامت بين عمران وزكريا عليه السلام، بل إن من المشكلات المهمة في تاريخ الأسرتين معرفة الرابطة الاجتماعية والنسبية بينهما، وهذا ما سيأتي لاحقا إن شاء الله.

---

(١) أخبار الأيام الأول ٧:٢٤-٢٠.



لقد تكفّل زكريا النبي بمريم بنت عمران بعد أن توفي والدها (أو والديها) وقد فاز بكفالتها بعد قرعة جرت بينه وبين الأحبار والكهنة ستقرأ عنها في تاريخ مريم.

ودخلت مريم في خدمة الهيكل وبقيت تحت إشرافه بضع سنين وإذ ذاك رأى زكريا عليه السلام مرة - أو مرات - إن مريم ترزق بغير حساب من قوانين الطبيعة أو من قوانين الأسباب ويأتيها رزقاً في غير الحال المتوقع فيه رزقاً من صنفه. فطمحت روح زكريا عليه السلام إلى الرحمة الواسعة فتمنى على الله أن يرزقه ولياً.



الشيبة الصالحة

في (كتاب يحيى) المندائي أن أسم والد يحيى هو زكريا عليه السلام وكنيته (أبا ـ سابا) ويقولون إنها بمعنى الأب الشيخ، لكنها في الحقيقة (حرفياً) تعني (أبا الشيبة) أو (ذي الشيبة). مما يذكّرنا بالآية القرآنية ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾.

والمتوقع لشيخ ناهز السبعين أو أكثر[1] أن لا يطمح في ما يطمحه الرجل القادر جنسياً، من إنجاب الأولاد فكان يقول ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾. لكنه كان يرجو أن يرزق ـ خارجا عن أسباب الطبيعة ـ من هو أهل لتربيته وإعداده للولاية الشرائعية لان الولاية التكوينية لا تُصنع بل تُعطى، أو إن أمل زكريا عليه السلام كان أكبر من ذلك، فقد ثنى طلبه في النية فيكون أنه أراد وريثاً ووليا في ذات الوقت.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۞ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ والنداء الخفي اقرب إلى وجدان المرء من الجلي المتعرض للتلبّس بالرياء. وفي النداء الخفي فيه من الثقة باسمه السميع دلالة.

كما إن النداء الجلي في طلب ما طلبه زكريا عليه السلام مدعاة لسماع الغير. وسخرية السامع في مثل هذه الحال محتملة.

---

(1) يقول كتاب كنزا ربا إن زكريا بلغ المائة عام. وقال ابن عباس: كان يومئذ ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة. ولا نعلم أي المصادر اعتمدها ابن عباس لمثل هذه التقديرات.

لكن المناداة والنداء مما يتوافق مع الجهر بخلاف المناجاة المتوافقة مع الخفاء والسر، فكيف نجمع انه(نادى) و(خفية)..؟، والأمر يفسره؛ قوله تعالى﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ مما يدل على خلوته عنهم وخفيته عن أعينهم حال الدعاء. فانه وان كان قد نادى جهراً فما نادى به إنما كان خفية عن غيره.

والقصة الإنجيلية موافقة لما في القرآن.

* * *

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾.

وفي تلك الكلمة من الأدب الراقي ما فيها؛ فقد أشار زكريا عليه السلام إلى عجزه الجسدي عن المقاربة بهذه الإشارة اللطيفة، فالوهن مقارب لمعنى الضعف. والعظام بمثابة الهيكل للبناء فان تداعى تداعت سائر أركانه. وعبر بقوله (العظم) لإفادة جنس العظام، و﴿وَهْنُ العِظام﴾ إما نتيجة أو سبب لذلك العجز، ثم إن ﴿وَهْنُ العِظام﴾ هو آخر ما يحصل للجسد بعد أن يهن الجلد والعصب. ثم قال ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [1] إما مما يرى من ضياع الدين أو فقدان الأمل بوجود الولي الرشيد أو ازدوج من هذا ومن غيره، كشدة الشوق إلى الولد، أو انه أراد

---

(1) قال ابن دريد من الرجز:

أما ترى رأسي حاكى لونه ... طرة صبح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيض في مسوده ... مثل اشتعال النار في جمر الغضى



أن يؤكد تصويره لعجزه وكبر سنه وفيه تأمل. أو يكون الأمر جامعاً من ذلك كله.

والعظم هو في باطن الجسد كما إن الشعر هو اظهر ظاهره؛ فأراد عليه السلام: إن عجز الجسد قد أضحى شاملا من الباطن وحتى اظهر الظاهر.

والشيب علامة على الضعف قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾[1]

وهذا المقطع (وَاشْتَعَلَ) (الرَّأْسُ) (شَيْبا) لم ترد ألفاظه الثلاثة في القرآن إلا في هذه المرة الوحيدة.

* * *

لقد قدم زكريا عليه السلام شكواه بين يدي الله ثم أعلن: أنه ما لم يكن يطمع برحمته تعالى لم يشكو، ولم يكن دعاؤه يوماً ما مظنة للشقاء (باليأس من رحمته) فهنا سمى زكريا عليه السلام اليأس من الرحمة شقاء. كما كان إبراهيم عليه السلام قد سماه.[2] ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ فبعد أن بين عدم قدرته على دفع ما يحذره لعدم إمكانه الطبيعي على ترك الوريث؛ بين ما يحذره ويخافه ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾. فقد لجأ زكريا عليه السلام إلى الشكوى أولا: ببيان المانع من الإنجاب من قبله، وبين مقدار سعة رحمة الله، ثم عرض خوفه من النتائج المترتبة

---

(١) الروم ٤٥.

(٢) مريم ٤٨.



عن ضياع الوارث المستحق، ثم بين مانع آخر من وجود الوريث؛ فانه إن رفع عجزه، بقي المانع الآخر ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً﴾.

وهنا يلاحظ التناوب بين عباراته؛ فقد مازج بين المانع الأول ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ... ﴾ ثم سر الحاجة إلى الطلب ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ... ﴾ ثم المانع الثاني ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي.. ﴾ ثم الطلب ﴿ فهبْ لي.. ﴾ثم عاد ليكمل سر حاجته إلى ذلك ﴿يرثني و.. ﴾ثم شرطه لكمال الطلب ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾. والموالي بحسب الروايات عصبته وبالدقة عمومته وأولادهم[1] وهو مروي عن أبي جعفر عليه السلام ونقل أنهم كانوا أشرارا.

والشقي مقابل السعيد والاشقى في مقابل (من يخشى)، والشقاء مرافق للضلال والتجبر، والدعاء وإتباع الهدى مظنة لدفع الشقاء.

فمم خاف زكريا عليه السلام ..؟

أستظهر انه خوف من أن يخلفوه لقوله ﴿.. منْ ورائي﴾.

(1) قيل هم الكلالة، عن أبن عباس، وقيل، العصبة، عن مجاهد اخرج البحراني في تفسيره عن كتاب محمد بن العباس بإسناده عن محمد بن همام، عن محمد بن سهل بن محمد، عن محمد بن إسماعيل لعلوي، عن سدير الصيرفي قال: حدثني أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: كنت عند أبي يوما قاعدا حتى أتى رجل وقف به، وقال : في القوم باقر العلوم ورئيسه محمد بن علي؟ قيل له: نعم، فجلس طويلا، ثم قام إليه فقال: يا أبن رسول الله اخبرني عن قول الله عز وجل في قصة زكريا ()وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا) الآية: نعم، قال: الموالى بنو العم واحب الله أن يهب له وليا من صلبه إلى أن قال: فأني مخرج من صلبك ولدا يرثك ويرث من آل يعقوب وهب الله له يحيى عليه السلام.



والخلافة إما ظاهرية أو باطنية؛ والظاهرية إما ملك أو رياسة دينية كالكهانة وغيرها، والباطنية إما نبوة أو ولاية.

فإن قيل انه خوف من أن يخلفوه خلافة باطنية فلا معنى لخوفه بتاتا (فالأمر لله)، وأما خلافة الظاهر فلم يكن زكريا عليه السلام من أهل الملك أو الكهانة - على نفينا كهنوتيته-، فخوفه من باب السالبة بانتفاء الموضوع.

لكن الأمر إن إنسانا نبيا خشي كما هي الفطرة- أن لا يبقى من ذكره إلا ما كان من عمومته وذراريهم بأفعالهم غير المرضية. ولما رأى ما ترك عمران من نبتة طيبة طاهرة، وريثة لأبيها، صالحة عابدة حن وطلب ولدا يكون فيه بقاء اسمه وشرطه الطيبة والرضا.

وما قيل انه طلب مطلق الولي ولدا من صلبه أو أجنبيا يتبناه أو تلميذا يعلمه مدفوع بقوله﴿ هَبْ لِي.....ذُرِّيَّةً﴾ .

أما قوله ﴿مِنْ لَدُنْكَ.. ﴾فان زكريا عليه السلام كان وفق قانون الأسباب لا يتصور قدرته على الإنجاب وفق حاله كما هي، بل لابد من تدخل الهبة اللدنية لحصول المراد وترك التحقيق على رب العباد.

وبالقراءة المروية عن الأئمة وكثير من التابعين[1]﴿وإِنِّي خَفَتْ الْمَوَالِيَ ﴾- من الخفة أي القلة - ينتفي هذا الخوف وتعليله معا. والخوف منفى عن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا

---

(1) علي عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقرأ «وإني خفت الموالي» يعني أنه لم يكن له وارث حتى وهب له بعد الكبر.

وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[1]﴿الذين ينفقون أموالهم ﴾[2] وزكريا عليه السلام لا شك من المصاديق المتيقنة لمثل هؤلاء.

وفي دعائه بصورتيه في سورتي آل عمران ومريم أبعاد يكشف بعضها بعضاً:

﴿قال ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾.[3] ﴿فهب لي من لدنك ولياً* يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضياً﴾[4] فالذرية المطلوبة هي ولياً وارثاً وطيبتها كونه رضيا. وصفة الوراثة قرينة على كونه من صلبه لا سببا للطلب كما قد يتوهم من إن الدعاء كان لإيجاد الوريث فما الذي يمكن أن يرثه نسل الأنبياء من آبائهم من حطام الدنيا؟!.[5]

---

(1) البقرة ٢٧٧.

(2) البقرة ٢٧٤.

(3) آل عمران ٣٨.

(4) مريم ٥- ٦ .

(5) كهيعص: جاءت رواية لتفسير لغز هذه الحروف التي سبقت قصة زكريا ويحيى فقد روى سعد بن عبد الله أنه سأل القائم عليه السلام عن تأويل (كهيعص) فقال عليه السلام.. (... أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرائيل عليه السلام فعلمه إياها فكان زكريا عليه السلام إذا ذكر محمدا صلى الله عليه وآله وعليا وفاطمة والحسن عليهم السلام سري عنه همه وأنجلى كربه، وإذا ذكر أسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، فقال عليه السلام ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسليت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصته فقال (كهيعص) فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلال العترة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين عطشه، والصاد صبره. فلما سمع ذلك زكريا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيهن الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه:

إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده؟

إلهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه؟

إلهي أتلبس عليا وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟



والتركيب المألوف ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ يجعل التأمل في مقابلة الرحمة للذرية الطيبة لطيف.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾.﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[1] وفي قوله ﴿ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ احتمالان: الأول: أن يكون يعقوب ما قيل أنه حموه (يعقوب بن ماثان أخا عمران). والثاني: أنه يعقوب جده الأعلى (أبن إسحاق) والإشكال يرد على الأول إن يعقوب كان عما لزوجه - على فرض- فمن البعيد أن يطلب المرء أن يكون له ولد يرثه ويرث أمه من ارث عمها دون أبيها .

ثم أنه لا فضل ليعقوب -إن وجد مثل هذا الشخص- على عمران إن كان المقصود بالإرث هو الإرث المعنوي والذي استبعدناه. بل المتعين إن يعقوب النبي. فطلب زكريا عليه السلام هو أن يمد نسله المتد من يعقوب بوجود الوارث والوريث.

* * *

إلهي أتحل كربة هذه المصيبة بساحتهما؟

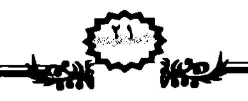
ثم كان يقول:

إلهي ارزقني ولدا تقر به عيني على الكبر فإذا رزقتينه فافتني بحبه، ثم افجعني به كما تفجع محمدا حبيبك بولده.

فرزقه الله يحيى وفجعه به،..)الخبر.

(1) قيل : هو يعقوب بن ماثان، و أخوه عمران بن ماثان أبو مريم، عن الكلبي ومقاتل، وقيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

قال البيضاوي: قيل: يعقوب كان أخا زكريا، أو عمران بن ماثان من نسل سليمان.



﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾.[1]

والهبة هي العطية بلا منة أو مقابل. وبشرت الملائكة زكريا عليه السلام باستجابة دعائه فكان من المستجاب إليهم الأربعة وهم نوح ويونس وأيوب عليهم السلام .

والمشتاق لشيء يطلبه من قادر لا يلتفت بدءاً للكيفيات لكنه ما أن يوعد بتحقيق طلبه ويسعد به يكون من مكملات سعادته البحث عن تفاصيل تنفيذ الوعد. فهو قد طلب الغلام في حال الشيخوخة وهنا بدأ أمله يكبر ثم يتحقق بالوعد فاشتد شوقه إلى تفصيل التحقيق، هل سيعود وأهله شابين؟ أو انه سيرزق -بعد عودة القوة- الغلام من امرأة أخرى؟ أم ماذا؟ فسأل مستأنساً ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً﴾.

وقوله ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً ﴾ دال على إن عقرها كان من بواكير الشباب. ولم يذكر غير زكريا عليه السلام لفظ (امرأتي) وفي المرات الثلاثة التي ذكرت فيها كانت توصف بأنها عاقر.

---

(1) روى الحكم بن عتيبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمس سنين.

وعن ماجيلويه، عن علي، عن أبيه، عن الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال: يا أبن شبيب أصائم أنت؟ فقلت: لا ، إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا عليه السلام ربه فقال (ربِّ هبْ لي منْ لدنْك ذرِّيَة طيِّبة إنك سميعُ الدُّعاء) فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا (وهو قائمٌ يصلِّي في المحراب ❖ أنَّ الله يبشِّرك بيحيى) فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام.



وكيف الآن وقد أضحت عجوزاً أو كادت. وقد جف جسده من الكبر ويبس فأضحى (عتيا) لا يطاوعه على شيء. فخاطبه الملك بما أمر الله **﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾** وبعض هذا النص هو عين ما قرء على مريم يوم تساءلت كما تسآءل زكريا عليه السلام.

وفي الآية الأخرى **﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾**.

وقد قيل إن زكريا عليه السلام شك في مصدر الخطاب أو شك بالوعد أو إن الشيطان وسوس إليه وشككه بمصدر الوعد فقال له: لو كان من الله لخاطبك خفية كما خاطبته خفية فعوقب بالخرس. لكن هذا كله غير ملتفت فيه إلا أن طلب الآية كان من زكريا عليه السلام ابتداء دون أن يكون عقوبة

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ والآية المطلوبة إما لإثبات صدق الوعد وهو قبيح على من هو أقل من زكريا عليه السلام فكيف به؟. أو أن تكون لبيان قرب حصوله أو للاطمئنان كما هو حال إبراهيم، وقد ورد في الدعاء **﴿وأرني آية اعرف بها انك قد تقبلت مني﴾** بل إن من الشعائر القديمة في الأديان هي تقديم القربان؛ ليعلم المرء هل تُقبل عمله أم لا؟.[1]

---

(1) عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن زكريا لما دعا ربه أن يهب له فنادته الملائكة بما نادته به فأحب أن يعلم أن ذلك الصوت من الله أوحي إليه أن آية ذلك أن يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيام، قال: لما أمسك لسانه ولم يتكلم علم أنه لأيقدر على ذلك إلا الله، وذلك قول الله (ربِّ اجْعَلْ لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا).



فكانت الآية أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام وثلاث ليال إلا رمزاً بلا علة، بل صار في حال من أحوال أهل الله تلبسه فمنعه من أن يتكلم بكلام الناس وينشغل بكلام الأولياء تسبيحاً وتهليلاً بكرة وعشياً.

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ❖ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ [1] أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾.

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا[2] وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

والآيتان تصوران التفاصيل بالتبادل، فالآية الأولى تحدد الحال بثلاث ليال والثانية بثلاثة أيام فيكون إن الآية استمرت ثلاثة أيام بلياليها، والأولى تصور إن الآية غير ناتجة عن علة في البدن أو غيره، والثانية تعلمه بإمكان الترميز للآخرين فيما يريد أن يخاطبهم به دون أن يتكلم، والأولى تبين أمره لأتباعه بالتسبيح، والثانية تبين انه المأمور أولا بذلك.

والأمر بالصمت قد يصرف الذهن إلا انه أمر بالصوم، كما أمرت مريم شكراً لله على عطيته صوماً وصمتاً، ولم يرد في كتبهم إن الصمت مرافق الصوم، إلا أن ذلك لا ينفي الأمر لكون حال كتبهم معروفاً بالزيادة والنقيصة. لكن الآيات

---

(1) تفسير النعماني بإسناده عن الصادق (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) حين سألوه عن معنى الوحي فقال: منه وحي النبوة، ومنه وحي الإلهام، ومنه وحي الإشارة، ...إلى أن قال: وأما وحي الإشارة فقوله عز وجل (فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) أشار إليهم، لقوله تعالى (ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا).

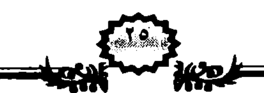
(2) ولفظ (الرمز) لم يذكر في القرآن إلا في هذه المرة الوحيدة.



تقول انه آية وليس بأمر تكليفي فهو حال أو أمر تكويني . وصوم الثلاثة أيام معروف في الإسلام فهو بدل الهدي .

أما لوقا الذي ذكر القصة فيسردها كما يأتي:

(كان في أيام هيرودس ملك اليهودي كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون واسمها اليصابات. وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم. ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليصابات عاقراً وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر. وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجاً وقت البخور. فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه الخوف. فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لان طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحناً. ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته. لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب. ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً. فقال زكريا للملاك كيف اعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها. فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وهاأنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم



إلى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي ا لذي سيتم في وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا انه قد رأى رؤيا في الهيكل. فكان يومئ إليهم وبقي صامتاً ولما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته. وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته واخفت نفسها خمسة اشهر قائلة هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر ألي لينزع عاري بين الناس).[1]

وفي هذا النص يقدم يحيى عليه السلام باعتباره ممهداً للمسيح بتأسيسه لشعيرة غسل التوبة لكي يهيئ (شعباً مستعداً).

ويبدو إن منشأ ما سار عليه بعض المفسرين من إن (عدم تكليم الناس) كان عقوبة لزكريا عليه السلام هو لوقا الذي كان إنجيله الأكثر تداولاً في القرون الهجرية الأولى.

والمنتزع أيضاً من النص إن جبريل هو المبشر له وهذه هي المرة الثالثة التي يرد فيها ذكر جبريل في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد من اصل أربع مرات فقط ورد فيها اسمه في ذلك الكتاب. وقد عرف إن الملاك ميكائيل هو من كان يتولى السفارة مع الأنبياء حتى عصر دانيال والذي خاطبه جبريل أول مرة؛ لذا وجد الكثير من اليهود حراجة في تقَبل أنبياء السبي ومن بعدهم.

كما إن من الواضح من النص المتقدم إن العقم كان في تلك الأزمنة كما هو حاله اليوم يعد عند النساء مصدر عار ونقص.

---

(1) لوقا ١: ٥-٢٥.



اليصابات

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.[1]

وفق جميع المصادر فان يحيى عليه السلام هو ابن لزكريا عليه السلام من زوجته العقيم إلا انه لا دليل مباشر على بلوغها سنا متقدمة بخلاف زكريا عليه السلام والعرب يسمونها (ايشاع) أو (اليشبع) وهو اقرب إلى ذوق اللفظ العبري. وهو تعريب لاسمها في الأناجيل العربية (اليصابات) أو (اليزابيث) وفي السريانية فهي (اليشباع). وتسميها المصادر المندائية (انشبي)[2] أو (نشباي)[3] ويرد معنى اسمها أو لقباً لها في بعض النصوص وهو (أم كلثوم) لكن النص غير معتمد.[4]

وقوله تعالى ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ ينبئ إن الإصلاح يمكن أن يتم وفق كرامة الولي عند الله فيصلح له أهله وعياله وشعبه وفق المصلحة. وهنا فأن توسط امرأة زكريا بينه وبين يحيى عليه السلام كان مدعاة للإصلاح لدرء النقص المانع من رعاية النبي

---

(1) مريم ٣٨-٤١.

(2) كتاب يحيى (درا شاد يهيا) (المخطوط).

(3) حران كويتا (المخطوط).

(4) سهل بن أحمد الدينوري معنعناً عن أبي عبد الله عليه السلام وساق الحديث في أحوال القيامة إلى أن قال: ثم ينادي المنادي وهو جبرائيل عليه السلام: أين فاطمة بنت محمد؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين مريم بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين أم كلثوم أم يحيى بن زكريا؟ فيقمن. الحديث.



الجديد وتحمل ما يطرأ لاحقاً من الابتلاءات، ولا يقتصر الإصلاح على الجانب المادي[1] بل هو للإصلاح المعنوي اقرب وأجدى.

واليصابات وفق الكثير من الروايات هي أخت مريم الكبرى، ويحيى عليه السلام هو ابن خالته، فتكون اليصابات بنت عمران وقول لوقا إنها من بنات هارون يجعلها (لاوية) بخلاف ما قال غيره إنها من نسل داود وسليمان فتكون من سبط يهوذا.

لكن تثار هنا معضلة تحطم الكثير من وثاقة الأناجيل: فقد قال يوحنا الإنجيلي: إن أخت مريم هي زوجة كلوبا، وقال إنها أم يوحنا ويكون يوحنا هو ابن خالة المسيح!

فإما أن تكون هذه الرابطة زائفة تماماً، أو إن الأمر اختلط على أصحاب الأناجيل فاعتبروا ابن خالة المسيح هو أحد تلاميذه وبقي بعده متكفلاً بمريم حسب وصية المسيح نفسه، والغريب إن هناك بعض الروايات الإسلامية تدعم هذا الفهم. فهل كان زكريا عليه السلام هو (كلوبا) الإنجيلي وأخت مريم هي اليصابات وابنها يوحنا (التلميذ المحبوب) هو يوحنا المعمدان (يحيى ابن الخالة).

المشهور في الأناجيل إن يوحنا هو أخ ليعقوب وكانا يشكلان مع بطرس ثلاثيا يحظى بمكانة متميزة عند المسيح.

---

(1) رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) ... كانت هدايا بني إسرائيل ونذورهم الأحبار، وكان زكريا رئيس الأحبار، وكانت امرأة زكريا أخت مريم بن عمران بن ماثان ويعقوب بن ماثان وبنو ماثان ذاك رؤساء بني إسرائيل وبنو ملوكهم وهم من ولد سليمان بن داود عليه السلام.

فهل ولد لزكريا عليه السلام بعد يحيى عليه السلام ولد آخر هو يعقوب؟ وانه ـ أي زكريا- تارة يدعى (كلوبا) وأخرى (زبدي)؟.

أم إن الأمر برمته خلط تاريخي فج نتج عن تشوش مصادر كتاب الأناجيل؟.

لكن المشكلة إن الأناجيل التي قلما اتفقت، تجمع على إن من تلامذة المسيح شخصاً يدعى (يوحنا) وله أخ يدعى (يعقوب) وهما أولاد زبدي كانا من أنصار المسيح وحوارييه، مما يجعله تفسيراً محتملاً لسر التشويش الحاصل لكاتب إنجيل يوحنا الذي كان يبدو بشخصيتين أولهما يوحنا المعمدان في بدء الإنجيل (إنجيل يوحنا)، والثانية بصورة التلميذ المحبوب في نهاياته. إلا إن اقتراحاً نقدمه هنا قد يساهم في تفسير القضية وهو: أن تقرأ الفقرة التالية في إنجيل يوحنا هكذا:

(وأمه وأخت أمه؛ مريم زوجة كلوبا) فتكون كلمة (زوجة كلوبا) نعتا لامه لا لخالته. فيكون زوج مريم البتول هو (كلوبا)!.

وفي سفر الأعمال يظهر يوحنا بن مريم بلقب آخر هو (مرقس)، وربما يعود هذا التشويش إلى تعدد أسماء الفرد الواحد فما بين أسم عبري وآخر روماني ولقب إضافي في بعض الأحيان كما ستعرف لاحقاً، وكذلك لانتشار أسماء معينة كمريم و يوحنا ويشوع ويهوذا ويعقوب في أوساط بني إسرائيل وبكثرة.

وقد وصفت بعض الروايات قلق زكريا عليه السلام من حبل مريم ووصفت امرأته بأنها أخت مريم الكبرى .

(وكان أول تصديق يحيى بعيسى أن زكريا كان لا يصعد إلى مريم في تلك الصومعة غيره يصعد إليها بسلم، فإذا نزل أقفل عليها ثم فتح لها من فوق الباب

كوة صغيرة يدخل عليها منها الريح، فلما وجد مريم وقد حبلت ساءه ذلك وقال في نفسه ما كان يصعد إلى هذه أحد غيري وقد حبلت، والآن أفتضح في بني إسرائيل لا يشكون أني أحبلتها، فجاء إلى امرأته فقال لها ذلك، فقالت: يا زكريا لا تخف فإن الله لن يصنع بك إلا خيراً، وايتني بمريم أنظر إليها واسألها عن حالها، فجاء بها زكريا عليه السلام إلى امرأته، فكفى الله مريم مؤونة الجواب عن السؤال، فلما دخلت إلى أختها وهي الكبرى، ومريم الصغرى لم تقم إليها امرأة زكريا، فأذن الله ليحيى وهو في بطن أمه فنخس في بطنها وأزعجها ونادى أمه: تدخل إليك سيدة نساء العالمين مشتملة على سيد رجال العالمين فلا تقومين إليها؟! فانزعجت وقامت إليها، وسجد يحيى وهو في بطن أمه لعيسى بن مريم، فذلك أول تصديقه، فكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام: (إنهما سيدا شباب أهل الجنة إلا ما كان من ابني الخالة يحيى وعيسى).[1]

وقد قال المجلسي: اعلم أن المؤرخين اختلفوا في أن إيشاع أم يحيى عليه السلام هل كانت أخت مريم أو خالته، والخبر يدل على الأول.

---

(1) بحار الأنوار ج١٤:ص١٨٧. رواية ١٣، نقلا عن تفسير علي ابن إبراهيم.



نبوة زكريا عليه السلام

إن دور بعض الأنبياء عليهم السلام جميعاً مقتصر على استمرار الحجة والتمهيد دون التبليغ والتجديد، ودور زكريا عليه السلام لم يتضح في مجال التبليغ في أي مصدر من المصادر الثلاثة لحياته، اعني المصادر الإسلامية والإنجيلية أو المندائية؛ لذا سيكون المتوقع من دوره في حياة الولاية هو إقامة الحجة والتمهيد لظهور يحيى عليه السلام والمسيح دون مهمات الأنبياء الأخرى في التأسيس لكن هذا غير مانع من قيامه بمهمات الإرشاد والوعظ والتصحيح.

نهاية زكريا عليه السلام

قدم وهب قصة عن نهاية زكريا[1] عليه السلام ادعى فيها إنه قتل نتيجة لإشاعة أطلقها بعض اليهود تتعلق بمريم. والقصة غاية في السخف. فوهب الصنعاني في ذيل قصته يقدم أحكاما حول غسل الأنبياء والصلاة عليهم بعد موتهم ما انزل

---

(1) بالإسناد إلى وهب قال: انطلق إبليس يستقري مجالس بني إسرائيل أجمع ما يكونون، ويقول في مريم ويقذفها بزكريا عليه السلام حتى التحم الشر وشاعت الفاحشة على زكريا عليه السلام، فلما رأى زكريا عليه السلام ذلك هرب واتبعه سفهاؤهم وشرارهم وسلك في واد كثير النبت حتى إذا توسطه انفرج له جذع شجرة فدخل عليه السلام فيه وانطبق عليه الشجرة، وأقبل إبليس يطلبه معهم حتى أنتهى إلى الشجرة التي دخل فيها زكريا عليه السلام فقاس لهم إبليس الشجرة من أسفلها إلى أعلاها حتى إذا وضع يده ع على موضع القلب من زكريا عليه السلام أمرهم فنشروا بمنشارهم وقطعوا الشجرة وقطعوه في وسطها، ثم تفرقوا وتركوه، وغاب عنهم إبليس حين فرغ مما أراد، فكان آخر العهد منهم به، ولم يصب زكريا عليه السلام من ألم المنشار شيء، ثم بعث الله عز وجل الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ثلاثة أيام من قبل أن يدفن، وكذلك الأنبياء عليهم السلام لا يتغيرون ولا يأكلهم التراب ويصلى عليهم ثلاثة أيام ثم يدفنون.



الله بها من سلطان ولا توجد في أي كتاب للفقه عند أي ملة أو دين. كما إن تصويره لمعجزة انفلاق الشجرة المعجز والفاشل معاً يبدو غير منطقي بتاتاً، فان كانت المعجزة بانفلاق الشجرة قد حدثت لحماية زكريا عليه السلام فإنها كانت معجزة فاشلة لم تحقق نتيجتها المرجوة. وإلا فما سر هذا الانفلاق ما لم يكن لحمايته من مناشير اليهود؟!.

وتبرع صاحب الكامل بسبب آخر هو إن مقتل زكريا عليه السلام نتج عن تداعيات مقتل ابنه[1] رغم انه أورد ما زعمه وهب كمحتمل آخر لسبب القتل.

ولعل الدعوى بقتل زكريا عليه السلام نتجت عن الخلط بينه وبين زكريا بن برخيا المذبوح بين الهيكل والمذبح وفقا لمتي وبرنابا معاً.[2]

إلا إن المسألة لم تتوقف عند هذا الحد فبعض المؤرخين والمفسرين جعلوا اللائذ بالشجرة هو (اشعيا) وليس زكريا عليه السلام ووردت رواية عن الصادق عليه السلام إن زكريا عليه السلام هو المذبوح في الشجرة والشجرة كانت معبودة لأعدائه. إلا إن

---

(1) قال صاحب الكامل: فنهى - أي يحيى - ملك زمانه عن تزويج بنت أخيه أو بنت زوجته فقتله، فلما سمع أبوه بقتله فر هاربا فدخل بستانا عند بيت المقدس فيه أشجار فأرسل الملك في طلبه، فمر زكريا عليه السلام بشجرة فنادته: هلم إلي يا نبي الله، فلما أتاها انشقت فدخل فيها فانطبقت عليه فبقي في وسطها، فأتى عدو الله إبليس فأخذ هدب ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه إذا اخبرهم، ثم لقي الطلب فقال لهم: ما تريدون؟ فقالوا: نلتمس زكريا: إنه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها، قالوا: لا نصدقك، فأراهم طرف ردائه، فأخذوا الفأس وقطعوا الشجرة وشقوها بالمنشار فمات زكريا عليه السلام فيها، فسلط الله عليهم أخبث أهل الأرض فانتقم به منهم، وقيل : إن السبب في قتله أن إبليس جاء إلى مجالس بني إسرائيل فقذف زكريا بمريم، وقال لهم ما أحبلها غيره، وهو الذي كان يدخل عليها، فطلبوه فهرب، إلى آخر ما مر.

(2) متي ٢٣: ٣٥ .



الرواية فيها خلل إسنادي واضح فالصدوق يروي عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير أو علي بن الحكم أو ابن محبوب عن هشام بن سالم ولا يروي مباشرة عنه بلا توسط أحد من هؤلاء أو من غيرهم أيضاً إلا في هذه الرواية فقط فهي مقطوعة من هذه الجهة[1]. وبذا تضحى قضية قتل زكريا عليه السلام قضية مشكوك فيها جداً.

---

(1) الصدوق: أبي، عن علي، عن أبيه، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن زكريا عليه السلام كان خائفا فهرب فالتجأ إلى شجرة فانفرجت له وقالت: يا زكريا ادخل في، فجاء حتى دخل فيها، فطلبوه فلم يجدوه، فأتاهم إبليس وكان رآه فدلهم عليه فقال لهم: هو في هذه الشجرة فاقطعوها، وقد كانوا يعبدون تلك الشجرة، فقالوا: لا نقطعها فلم يزل بهم حتى شقوها وشقوا زكريا عليه السلام.



القسم الثاني

السيد الحصور



يحيى بن زكريا عليه السلام
حنان الله

يسمى يحيى عليه السلام في المصادر الإنجيلية العربية بـ(يوحنا) أما المصادر الإنجليزية والألمانية فتسميه (John) و (Johanns) على التوالي ويسميه المندائية (يهيا) و(يوهانا) مصبانا[1] أما النصوص الآرامية فهي تسميه (يوحنان) وهو اقرب الأسماء للفظ اسمه بصيغته الأصلية والذي يعني (الله حنان)[2] أو (حنان هو الله) من المقطعين يهوه ـ حنان، والذي نستشعره في القرآن أيضا ﴿وحناناً من لدنّا﴾ أي انه (حنان إلهي).

وتستخدم المصادر المسيحية لقب (المعمدان) كصفة بارزة ليحيى عليه السلام والتي تعني (كثير العماد).

والعماد والتعميد هو (غسل التوبة) الذي مارسه على اليهود والذي أضحى شعيرة مميزة ومشتركة بين المسيحية والمندائية رغم اختلاف التفاصيل.

و(الصبّاغ) لقبه عند الصابئة المعاصرين والذي هو معادل للقب (المعمدان) فقد أشير إلى إن الاسم مشتق من الجذر (س ب غ) أي إجراء الماء بكثرة، كما

---

(1) تعني (يوحنا المعمدان).

(2) اختلف فيه لم سمي بيحيى فقيل: لان الله أحيا به عقر أمه، عن أبن عباس، وقيل: لان الله سبحانه أحياه بالإيمان عن قتادة، وقيل: لأنه سبحانه أحيا قلبه بالنبوة، ولم يسم قلبه أحدا بيحيى، وقيل: إن معنى قوله (لم نجعل له من قبل سميا) لم تلد العواقر مثله ولدا، وهو كقوله (هل تعلمُ له سميا) أي مثلا، عن أبن عباس ومجاهد.



عرف في الإسلام اصطلاح (إسباغ الوضوء). ومن هذه الفكرة انطلق البعض ليصل إلى إن (ص ب أ) قد تكون مشتقة من (ص ب غ) أي تعمد أي أجرى الماء بكثرة ليغتسل فهم (المغتسلة) الذين تحدثت عنهم المصادر القديمة.

(وأما اليصابات فتم زمانها لتلد فولدت ابناً. وسمع جيرانها وأقرباؤها إن الرب عظَم رحمته لها ففرحوا معها. وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي وسموه باسم أبيه زكريا. فأجابت أمه وقالت لا بل يسمى يوحنا. فقالوا لها ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم. ثم اومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يُسمى. فطلب لوحاً وكتب قائلاً اسمه يوحنا. فتعجب الجميع. وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله).[1]

وقبل أن نكمل سرد القصة يجب التطرق إلى موضوع ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًا﴾ في قوله ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

فالدارج انه لم يُسم باسم (يوحنا) أحد قبله، وهو منشأ الظاهر البدوي من القرآن وصريح إنجيل لوقا.

فهل كان يحيى عليه السلام فردا في اسمه؟

والفكرة تُفصَل كالآتي: لم نجعل له سمياً في من قبله من بني إسرائيل أو في عشيرته. ولوقا يقول بالخيار الثاني (**ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم**).

---

(١) لوقا ١: ٥٧-٦٥ .



أما من يذهب إلى الخيار الأول فسفر الملوك الثاني يفسد مذهبه[1]. فقد ذكر إن هناك معاصراً لداود يسمى (يوحنا بن قاريح) وهو اسم يحيى بالضبط وفق اللغة الآرامية والتي كانت لغة اغلب سكان المنطقة، كما إن كثيراً من معاصريه كانوا يحملون الاسم نفسه.

إلا إن الخيار الثاني لتفرد يحيى عليه السلام هو فهم معنى (السمي) بأنه (المثل) قال تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[2] أي مثلا أو نظير أو شبيهاً بإجماع المفسرين.

فيكون المعنى (لم نجعل له شبيهاً أو نظيراً)؛ وسيرة يحيى عليه السلام كما ستعرف كانت مفردة، وبعض من خصائصه الأخرى أيضاً لم يكن لها شبيهاً في من قبله من الأنبياء. ويكمل لوقا قصته:

(فوقع خوف على كل جيرانهم. وتحدّث بهذه الأمور جميعها في كل جبال اليهودية. فأودعها جميع السامعين في قلوبهم قائلين أترى ماذا يكون هذا الصبي.

وكانت يد الرب معه.

وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً:

مبارك الرب آله إسرائيل

لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه.

وأقام لنا مخلصاً قديراً في بيت داود عبده.

---

(1) سفر الملوك الثاني: ٢٣: ٢٥.

(2) مريم ٦٥ .

كما وعد بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر.

خلاصاً من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا.

ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس؛ القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا إننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا.

نعبده بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا.

وأنت أيها الصبي نبي العلي تدعى

لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعدّ طرقه.

لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء.

ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام.

أما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل).

الولادة

تُقدم كتب المندائيين قصة ولادة يحيى عليه السلام كالآتي:

إن زكريا (أبا سابا) وانشبي (اليصابات) كانا عجوزين طاعنين في السن فقد بلغ أبوه الشيخ من العمر مائة عام. وانه في أحد الأيام رأى أحد كهنة اليهود رؤيا غريبة مفادها: انه رأى كوكباً هبط على (انشبي) ثم ارتفعت نار تتوهج في باب بيت زكريا، وحصل اضطراب في الأجرام السماوية، والأرض انحرفت عن مكانها، ونيزك قد انحدر نحو اليهود وآخر نحو أورشليم. وان انشبي قد حملت وان الحمل سيكون ذا شأن... وعندما قصت هذه الرؤيا على اليهود ذهبوا إلى أحد كهنتهم ليفسر لهم الحلم فقال: سوف تلد (أنشبي) ولداً يدعى نبياً في أورشليم وانه سيقوم بتعميد اليهود في الماء الجاري (يردنا) ويسقيهم ماء الـ(ممبوها)، فخاف اليهود وقرروا أن يتربصوا بانشبي ويقتلوا جنينها عند ولادته، وذهب من الكهنة جماعة إلى زكريا وقالوا له: ابتعد عن اليهود ولا توقع القدس في فتنة. فأجابهم: (لو إن ولداً قدَر من السماء فما بمقدوركم أن تفعلوا، الجنين جيء به من الفردوس وحملته انشبي).

وولد يحيى في (تمار) بالقدس ونقل إلى (الجبل الأبيض) جبل بروان.

وتحكي مخطوطة (حران كويثا) عن قيام القابلة (ليليث صوفتاي) بنقل يحيى إلى الجبل الأبيض وبقاءه بالقرب من (شجرة الرضع) فترة من الوقت. في حين يبدو إن تشابهاً غريبا سنلاقيه في أحدى الروايات التي تتحدث عن حالة مشابهة؛ فقد روى الصدوق، عن أبيه، عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر ﷺ قال: (لما ولد يحيى ﷺ رفع إلى السماء فغذي بأنهار الجنة حتى فطم، ثم نزل إلى أبيه وكان البيت يضيء بنوره). والرواية معتبرة!.

صفة يحيى ﷺ

وصف القرآن يحيى ﷺ بأوصاف لم يسبق أن وصف بها أحداً من الأنبياء قبله؛ فقد وصفه بأن ﴿سَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِين﴾. فان كان غيره قد وصف بأنه نبياً من الصالحين فان بقية الأوصاف جديدة على المسامع.

فقد قيل: إن معنى ﴿سَيِّداً﴾ سيداً في العلم والعبادة،[1] وقيل: في الحلم والتقوى وحسن الخلق،[2] وقيل: كريماً على ربه، وقيل: فقيهاً عالماً، وقيل: مطيعاً لربه، وقيل: مطاعاً، وقيل: سيداً للمؤمنين بالرئاسة عليهم،[3] والجميع يرجع إلى أصل واحد وهو التقدم على أقرانه.

وأما الصفة الأخرى في قوله (وحصوراً) فقد قيل إن معناها (الذي لا يأتي النساء) عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهو مروي عن أبي جعفر ﷺ،[4] ومعناه أنه يحصر نفسه عن الشهوات أي يمنعها، وقيل: الحصور إنه لا يدخل في اللعب والأباطيل، عن المبرد. وقيل : العنين!

---

(1) عن قتادة.

(2) عن الضحاك.

(3) عن الجبائي.

(4) عن إسماعيل الجعفي، عن أبي جعفر ﷺ (وسيدا وحصورا) الحصور الذي لا يأتي النساء.

فأما ما وري عن العنه: فالعنه نقص لا يمدح به أحد، والسياق سياق مدح. وأما انه لا يأتي النساء أصلاً، ففيه تلك الروايات التي تخالف الحكمة من خلق الدافع الجنسي أولاً، وثانيا: إن مدحه دون غيره بهذا الداعي نقص في غيره، وهذا مما يصعب تقَبّله على حضرات الأنبياء عليهم السلام، وأما إن كان معنى الحصور هو حصر النفس عن الشهوات فهو مشترك مع غيره من الأنبياء فيها فلا موجب لإفراده عنهم هنا، نعم قد يراد خصوص الشهوات المباحات من الطعام والشراب ومقاربة الأهل في سائر الأوقات، ويقوّيه ما ورد إن معنى الحصور هو الذي لا يبالي إلا يأتي النساء لا أصلاً.

لكن للحصور معانٍ أُخر هي:

المتعفف؛ قال الشريف الرضي ـ من بحر الطويل:

إذا لم أنل بالمال حاجة معسر ... حصور عن الشكوى فمالي مال

وكذلك تعني الممتنع مطلقا، قال الشاعر ـ من بحر المديد:

وحصور عن الخنا يأمر النا ... س بفعل الحراب والتشمير

وقال آخر:

لم يلقها يوماً حَصور زاهد ... إلا وردّته إلى الشهواتِ

فيكون معنى الحصور المتعفف عن زوائد المباحات والممتنع عن ملابسات الدنيا، ولقد كانت عزلته عن الناس خير تصوير لذلك الامتناع.



وقد روت المصادر المندائية انه تزوج من امرأة تدعى (انهر) أنجبت له ولدا يسمونه (نباط)[1] لا نعرف عنه شيئا سوى إشارة غامضة لتوليه رئاسة دينية بعد والده.

(1) كنزا ربا ج ١٦، ص:٣٨٣.



طفولة يحيى عليه السلام

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾.

مذ كان صبياً في القدس كان قد حدس الكثيرون له بما سيؤول إليه حاله، والمعلومات المتوفرة عن تفاصيل حياته قليلة؛ لاعتزاله الناس في ســن مبكرة، وقضــاء بقية عمـــره في بريات الأردن وفلسطين.[1]

و(الْحُكْمَ) هو الفهم أو قل: الوعي بالمبدأ والمعاد. فقد عُرف يحيى عليه السلام منذ نعومة أظافره ما هو تكليفه المناط به؛ فلم يلهو ولم يعلب، بل نَفّذ ما عليه أكمل تنفيذ.

وارتأى انه ما لم يكون مكلفاً بواجب تجاه الناس، فان اعتزالهم خير له وأبقى، فذهب إلى البرية.

ولا يبعد أن يكون قد التقى بالاسينيين[2] وحاورهم وتفاعل مع بعضهم، إلا إن ذلك يبقى احتمالاً يعوزه الدليل. ولا تتوفر معلومات أكثر من تلك التي نعرفها من انه كان يرتدي لباساً من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد،

(1) وروى العياشي بإسناده عن علي بن أسباط قال: قدمت المدينة وأنا أريد مصر فدخلت على أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام وهو إذ ذاك خماسي، فجعلت أتأمله لأصفه لأصحابنا بمصر، فنظر إلي فقال: يا علي إن الله أخذ في الإمامة كما أخذ في النبوة، قال فـ(لمَا بلغ أَشُدَهُ آتَيْناهُ حُكْما وعلما) وقال: (وآتَيْناهُ الْحُكْم صبيًا) فقد يجوز أن يعطى الحكم ابن أربعين سنة، ويجوز أن يعطاه الصبي.

وقيل: إن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ماللعب خلقت، فأنزل الله تعالى فيه (وآتَيْناهُ الْحُكْم صبيًا) وروي ذلك عن أبي الحسن الرضا عليه السلام. وأوتي النبوة وهو ابن ثلاث سنين، عن ابن عباس.

(2) عرفاء اليهود المعتزولون في برية الأردن.



وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً. ومن الممكن أن يكون قد بقي عقدين أو ثلاثة في البرية وربما رجع إلى القدس أو غيرها خلال تلك الفترة، لكن ذلك كما قلنا مجرد احتمالات فقط.

وهناك رواية تجعل يحيى عليه السلام قد انضم إلى سلك المتعبدين في الهيكل إلا إن إسنادها مهلل، وسياقها من صنف القصص الإسرائيلي [1].

﴿وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً ❁ وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ❁ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾.

لقد كانت ثمة صلة خاصة بين الله جل جلاله ويحيى عليه السلام لا يعرف سرها وصفت بأنها حنانا لدنيا خاصا [2].

وفي الأوصاف المتبقية صورة كاملة عنه فقد كان (تقيا) وهي تتعلق بصلته مع الله و**﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ﴾** والتي تتعلق بعلاقته مع ذويه **﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾**،

---

[1] القطان، عن محمد بن سعيد بن أبي شحمة، عن عبد الله بن سعيد بن هاشم القناني، عن أحمد بن صالح، عن حسان بن عبد الله الواسطي، عن عبد الله بن لهيعة، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كان من زهد يحيى بن زكريا عليه السلام أنه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر، وبرانس الصوف، وإذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوها إلى سواري المسجد، فلما نظر إلى ذلك أتى أمه فقال: يا أماه انسجي لي مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى أتي بيت المقدس فأعبد الله مع.. إلى نهاية الخبر.

[2] علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن محمد بن سنان، عن أبي سعيد المكاري عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: ما عنى الله تعالى بقوله في يحيى (وحناناً من لدنّا وزكاةً)؟ قال: تحنن الله، قال: قلت: فما بلغ من تحنن الله عليه؟ قال: كان إذا قال: يا رب قال الله عز وجل له: لبيك يحيى.



والجبار الذي لا ينصح كما قيل أو الذي يثقل على الناس ولا يخفف. فيحيى عليه السلام تقي مع الله بار مع والديه ناصح لشعبه وقومه يحمل عنهم ولا يثقل عليهم.

وقد سَلِّم عليه حال حياته في اشد المواضع صعوبة في رحلة الإنسان فسلم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً. وفي الإشارة لمراتب السير إلى الله في هذه الآية من الولاية الجديدة والفناء ثم البقاء بعد الفناء ما لا يخفى على لبيب.

وقد قيل: إن قوله ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ إشارة إلى إن حياته فوق بعثه للتعريف بقضائه شهيداً. لكن عين هذا السلام قد ورد في المسيح ولا قائل من المسلمين انه قضى أو يقضى شهيداً. والمجيء بفعل المضارعة (يموت) يدل على عدم حصول ذلك الموت (موت يحيى) ما دام القرآن يقرأ وحتى النفخة الكبرى!.



البعثة

ظهر يحيى عليه السلام في فترة حكم طيباريوس قيصر (١٤-٣٧م)[1] ووفق لوقا فانه أوحى إليه العام (٢٩) م وإذا كنا قد عرفنا إن يحيى عليه السلام قد كُلف بواجب الرسالة - وهي غير النبوة - عرفت إن هذا التاريخ هو تاريخ إقامته لشعيرة العماد أو غسل التوبة. ووفق احتمالات سني ولادته كما ستعرف لاحقاً، فان عمره حال البعثة هو ما بين (٣٦-٤٦) سنة [2]. فإذا تقبلنا ما قاله لوقا بشأن تاريخ بعثته وما قاله المتكلمون من إن بعثة الأنبياء تكون على رأس أربعين سنة؛ فان يحيى عليه السلام يكون قد ولد في حدود العام (١١ ق.م)! وسنرى صمود هذا التحديد في الصفحات اللاحقة من هذا التاريخ.

---

(١) (وفي السنة الخامسة عشر من سلطنة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطي واليا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل وفيلبس اخوه رئيس ربع على ايطورية وكورة تراخونيتس وليسانيوس رئيس ربع على الابلية. في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في ا لبرية).

(٢) بإسناده عن أبي رافع، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى عليه السلام أوحى إليه: أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا خليفته على المؤمنين، ففعل ذلك فلم يزل شمعون في قومه يقوم بأمر الله عزوجل ويهتدي بجميع مقال عيسى عليه السلام في قومه من بني إسرائيل ويجاهد الكفار، فمن أطاعه وآمن بما جاء به كان مؤمنا، ومن جحده وعصاه كان كافرا حتى استخلص ربنا تبارك وتعالى وبعث في عباده نبيا من الصالحين وهو يحيى بن زكريا عليه السلام فمضى شمعون وملك عند ذلك أردشير بن أشكاس أربعة عشر سنة وعشرة أشهر، وفي ثمان سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريا عليه السلام، الخبر. وأردشير الذي حكم ١٤ سنة هو أردشير الأول (٢٢٦-٢٤٠). فتكون وفاة يحيى في العام ٢٣٤م!.



على ضفاف الأردن

تقول المصادر المندائية[1] إن يحيى عليه السلام قضى (١٢) عاما يمارس (الصباغة) في (اليردنا)[2] ومن الصعب التحقق من ذلك فان كان قد بدأ العماد وهو في سن مبكرة جدا (السنة العاشرة من عمره مثلا) فتكون خدمته استمرت حتى تخطى الخمسين. وهو ما يرجح بعض الآراء التي سنذكرها عن عمر المسيح والمخالفة للمشهور. أو أن هذه المدة (الاثنين والأربعين سنة) كانت مدة بقائه في عالمنا وتكون مدة دعوته استمرت سنتين، فيعزز ما قلناه قبل اسطر، إن ولادته كانت العام (١١ ق.م) وبعثته في العام (٢٩)م وشهادته في العام (٣١) م لكننا نحتاج إلى توثيق لكل من لوقا وكتب المندائيين ودون ذلك خرط القتاد !.

ماذا كان يفعل يحيى عليه السلام على ضفاف الأردن..؟

(كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته. وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقرَ أني لست أنا المسيح. فسألوه إذا ماذا. ايليا أنت؟. فقال لست أنا. النبي أنت؟. فأجاب لا. فقالوا له من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا؟. ماذا تقول عن نفسك؟. قال: (أنا صوت صارخ في البرية قوَموا طريق الرب) كما قال اشعياء النبي. وكان المرسلون من الفريسيين. فسألوه وقالوا له: فما بالك

---

(١) كنزا ربا المخطوط

(٢) نهر الأردن أو الماء الجاري.

تعمَد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي. أجابهم يوحنا قائلاً: أنا اعمَد بماء ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه. هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن احل سيور حذائه. هذا كان في بيت عنيا في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد).[1](في نفس أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية. فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. كما هو مكتوب في سفر أقوال اشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية أعَدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة. كل واد يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجَات مستقيمة والشعاب طرقاً سهلة. ويبصر كل بشر خلاص الله وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليتعمَدوا منه: يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصنعوا أثمار تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار.

وسأله الجموع قائلين فماذا نفعل...؟

فأجاب وقال لهم: من له ثوبان فليعط من ليس له، ومن له طعام فليفعل هكذا. وجاء عشارون أيضاً ليعتمدوا فقالوا يا معلم: ماذا نفعل..؟

---

(1) إنجيل يوحنا ١: ١٩-٢٨.



فقال لهم: لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم. وسأله جنديون أيضاً قائلين: وماذا نفعل نحن.؟ فقال لهم: لا تظلموا أحداً ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم)[1] (يأتي من هو أقوى مني لست أهلاً أن احل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه. واما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ. وبأشياء أخر كثيرة كان يعظ الشعب ويبشرهم)[2]. (وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية. قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات)[3].

(حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن. واعتمدوا من في الأردن معترفين بخطاياهم)[4].

(يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن احمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ)[5].

(وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية ومكث معهم هناك وكان يعمد. وكان يوحنا أيضاً يعمد في عين نون بقرب ساليم لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون. لأنه لم يكن يوحنا قد ألقي بعد

---

(١) لوقا ٣: ١٤ .

(٢) لوقا ٣: ١٦ .

(٣) متي ٣ :١ .

(٤) متي ٣ :٥ .

(٥) متي ١٧ : ١-١٥ .



في السجن وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير. فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له يا معلّم هو ذا الذي كان معك في عبر الأردن الذي أنت قد شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه. أجاب يوحنا وقال لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعطي من السماء. أنتم أنفسكم تشهدون لي إني قلت لست أنا المسيح بل أني مرسل أمامه. من له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه يفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذا فرحي هذا قد كمل. ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا انقص. الذي يأتي من السماء هو فوق ختم إن الله صادق. لان الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله. لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح).[1]

([1]) يوحنا ٣ : ٣٤ .



يحيى عليه السلام والصابئة

لعل المندائية هي ثاني أقدم ديانة في العالم بعد الديانة الأولى لآباء البشر. ومنشأها فيما نرجح هي حضارات ما قبل الطوفان وحضارات فجر التاريخ، والبذرة الأولى هي عبادة القوى الطبيعية بديلا عن الإله الواحد المجرد. واهتمت تلك الديانة في بدئها بالرصد الفلكي وعلم التنجيم بالغ الاهتمام.

وكلمة (ناصورائي) التي يطلقها المندائيون على أنفسهم مشتقة من الجذر السامي (ن ص ر) وتعني (راقب، حدس، صان) وفي الأكدية (وفي الطقوس الكهنوتية الأكدية تحديدا) بالمعنى نفسه. وفي البابلية nasara بمعنى مراقبي السماء والمقارب العربي (نظر، نطر)، وبالتالي يمكن بوضوح فهم إن معنى الناصورائي هو: (المنجم) المراقب للسماء (المحدس لأحكامها). مما يؤهلنا لتقديم أطروحة ليست جديدة، إلا أنها هنا مدعمة بهذا الفهم:

إن تلاميذ يحيى عليه السلام وأتباعه وبقية الأسينيين[1] كانت قد هاجرت على دفعات، ربما كانت أكبرها بعد احتلال أورشليم وتدمير الهيكل عام (٧٠)م. واتجهت تبحث عن منطقة نهرية مشابهة لمناطق سكناها وبعيداً عن سيطرة روما وسلطتها. والمكان الوحيد المناسب والمتوقع هو جنوبي العراق الواقع تحت سلطة البارثيين وحكمهم. وبعد امتزاجهم بالعنصر المحلي والذي هو من بقايا عبدة

(١) الاسينيين هم طائفة دينية اعتزلت اليهود لتتفرغ لعبادة الله بشكل جاد وصاف عثر على جملة من آثارهم في خربة قمران ويبدو أنهم كانوا متصوفة اليهود وعارفيهم.

النجوم البابليين حدث التمازج والانصهار والتفاعل الذي شكّل الديانة الصابئية بشكلها الحالي. مما يفسر:

●وجود صنفين تاريخيين للصابئة (موحدون وعبدة نجوم) واختلاف حتى الفقهاء في تصنيفهم بين أهل كتاب أو أهل دين وثني.

●اختفاء اسم يحيى من النصوص الطلسمية القديمة والتي هي أقدم نصوص المندائية عهداً.

●عدم اعترافهم بالنبوات باستثناء ـ مشكوك فيه ـ لآدم وشيت وسام بن نوح!، ويبدو إن يحيى عليه السلام هو الشخصية الوحيدة التي تم الاستشهاد بها.

●التشابه الغريب بين لفظ ترميذة (إحدى درجات الكهنوت المندائي) ولفظ تلميذ العربية التي كان أتباع يوحنا يلقبون بها.

●عدائهم المستحكم لجملة من الأنبياء وبالتحديد لإبراهيم والذي يرجع لكونه العدو الأول والأقدم في تاريخ العراق الجنوبي والعالم لعبادة النجوم.

●عدائهم لموسى والذي تسبب بغرق (إخوانهم في الدين) أقباط مصر والذي تبدو بعض من عبادات مظاهر الطبيعة واضحة لديهم.

●تبجيلهم الفائق للملك (إردبان)الثاني[1]، وتحويلهم إياه إلى ملاك وهو أي ـ إردبان ـ ذلك الملك الارشاقي الذي تسامح مع النازحين من فلسطين بعد اضطهادهم من قبل اليهود بعد شهادة يحيى عليه السلام.

---

(1) هناك مرشحان لهذا الدور هما الثاني (١٢-٣٨م) والثالث (٧٩- ٨١م)، لكن قصر فترة حكم الأخيرة تبعده تماما عن لعب دور مهم في حياة شعبه أو أي فئة أخرى .

كتاب الصابئة

للمندائيين مجموعة كتب دينية أهمها وأولها (كنزا ربا)[1] والآخر (دراشاد يهيا)[2] وثالثها (حران كويثا)[3] وفي كل من هذه الكتب فصول تتحدث عن يحيى عليه السلام وولادته وحياته وموته وتعاليمه وحكمه وبعضها لا يزال مخطوطاً والبعض الآخر ترجم إلى الألمانية والى العربية حديثاً .

هيرودس

كانت سلالة هيرودس سلالة مشؤومة حقاً فقد تورط هيرودس الكبير بمذابح عديدة ضد الكثيرين، ووصل الأمر به إلى قتل بعض أبنائه وأمهم، وطرق السمع أقاويل عن شذوذه وقيل أنه نهب قبر الملك داود عليه السلام. فلما آل الأمر إلى هيرودس الابن(؟) لم يكن ليتورع عما فعل سلفه والذي فيما يبدو من كثير من الروايات انه لم يكن هو الأب الحقيقي وان (ملطاقة) قد مارست خارج بيت الزوجية ما لم يكن مستغرباً من امرأة طاغية فاسد[4] ووفق هذا الجو الفاسد

---

(1) يسمى أحيانا (كتاب آدم) وكنزا ربا تعني الكنز الرابي أو العظيم .

(2) تعني كتاب يحيى أو إرشاد يحيى .

(3) تعني كوة حران أو حران الداخلية أو قلعة حران. وبقية كتبهم هي (العالم الرئيسي) و (العالم الصغير) و(كتاب الأنفس) و(كتاب النياني) و(كتاب القلستا) وغيرها.

(4) ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن ابن فضال عن مروان ابن مسلم، عن إسماعيل بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول كان قاتل الحسين بن علي عليه السلام ولد زنا، وكان قاتل يحيى بن زكريا عليه السلام ولد زنا، ولم تبك السماء الأرض إلا لهما.



والزيجات المشبوهة؛ تزوج (هيرود فيلبس) من أبنة أخيه (هيروديا حفيدة هيرودس الكبير) وما لبثت هذه أن وقعت في شباك عمها الآخر الماجن المتهتك والشرس (هيرود انتيباس) فخطفها من أخيه ليتزوجها وهي لازالت على ذمة الآخر كزوجة. أقول وسط هذا الجو كانت دعوة التوبة تثير الغضب لدى تلك الأرواح الميتة. لكن يحيى عليه السلام لم يكتف أن يدعو الجنود والفريسيين والعشارين إلى التوبة بل دعا رئيس الدولة نفسه إليها!.

(أما هيرودس رئيس الربع فإذ توبخ منه لسبب هيروديا امرأة فيلبّس أخيه ولسبب جميع الشرور التي كان هيرودس يفعلها هذا أيضا على الجميع انه حبس يوحنا في السجن).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: وكذلك الحسين عليه السلام لم يكن له من قبل سمي، ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحا، قيل له: وما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء، وكان قاتل يحيى عليه السلام ولد زنا، وقاتل الحسين عليه السلام ولد زنا.

بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن أبن عيسى، عن عثمان ابن عيسى، عن عمرو بن شمر،عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغي، وإن قاتل يحيى بن زكريا عليه السلام ابن بغي، وإن قاتل علي عليه السلام ابن بغي، وكانت مراد تقول: ما نعرف له فينا أبا ولا نسبا، وإن قاتل الحسين بن علي عليه السلام أبن بغي، وإنه لم يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلا أولاد البغايا .

محمد بن جعفر، عن محمد بن الحسين، عن صفوان، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان الذي قتل الحسين بن علي عليه السلام ولد زنا، والذي قتل يحيى ابن زكريا عليه السلام ولد زنا .

كانت ليحيى عليه السلام شعبية هائلة وسط شعبه اكبر بكثير مما حظي بها المسيح من بعده[1] فما جرؤ هيرود على قتله، بل اكتفى بسجنه وبقي يحيى عليه السلام في السجن فترة لا نعرف مدتها بالضبط إلا أنها لا تزيد على عام وفق بعض التقديرات.

وخلالها لم يكن مشددا عليه، بل كان يتمتع بزيارات بعض تلاميذه له في السجن. وفي تلك الفترة بدأ يسمع إن المسيح بدأ دعوته. وقد كان قبل سجنه قد قام بتعميده بنفسه في نهر الأردن.[2]

(أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر .

فأجاب يسوع وقال لهما:

اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران. العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون. وطوبى لمن لا يعثر في. وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا:

---

(1) (قالوا له بأي سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان حتى تفعل هذا. فأجاب يسوع وقال لهم وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة. أجيبوني فأقول لكم بأي سلطان افعل هذا. معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس. أجيبوني. ففكروا في أنفسهم قائلين إن قلنا من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به. وأن قلنا من الناس فخافوا الشعب. لان يوحنا كان عند الجميع أنه بالحقيقة نبي. أجابوا وقالوا ليسوع لا نعلم. فأجاب يسوع وقال لهم ولا أنا لكم بأي سلطان فعل هذا) مرقس ١١: ٢٨-٣٢.

(2) لوقا ٣: ١-٢١ .



ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا. أقصبة تحركها الريح. لكن ماذا خرجتم لتنظروا.

أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة. هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك.

لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياً؟ نعم أقول لكم وافضل من نبي! فان هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قُدّامك.الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنا المعمدان. ولكن الأصغر في ملكوت السموات اعظم منه. ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يغضب والغاصبون يختطفونه. لان جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبئوا. وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن ياتي).[1]

وهذا النص يكشف زيف المقدمة الخرافية لإنجيل يوحنا؛ فيحيى عليه السلام ورغم عمق صلته الروحية بعيسى عليه السلام إلا إن كون عيسى عليه السلام هو المسيح أو (ننتظر آخر) مسألة أخرى لم تكن واضحة أبدا لديه لذا أرسل من يستخبره عنها.

---

(1) متي ١١: ٢ –١٥.



هيرودس وهيروديا

كانت العلاقة البائسة بين هيروديا وعمها هيرودس تحت الخطيئة قد أثمرت في نفسيهما الشريرتين ثمار مريضة، فهيروديا تعرف إن يحيى (عليه السلام) نقمة إلهية وغضب رباني مُنصب عليها وسيكون بيده رضا الشعب وسخطه فيما لو قال أو فعل، ولا شك إن مثلها خبير بأنه لا يمكن إخضاع يحيى (عليه السلام) وأشباهه بما لديها من غواية وأسلحة؛ فكان الانتقام الرخيص هو آخر ما تبتغيه من يحيى (عليه السلام) .

فما الذي فعلته هيروديا الزانية؟

لقد انتظرت حفلة ميلاد هيرودس العربيد ولقّنت ربيبتها وابنتها (سالومي) ما تريد.

(فان هيرودس كان قد امسك يوحنا وأوثقه وطرحه في سجن من اجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه. لان يوحنا كان يقول له لا يحل أن تكون لك. ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب. لأنه كان عندهم مثل نبي. ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسرّت هيرودس. من ثم وعد بقسم انه مهما طلبت يعطيها، فهي إذ كانت قد تَلقّنت من أمها قالت: أعطيني ههنا على طبق راس يوحنا المعمدان. فاغتم الملك. ولكن من اجل الأقسام والمتكئين معه أمر أن يعطى. فأرسل وقطع راس يوحنا في السجن. فأحضر رأسه على طبق ودفع إلى الصبية. فجاءت به إلى

أمها. فتقدم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه. ثم أتوا واخبروا يسوع).[1]

(لان هيرودس نفسه كان قد أرسل وامسك يوحنا وأوثقه في السجن من اجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه إذ كان قد تزوج بها. لان يوحنا كان

---

[1] متي ١٤: ٣-١٢. وبالإسناد إلى الصدوق، عن ما جيلويه، عن عمه، عن الكوفي، عن عبد الله ابن محمد الحجال، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن ملكا كان على عهد يحيى بن زكريا عليه السلام لم يكفه ما كان عليه من الطروقة حتى تناول امرأة بغيا فكانت تأتيه حتى أسنت، فلما أسنت هيأت ابنتها، ثم قالت لها: إني أريد أن أتي بك الملك، فإذا واقعك فيسألك ما حاجتك فقولي: حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريا عليه السلام، فلما واقعها سألها عن حاجتها، فقالت: قتل يحيى بن زكريا عليه السلام فلما كان في الثالثة بعث إلى يحيى فجاء به فدعا بطست ذهب فذبحه فيها وصبوه على الأرض فيرتفع الدم ويعلو، وأقبل الناس يطرحون عليه التراب فيعلو عليه الدم حتى صار تلا عظيما، ومضى ذلك القرن فلما كان من أمر بخت نصر ما كان رأى ذلك الدم فسأل عنه فلم يجد أحد
يعرفه حتى دل على شيخ كبير، فسأله فقال: أخبرني أبي عن جدي أنه كان من قصة يحيى بن زكريا عليه السلام كذا وكذا، وقص عليه القصة،والدم دمه، فقال بخت نصر: لا جرم لأقتلن عليه حتى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفا، فلما وفى عليه سكن الدم. وفي خبر آخر: إن هذه البغي كانت زوجة الملك جبار قبل هذا الملك، وتزوجها هذا بعده، فلما أسنت وكان لها ابنة من الملك الأول قالت لهذا الملك: تزوج أنت بها فقال: لأسأل يحيى بن زكريا عليه السلام عن ذلك فإن أذن فعلت، فسأله عنه فقال: لا يجوز فهيأت بنتها وزينتها في حال سكره وعرضتها عليه، فكان من حال قتل يحيى عليه السلام ما ذكر فكان ما كان.
بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه عن محمد بن أبي القاسم، عن الكوفي عن أبي عبد الله الخياط، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله ن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام إن الله عز وجل إذا أراد أن ينتصر لأوليائه انتصر لهم بشرار خلقه، وإذا أراد أن ينتصر لنفسه انتصر بأوليائه، ولقد انتصر ليحيى بن زكريا عليه السلام ببخت نصر.
وفي خبر آخر أن عيسى بن مريم عليه السلام بعث يحيى بن زكريا عليه السلام في إثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس وينهاهم عن نكاح ابنة الأخت، قال: وكان للملكهم بنت أخت تعجبه، وكان يريد أن يتزوجها، فلما بلغ أمها أن يحيى عليه السلام نهى عن مثل هذا النكاح أدخلت بنتها على الملك مزينة، فلما رآها سألها عن حاجتها، قالت: حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سلي غير هذا، فقالت: لا أسألك غير هذا، فلما أبت عليه دعا بطشت ودعا بيحيى عليه السلام فذبحه فبدرت قطرة من دمه فوقعت على الأرض فلم تزل تعلو حتى بعث الله بخت نصر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلته على ذلك الدم، فألقى في نفس أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل عليها سبعين ألفا في سنة واحدة حتى سكن.



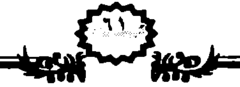
يقول لهيرودس لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك. فحنقت هيروديا عليه وأرادت أن تقتله ولم تقدر.

لان هيرودس كان يهاب يوحنا، عالماً انه رجل بار وقدّيس وكان يحفظه. وإذ سمعه فعل كثيراً وسمعه بسرور. وإذ كان يوم موافق لما صنع هيرودس في مولده عشاء لعظمائه وقواد الألوف ووجوه الجليل دخلت ابنة هيروديا ورقصت فسرّت هيرودس والمتكئين معه. فقال الملك للصبية: مهما أردت اطلبي مني فأعطيك. واقسم لها إن مهما طلبت مني لأعطينّك حتى نصف مملكتي. فخرجت وقالت لامها: ماذا اطلب؟ فقالت: راس يوحنا المعمدان.

فدخلت للوقت بسرعة إلى الملك وطلبت قائلة: أريد أن تعطيني حالاً راس يوحنا المعمدان على طبق. فحزن الملك جداً. ولأجل الأقسام والمتكئين لم يرد أن يردها. فللوقت أرسل الملك سيافاً وأمر أن يؤتى برأسه. فمضى وقطع رأسه في السجن. وأتى برأسه على طبق وأعطاه للصبية والصبية أعطته لامها. ولما سمع تلاميذه جاءوا ورفعوا جثته ووضعوها في قبر).(١)

---

(١) مرقس ٦: ١٧-٢٩ .



الذبح

قلنا إن الصابئة يزعمون إن يحيى (عليه السلام) مكث يمارس التعميد طيلة اثنين وأربعين عاماً ويحيى (عليه السلام) كما نعرف صنو عيسى (عليه السلام) في الولادة وقد قتل يحيى (عليه السلام) في عصر (هيرودس انتيباس بن هيرودوس انتيباتر) والذي حكم في الفترة ٤ ق.م-٣٩ م.كما إن حادثة زواج هيرودس من هيروديا زوجة أخيه الآخر فليبس حدثت قبل العام ٣٦ م سنة الحرب بينه وبين الأنباط التي اشتغلت نتيجة للزواج المشؤوم وهروب (حرثت) زوجة هيرودس الكبرى وابنة أمير الأنباط إلى أبيها. فإذا ما عرفنا إن وفاة يحيى (عليه السلام) سبقت حادثة الصلب بمدة ما بين سنة إلى ثلاث سنين فان وفاة يحيى (عليه السلام) حدثت ما بين ٣٢-٣٤ م على الأقل، لكن الاحتمالات التي سترد لاحقاً عن السنين المحتملة لولادة المسيح والتي هي(٤،٧،١٧ ق.م) تجعل من تاريخ شهادته تتأرجح - إذا ما افترضنا بدء تعميده بدأ في السابعة من عمره مثلاً- ما بين السنوات (سنة ٣٢م،٣٤م،٤٥م). والتاريخ الأخير مستبعد لان الفترة المحتملة للقتل هي عهد هيرود انتيباس والتي انتهت بنفيه العام ٣٩ م.

أما إذا ما افترضنا إن الاثنين والأربعين التي تحددها الصابئة هي فترة عمره كلها، فالتواريخ المحتملة وفق المبنى المعتمد هي(٢٥ م،٣٥ م،٣٨ م) وكتابات مؤرخي الكنيسة تدور حول العام٣١ م.[1]

---

(1) وفي أسئلة الشامي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريا (عليه السلام).



شهادة يحيى (عليه السلام)

لم يكن يحيى (عليه السلام) معارضاً للدولة - وفق التعريف الشائع - كما كان الجمهوريون أو المكابيون، لأنه إذا ما عارض حكماً وجب أن يقدم له بديلاً وهو لم يكن مكلفاً بذلك ولا مأموراً به، بل حتى أنه كان يحث الجباة -جباة الدولة- على أن لا يأخذوا من الناس أكثر مما فرض عليهم ولم يدعوهم إلى ترك وظائفها فيما لو سبب لهم ذلك العسر والحرج، هذا مع ثبات هذا النقل، وثانياً إن القائد اليهودي والعسكري والمؤرخ يوسفيوس لم يصف يحيى (عليه السلام) إلا بأنه كان واعظاً ثورياً أخلاقياً ولم يتطرق إلى أي جانب سياسي من جوانب دعوته، في حين كان لزاماً عليه ذلك لو مارس يحيى (عليه السلام) شكلاً من أشكال (البوليتيكا) لأن ذلك سيكون تأييد لهذا الاتجاه الحياتي بممارسته من قبل نبي عظيم.

لقـــد كانت شهادة يحيى (عليه السلام) واحـدة من أقوى الدلائل وضوحاً على فساد العالم[1]؛ فقد تسلّط بغي وطاغية وصبيّة شريرة ليقتلوا واحداً من أنقى

---

(1) علي بن إبراهيم عن ابهي، عن حنان بن سدير، عن عبد الله بن الفضل الهمداني، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: مر عليه رجل عدو لله ورسوله، فقال (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) ثم مر عليه الحسين بن علي (عليهما السلام) فقال: لكن هذا لتبكين عليه السماء والأرض، وقال: وما بكت السماء والأرض إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي (عليهما السلام).
بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن علي، عن أبيه عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) قال لم تبك السماء على أحد قبل قتل يحيى بن زكريا (عليه السلام) وبعده حتى قتل الحسين (عليه السلام) فبكت عليه.
عن حنان، عن الصادق (عليه السلام) قال: زوروا الحسين (عليه السلام) ولا تجفوه فإنه سيد شباب الشهداء، وسيد شباب أهل الجنة، وشبيه يحيى بن زكريا (عليه السلام)، وعليما بكت السماء والأرض. وروى سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: خرجنا مع



البشر، لمجرد أنه ألفتهم إلى خطاياهم. وسيعاني من يأتي بعده من تلامذته أو الأنبياء اللاحقون من مصير غذي بذات النوايا المظلمة التي حاصرت يحيى (عليه السلام) وطاردته من البرية إلى السجن، ومن السجن إلى حلبة الموت. ولا يمكن استبعاد إن هيرود قد قمع كل من ثار أو احتج على قتل المعمدان، بل لابد انه شرد الكثير من أتباعه واستباح حرماتهم وتاريخ هيرود شاهد على إمكان ذلك، بل تعينه، وهذا ما يفسر تلك الهجرات التي انتهت في ارض الطيب جنوب العراق لتأسس ديانة جديدة - قديمة بعد أن امتزجت بديانة غارقة في القدم.

تلاميذ يحيى (عليه السلام)

كان ليحيى (عليه السلام) أتباع وتلاميذ تربوا على يديه وفهم البعض منهم دور المرسل الحقيقي وفهموا الترابط بين الرسل وحركة التكامل الشاملة فما إن ظهر المسيح حتى أكملوا مسيرتهم معه دون انقطاع. لكنه هو الحال في جميع الرسالات فان فئة قد بقيت وهي الأكثر - وهذا ما يحصل في معظم الأحيان - لا تتحرك عما جاء به يحيى (عليه السلام) قيد شعرة فكانت تنظر إلى المسيح وأتباعه بنظرة الريبة والشك.

(وكان تلاميذ يوحنا والفريسيين يصومون. فجاءوا وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون. فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم. ما دام العريس معهم لا يستطيعون أن

الحسين (عليه السلام) فما نزل منزلا ولا ارتحل منه إلا وذكر يحيى بن زكريا (عليه السلام)، وقال يوما: من هوان الدنيا على الله عز وجل أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.



يصوموا. ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام).[1]

بل وصل الأمر ببعضهم ممن امتزج مع العنصر القديم من الديانة الصابئية فيما بعد إلى اتهام المسيح بالتزييف والخيانة وتحريف الكلمة ووصف تلك الحمامة التي تمثل الروح القدس بأنها روح شريرة... إلى آخر أباطيلهم.

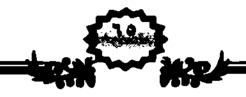
فقد ورد في مخطوطة (حران كويثا) (إن هناك من نسل أولئك التلاميذ انتشر أناس لا يفقهون (أناشي أد لا تقسا) أصبحوا مع (الروهة)[2] وبعد مرور مائتين وثمانين يوماً أثاروا الاضطراب واتبعوا شهوات الجسد) مما يعطينا تحديداً للمدة الزمنية بين استشهاد يحيى (عليه السلام) وجهر المسيح بدعوته هي أكثر قليلاً من تسعة اشهر. ويبدو إن (أتباع شهوات الجسد)، تلك التهمة التي لُصقت بأتباع المسيح هي رد فعل للأوامر التخفيفية والارفاقية التي جاء بها المسيح.

وهناك إشارات في بعض المصادر أن يكون يحيى (عليه السلام) هو المشار إليه باسم (معطي الشريعة) أو (القائد الفرقة) الاسم الغامض لزعيم طوائف الكاسيين والاسينيين (جماعة الميثاق الجديد) والمغائريين والقمرانيين. والذين كانت تجمعات تتراوح أعدادها ما بين (٢٠٠-٤٠٠٠) نفس.

---

(١) مرقس ٢: ١٨-٢٠ .

(٢) عرف الصابئة إن الحمامة النازلة على المسيح على إنها روح أنثوية شريرة قادته إلى تحريف شريعتهم وعقيدتهم معاً!



في حين نسب كل من (دوسيثيوس) الغنوصي وزميله وتلميذه (سمعان الساحر) الشهير إلى تلمذة المعمدان وكلاهما في النهاية قد ادعى كونهما المسيح المنتظر.

نهاية يحيى (عليه السلام) بعين مندائية

أنكر المندائيون أن يكون يحيى (عليه السلام) قد قتل بحد السيف (السيف لا يقطعك يا يحيى، لأن اسم برهيي حال فيك).[1]

فبعد أن مكث ما مكث على ضفاف اليردنا جاءه (مندادهيي) وظهر ليحيى (عليه السلام) بصورة غلام ذي ثلاث سنين ويوم واحد، وبعد حوار معه، لفه بأغطية من نور ثم أخرجه من جسده وارتقى به إلى عالم النور. وترد في خواطر بعض الباحثين فكرة مضمونها إن حادثة عماد يحيى (عليه السلام) لـ(مندادهيي) هي تصوير أسطوري لتعميده للمسيح والذي تذكره نصوص أخرى بصراحة.

العصمة المطلقة

روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله) بطرق عدة[2]: انه وصف يحيى (عليه السلام) بكونه لم يذنب ولم يهم بذنب قط. ومن المفترض بالقائلين بعصمة الأنبياء المطلقة أن يعتبروا ذلك أمراً بديهياً لا يستدعي التوضيح ولا الامتياز ما دام جميع الأنبياء ما أذنبوا ولا هموا بذنب. لكن الأحاديث موجودة فلا خيار أمامهم إلا الطعن بصحة تلك الروايات - وهذا سهل - أو تأويل الذنب بأنه مخالفة الأولى، فيكون يحيى (عليه السلام) لم يخالف الأولى ولم يهم بذلك أصلاً، ويكون ذلك هو امتيازه، في حين إن من قبله كانوا في أسوا الأحوال قد ارتكبوا مخالفة للأولى فلا يقدح في معنى العصمة

---

(1) دراشاد يحيى. و(برهيي) تعني (ابن الحي).

(2) عن أبي هريرة وعن بن عمر وعن عكرمة عن ابن عباس.



الواجبة أبداً. ولحد الآن تبدو المناقشة في هذا الموضوع عادية والروايات بريئة من النية المسبقة، إلا أننا سنفاجأ لو قمنا بتحليل لنمط من هذه الروايات من النتيجة التي ستظهر بوجهها القبيح:

- وردت الروايات انه ما من ابن آدم إلا أذنب أو هم بذنب إلا يحيى عليه السلام، فيكون الرسول صلى الله عليه وآله داخل ضمن القاعدة !.
- وردت روايات انه ما من ابن آدم إلا وكزه أو وخزه الشيطان إلا عيسى عليه السلام وأمه والرسول في هذا الحالة من المشمولين بالوخز الشيطاني .
- وردت الروايات إن النبي قال: (لا تقولوا أنا خير من يونس بن متي)، فهو إما مساو له أو أدنى منه .

والرواة لهذه الأحاديث: علي بن زيد جدعان (قال عنه الجمهور انه منكر الحديث)، ومحمد بن إسحاق (وصفوه بالمدلس)، وإسحاق بن بشر (وقد أدرجوه في قائمة الضعفاء)، وأبو هريرة بطل الأكاذيب الشهيرة !

فجلى المراد من وضع هذه الأحاديث التي أنتجت ـ على الأرجح ـ في بداية عصر الأمويين وما بعده. وكان الغرض منها إسقاط قيمة النبي محمّد بطريقة (إياك أعني...).



يحيى وعيسى عليهما السلام

﴿أنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللّهِ﴾

علاقة يحيى بعيسى عليه السلام تكاد تكون علاقة نادرة؛ فان مصدر وجودهما هو الهبة الإلهية. فقد ولدا بلا حساب للأسباب والمسببات وكانا بكري أصلهما. وحظيا بسلام إلهي شامل لمراحل وجودهما، وتشابهت صفاتهما؛ فقد كانا نبيين وبارين ولم يكونا من الجبابرة العصاة، بعثا في زمان واحد ومكان واحد، وحوصرا من ذات القوم ونفس السلطة. مارسا زهداً نادراً وحياة سياحة صعبة لم يعهدها شعبهما وقد كانا ختام المسك للنبوة اليعقوبية.

بل قال البعض إن معنى اسم عيسى عليه السلام هو (يعيش) في مقابل (يحيى) وقد خدما الله مدة حياتهما وبعثا في سن مبكرة جداً .

فما الذي كان يقوله المسيح بحق يحيى عليه السلام ؟.

فلنقرأ ما كتبه أحد الأربعة:

(فاخذ الجميع خوف ومجّدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه) .

(وخرج هذا الخبر عنه في كل اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة فاخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله. فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلاً أنت هو الآتي أم ننتظر آخر. فلما جاء إليه الرجلان قالا: يوحنا المعمدان قد أرسلنا إليك قائلا أنت هو الآتي أم ننتظر آخر. وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ووهب البصر

لعميان كثيرين. فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا واخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما. إن العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون. وطوبى لمن لا يعثر فيّ. فلما مضى رسولا يوحنا ابتدأ يقول للجموع عن يوحنا. ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا. أقصبة تحركها الريح.

بل ماذا خرجتم لتنظروا أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة. هو ذا الذين في اللباس الفاخر والتنعم هم في قصور الملوك. بل ماذا خرجتم لتنظروا. أنبياً؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي. هذا هو الذي كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك. لأني أقول لكم انه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان. ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه. وجميع الشعب إذ سمعوا والعشارين برروا الله معتمدين بمعمودية يوحنا. وأما الفريسيون والناموسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه).

ويستشهد بتصديق رسالته من قبل يحيى عليه السلام : (إن كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً. الذي يشهد لي هو آخر وأنا اعلم إن شهادته التي يشهدها لي هي حق. أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق. وأنا لا اقبل شهادة من إنسان. ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم).

وأوردنا في ثنيات هذا التاريخ من نصوص الأناجيل ما يبين جوانب أخرى من علاقتهما .



وروينا من طرقنا عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم، عن إبراهيم بن مهزم، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: كان يحيى بن زكريا عليه السلام يبكي ولا يضحك، وكان عيسى بن مريم عليه السلام يضحك ولا يبكي، وكان الذي يصنع عيسى عليه السلام أفضل من الذي كان يصنع يحيى عليه السلام [1].

يحيى عليه السلام ونبوخذنصر

كان من المواضيع التي اولع بها القدماء تصوير البابلي (بختنصر) منتقما لدم يحيى الطاهر عليه السلام الذي سقطت منه قطرة على الأرض وبدأت تعلو - لا اعرف كيف!- حتى أضحت تلاً عظيما وهي تفور فلما اقتحم الملك الغازي أورشليم وجد هذا التل وعرف القصة فذبح قربان لها سبعين ألفا من اليهود فسكن الدم.

---

(1) علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن علي بن الحكم، عن ربيع بن محمد، عن عبد الله بن سليم العامري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن عيسى بن مريم عليه السلام جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام وكان سأل ربه أن يحييه له، فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر فقال له: ما تريد مني؟ فقال له: أريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا، فقال له: يا عيسى ما سكنت عني حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود إلي حرارة الموت! فتزكه فعاد إلى قبره .

روي عن الصادق عليه السلام: إن رجلا جاء إلى عيسى بن مريم عليه السلام فقال له: يا روح الله إني زنيت فطهرني: فأمر عيسى عليه السلام أن ينادى في الناس: لا يبقى أحد إلا خرج لتطهير فان؛ فلما اجتمع واجتمعوا وصار الرجل في الحفرة نادى الرجل في الحفرة: لا يحدني من لله تعالى في جنبه حد، فأنصرف الناس كلهم إلا يحيى وعيسى عليهما السلام، فدنا منه يحيى فقال له: يا مذنب عظني، فقال له: لا تخلين بين نفسك وبين هواها فتردى، قال: زدني: قال لا تعيرن خاطئا بخطيئته، قال: زدني، قال: لا تغضب، قال حسبي.

والقصة برمتها سخيفة اعترض على ثبوت اتصال بطلها بزمان يحيى (عليه السلام) كل من ابن الأثير ١٠٤/١، ٣٠٣، والطبري ٣٨٧/١، ١٥/٢، والمجلسي في بحاره ١٤/ ٣٥٥. فلما أحرجوا اخترعوا نبوخذنصر آخر أسموه (بختنصر بن ملتنصر بن بختنصر الأكبر) ونسبوا للأكبر غزو فلسطين الأول على عهد ارميا، وكلَفوا الآخر بالانتقام لدم يحيى (عليه السلام). لكن فاتهم إن بين الواقعتين أكثر من خمسة قرون، وهذا ليس مشكلة عند القدماء فإنهم كانوا يبذخون في إعطاء الأعمار الطويلة للملوك بغير حساب، وفاتهم إن السلالة الكلدانية (سلالة بابل الحادية عشرة) تكوَنت من ستة ملوك ثانيهما هو نبوخذنصر الثاني[1](٦٠٤-٥٦٢ ق.م) وخلفه أربعة ملوك هم (اويل مردوخ)، (نرجال شاروواوصر) (لباشي مردوخ) (نبو نيدس) الذي أزاح دولته كورش الاخميني وقضى على حكم البابليين وإلى الأبد. فليس لزعمهم عين ولا اثر.

ويبدو إن الخلط حصل مع (تيتوس) هادم بيت المقدس والمعبد بعد مضي قرابة أربعين سنة من استشهاد يحيى (عليه السلام).

---

(١) عاش نبوخذنصر الأول (١١٢٤-١١٠٣) في أيسن (سلالة بابل الرابعة) ولم يقم بأي عمل عسكري ضد فلسطين. والاسم بالضبط هو (نابو كودورو ناصر).

قبر يحيى عليه السلام

في قلب المسجد الأموي والذي أقيم أساساً على كنيسة قديمة، وتحت العمود المعروف بعمود السكاسكة يوجد ضريح ضخم يقولون انه قبر يحيى بن زكريا عليه السلام. لكن ما يتطلب تفسيراً هو الداعي إلى نقله من قلعة (ماكريوس)[1] الواقعة شرق البحر الميت حيث قتل حتى دمشق والمسافة بينهما (٢٥٠)كم.

وقد يكون قد حصل خلط بين يوحنا التلميذ والذي لا يعرف مكان دفنه وبين يحيى المعمدان عليه السلام، بل الأسوأ من ذلك أن يكون هذا الخلط قد حدث مع وزير معاوية يوحنا الدمشقي .

في حين أن في التقليد المندائي انه دُفن قرب نهر الأردن، ويبدو ذلك معقولاً فانه قضى الكثير من عمره في مصب وادي الكلت قريباً من بطنية في شرق الأردن.

---

(١) المرجّح إن يحيى عليه السلام سجن في القلعة الحصينة ماخيروس (ماكريوس) الواقعة في الشمال الشرقي من البحر الميت واسمها الحالي (مكور) .



القسم الثالث

آل عمران المصطفون

مريم والمسيح (عليه السلام)

لا يعرف التاريخ بالدقة نسب عمران ولا حتى اسم أبيه ولا تاريخ مولده ولا وفاته، وما هو دوره في الحياة الدينية، إلا أن الانطباع العام ـ من التأمل في المصادر الدينية- يوحي بأنه رجل كهنوتي ذو شأن. كوّن أسرة متدينَة واقترب من حافة الموت قبل أن يتحقق مراده ومراد امرأته لوعد سابق.

وإذ كنا نرجح كون ولادة مريم قد حصلت ما بين (٣٠ق.م -١٩ق.م) بناءاً على عديد من الدلائل، فان حياة عمران كانت ما بين عامي (٨٠ ق.م) أي انه ولد بعد الثورة المكابية وحكومتها (١٦٦ ق.م - ١٣٤ ق.م) .

ووردت روايات مفادها إن عمران كان نبياً مرسلاً موحى إليه [1]، بل ورد اسم أبيه وأخيه في بعض الأثر الإسلامي الذي قال انه عمران بن متان (متثات/ ماثان) وهو أخ ليعقوب بن متان الذي قدّمه متي باعتباره أباً ليوسف النجار، فيكون يوسف النجار ابن عم لمريم، وهو فخ وقع فيه المؤرخون المسلمون تبعا لمتي، فلا دليل سوى كلام متي على هذا النسب، -واستئناسا ببنوة العم بين مريم ويوسف .

---

(1) الصدوق، عن ابن المتوكل، عن الحميري،عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام)، عن عمران أكان نبياً؟ فقال: نعم كان نبيا مرسلا إلى قومه، وكانت حنة امرأة عمران وحنانة امرأة زكريا أختين، فولد لعمران من حنة مريم، وولد زكريا من حنانة يحيى (عليه السلام) وولدت مريم عيسى (عليه السلام) وكان عيسى (عليه السلام) ابن بنت خالته، وكان يحيى (عليه السلام)، ابن خالة مريم، وخالة الأم بمنزلة الخالة، والرواية صحيحة .



لقد حرص اليهود على تسجيل تاريخهم أكثر من أي شعب آخر، لاعتقادهم المعروف بمختاريتهم، فسطروا فيها قمم مناجاة أنبيائهم مع أحط ما يمكن تصوره من فضائح ساداتهم وخياناتهم وانحدارهم في طريق اللاإنسانية، سجلوا تواريخ الأنبياء والملوك والدواعر على حد سواء، ولم يهملوا هزائمهم الحقيقية وانتصاراتهم المزيفة والمبالغ فيها أو الواقعية منها، فغطت كتبهم تاريخ الخليقة من البدء وحتى القرن الثاني بعد الميلاد.

والسؤال هنا ما الذي منعهم من ذكر شيء عن زكريا وعمران عليه السلام؟

الحقيقة إن السبب الرئيسي للتعتيم على تاريخ عمران وزكريا عليه السلام ناتج عن شخص المسيح نفسه، فهذا الرجل النبي قد حطم هيبة اليهود أمام أنفسهم بعد أن لم تقنعهم مئات السنين من الإذلال على تقبل ذلك. لقد جعل حلمهم بالملك المخلص يتحول إلى كابوس مرعب، فبدل أن يعيد لهم مجد الملك داود ـ أو لا أقل مجد المكابيين وسلطنتهم ـ تراه يحثهم على التخلي عن كل ما اعتقدوه وسيلة ناجعة لإعادة هذا المجد؛ وبالتالي فقد حرصوا ضمن سياق لاحق على أن يمحوا تاريخه، كما حاول هو ـ مثلما يعتقدون ـ أن يلغي أهميتهم الشخصية؛ ونتيجة لذلك فان محاولة إغفال شخص ما من التاريخ يتطلب إهمال أسلافه وأقربائه لكي يكون المحو تاماً. لقد سكتت كل مصادر اليهود عن ذكر المسيح مدحا أو قدحا فأهمل ذكره (فيلون الاسكندراني)

المعاصر له، ولم يذكره (جوستوس) من طبرية وهو معاصر له أيضا، ولا فوتيوس. ولا يغرنك ما وجد في تاريخ (يوسفيوس) من ذكر المسيح :

(في ذلك الوقت ظهر المسيح، شخص مقدس، إذا كنا ننعت رجلاً كذلك... وهو المسيح إلا أن زعمائنا أنكروه) .

فقد شكك أساطين المؤرخين بأصالة النص واعتبروه إضافة من أياد مسيحية اشتكت من فقدان ذكر فاديهم في كتب أبناء جلدتهم السابقين، فأضافوها إلى أحد كتب تاريخهم الشهيرة، فبدت كالرقعة الجديدة في الثوب الخلق .

وتلعب سلطة الكتبة المؤرخين دوراً استثنائياً في درج ما هو مرغوب إدراجه وما هو غير ذلك، فيستطيع أن يتبين إن فضيحة (يهوذا بن يعقوب) قد كتبها بعض كتاب مملكة إسرائيل نكاية بمملكة يهوذا، وإلا فمن غير المنطقي ـ رغم التفسيرات الضعيفة التي قدمت ـ أن يقدم شعب ما نفسه على انه نسل زناة. وكذا الحال في كل قضايا نسبة الخطيئة إلى الأنبياء والصالحين؛ فان منافسيهم التقليديين من القبائل المتنازعة يلعبون دوراً مهماً في صناعة القصص المحطة من أقدارهم .

ولذا نفهم سر عدم وجود مكتوب يتطرق إلى الأنبياء المرتبطين بالمسيح رغم أهميتهم العظمى - وقتها - عند الشعب اليهودي كيوحنا المعمدان.[1]

ولا يبعد أن يتم العثور لاحقاً على مخطوطات - كما حصل في خربة قمران - تحكي لنا شيئا عن تاريخ عمران وزكريا عليه السلام، وغيرهم من أنبياء الفترة المتأخرة.

---

(1) مرقس ١١: ٣٢ وان قلنا من الناس فخافوا الشعب. لان يوحنا كان عند الجميع انه بالحقيقة نبي. متي ٢١: وان قلنا من الناس نخاف من الشعب. لان يوحنا عند الجميع مثل نبي.



امرأة عمران

تسمي كتب العهد الجديد أم مريم وامرأة عمران: (حنا)، في حين دعيت امرأة زكريا عليه السلام باسم اليصابات (اليزابيث) ، وهما كما عليه بعض الروايات أختين كانت أولاهماعند عمران والأخرى عند زكريا عليه السلام لكن هذا مشكوك فيه. وافترض بعضهم انهما بنتان لفاقود بن فتيل[1]، وذلك بلا دليل تاريخي والراوي شخص مجهول، وقد وضح فيما سبق إن المحتمل الأقرب للواقع إن زكريا عليه السلام كان صهراً لعمران على ابنته وأخت مريم الكبرى.

الوعد والنذر المقدس

لقد وعد عمران ـ على كبر من سنه ـ أن يكون من نسله نبي[2]، وعلمت حنة بذلك؛ فنذرته أن يكون محرراً لبيت المقدس ـ كما فعلت حنة أم

---

(1) في مخطوطة حران كويثا إن أم يحيى هي (انشي قنتا) .

(2) عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى جل جلاله أوحى إلى عمران أني واهب لك ذكراً مباركا يبرئ الأكمة والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وإني جاعله رسولا إلى بني إسرائيل، قال: فحدث عمران امرأته حنة بذلك وهي أم مريم، فلما حملت كان حملها عند نفسها غلاما، فقال (ربِّ إنِّي نذرتُ لك ما في بطني مُحرَّرا) فوضعت أنثى فقال (وليسَ الذكرُ كالأنثى) إن البنت لا تكون رسولا، فلما أن وهب الله لمريم عيسى بعد ذلك كان هو الذي بشر الله به عمران...... لاحظ قول الإمام عليه السلام (إن البنت لا تكون رسولا) فلم ينفي عنها النبوة بل الرسالة .



صموئيل، ومن المتوقع لامرأة صالحة أن تكون قد اتفقت مع زوجها على ذلك. فمورد التصرف هذا مما لا يتوقع أن تنفرد به الأم مع عظمته وشدته عليهما معاً، أو يكون النذر قد تم بعد وفاة عمران وهي حامل ـ وهو الذي تؤكده قرائن عديدة.

فالزوج في الشريعة اليهودية يستطيع أن يفسخ نذر الزوجة[1] إذا لم يرض به. والناذر يستطيع التحلل من نذره قبل حصول متعلقه بمال يقدمه للكاهن[2].

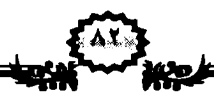
ونذر المولود لخدمة الرب كان شائعا وخصوصا للواتي يرغبن الإنجاب بعد عجز طويل، أو يطلبن الولد بعد سلسلة من الإناث. فيتحول المنذور (المحرر) إلى قربان مقدس كل التقديس فلا يفدى. والمحرر لبيت المقدس يمكث في الحرم المقدس لا يخرج منه إلا للضرورات الإنسانية، مما يشبه حالة اعتكاف مستمرة. وهو ملزم بشروط فصلت هناك[3].

---

(1) العدد ٣٠: ١٧١١ .

(2) لاويين ٢٧: ٨١ .

(3) العدد ٦: ١-٢١ .



ولادة مريم

وبعد تمام حملها ووضعها فوجئت وغيرها من أتباع النبي عمران بان المولود غير الموعود[1]. فـ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ وأردفت ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ في تحقيق وعد النبوة الرسالية ـ لا مجرد النبوة والتي سنرجح لاحقا إمكانها للأنثى ـ وإلا فإن من قال إن معنى قولها ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ في الخدمة، جهل تفاصيل الخدمة للمعبد التي يشترك فيها الرجال والنساء على حد سواء[2] ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾. أي الخادمة[3]﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا﴾، وانفرداها بتسميتها قرينة أخرى على رحيل عمران ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

---

(١) الصدوق بإسناده عن ابن أورمة، عن محمد بن أبي صالح عن الحسن بن محمد بن أبي طلحة قال: قلت للرضا عليه السلام أيأتي الرسل عن الله بشيء، ثم تأتي بخلافه؟ قال: نعم إن شئت حدثتك، وإن شئت أتيتك به من كتاب الله تعالى جلت عظمته "ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم" الآية، فما دخلوها ودخل أبناء أبنائهم، وقال عمران: إن الله وعدني أن يهب لي غلاما نبيا في سنتي هذه وشهري هذا، ثم غاب وولدت امرأته مريم وكفلها زكريا، فقالت طائفة: صدق نبي الله، وقالت الآخرون: كذب، فلما ولدت مريم عيسى عليه السلام قالت طائفة التي أقامت على صدق عمران: هذا الذي وعدنا الله. ومحمد بن أبي صالح والحسن مجهولين .
قد يفسر تأخير الوعد نتاجا للرغبة التي اجتاحت امرأة عمران بالولد النبي والتي قد تضحى رغبة متدنية لو رافقتها مناحي نفسية قال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل)٤٣: ٥٤. وتقدم لنا تفسيرا أعمق لما وري عن النبي صلى الله عليه وآله (استعينوا على الحوائج بالكتمان لها) وهو كتمان النوازع المتدنية .

(٢) صموئيل الثاني ٢: ٢٢ وغيره .

(٣) أو أمة الله من (مار ـ يا) ، (أنا خادمة للرب) لوقا ١: ٣٨ .



ولا شك إنها أتمت رضاعها ثم حملتها إلى كهنة الهيكل لتبقى تحت رعاية النسوة المكفلات بتربية المنذورين الصغار. ليتكفلها فيما بعد أحد الكهنة فيعلمها أحكام الشريعة ودورها في الخدمة .

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ وهذا التقبل استجابة لدعاء أمها في تسميتها بالخادم وهذا الإنبات الحسن استجابة لتعويذة أمها لها من الشيطان الرجيم .

وقولها ﴿وذريتها من...﴾ يؤكد معنى الوعد الذي لم تشك فيه فحولت آمالها إلى ذريتها وهي لا تزال في المهد مما يبين شدة وضوح رؤيتها وأملها في الموعود. وهذا الدعاء سيشمل كل ذرية مريم، لذا فمن اثبت لمريم أولاداً غير عيسى ﷺ أنجبتهم بعده فقد اثبت كذب إنجيل يوحنا في زعمه إنهم لم يكونوا من المؤمنين به.[1]

وذكروا إنها كانت تشب في اليوم ما يشب غيرها في الشهر، وظنوا إن النبات نبات الجسد، وهذا من ضيق الأفق بمكان، إنما هو نبات الخصال الحسان والنوايا الطيبة.

ولا شك إن المعلمين يتنافسون على التلاميذ النجباء للدنيا والآخرة، فمن بغا منهم الدنيا فسينال من المديح والثناء الكثير، لتربيته هذا النجيب وذاك

---

(1) انجيل يوحنا ٧:٤ .

الفطن. ومن سعى للآخرة فهو يرجو في النجباء ما يرجو من دوام أحكام الشريعة وتطبيقها واستمرار الكهانة النقية الذكية .

وكفلَها زكريا عليه السلام[1] بعد أن تنازع الكهنة فيما بينهم لنجابتها أولا، ولكونها بنت عمران النبي الراحل ثانيا.

ويحكي القرآن عن تساهم حصل وقرعة جرت فيما بينهم لحسم النزاع، وهو ناتج عن انه لا قريب لصيق بمريم يكون أولى من غيره بكفالتها، ولم يعتبروا زواجه من أختها شيئا يذكر .

وجرت القرعة بإلقاء الأقلام، وحكوا إنها أقلام التوراة التي بها يكتبون القوها في نهر الأردن! ورغم إن المنطق يتوقع أن تكون القرعة لا تحتمل كل هذا الجهد، فيمكن إجرائها تحت سقف الهيكل. وإلقاء الأقلام (والتي تسمى

---

(1) عن الحكم بن عيينة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله في الكتاب (وإذْ قالت الْملائكةُ يا مرْيمُ إنّ اللّه اصْطفاك وطهّرك واصْطفاك على نساء الْعالمين) اصطفاها مرتين، والاصطفاء إنما هو مرة واحدة، قال: فقال لي: يا حكم إن لهذا تأويلاً وتفسيراً، فقلت له: ففسره لنا أبقاك الله، قال: يعني اصطفاها أولا من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين، وطهرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاح، واصطفاها بهذا في القرآن (يا مرْيمُ اقْنُتي لربّك واسْجُدي وارْكعي) شكراً لله، ثم قال لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) يخبره بما غاب عنه من خبر مريم وعيسى: يا محمد (ذلك منْ أنْباء الْغيْب نُوحيه إليْك) في مريم وابنها وبما خصهما الله به وفضلهما وأكرمها حيث قال (أيُهُمْ يكْفُلُ مرْيم وما كُنْت لديْهمْ) يا محمد (إذْ يخْتصمُون) في مريم عند ولادتها بعيسى أيهم يكفلها ويكفل ولده فقلت له: أبقاك الله فمن كفلها؟ فقال: أما تسمع لقوله (كفّلها زكريّا) الآية



بالقداح) يعبر عن وضعها في كنانة الاقتراع لا ما فهموه من النهر والماء، بل الأغرب من ذلك زعمهم إن أقلام بقية الكهنة غاصت وصعد قلمه رغم إن أقلامهم كانت جميعها من القصب كما يدل عليه تاريخ التدوين!.

وروي إن السهام ستة والمقترعون بضع وعشرون رجلاً. وفي شرعية القرعة نظر، إذ أن أولى الناس بكفالة اليتيم هو الحجة الشرعي أو من يخوله؛ وزكريا عليه السلام هو حجة زمانه وأولى من مؤمني عصره بأنفسهم؛ إلا انه تنزل وقبل الخوض معهم في القرعة إيمانا واحتسابا.

ومما يفهم من خلال هذه الواقعة: إن من حول زكريا عليه السلام من الكهنة لم يكونوا مؤمنين بنبوته ولا فضله؛ وإلا فما وجه التشاح والتنازع الذي وصل حد التخاصم، وروي إن الواقعة قد حدثت مرتين الأولى وهي صغيرة والأخرى وقت شيخوخة زكريا عليه السلام بعد ولادتها عيسى عليه السلام، والأمر محتمل على كل حال، فكفلها زكريا عليه السلام في المرتين.

كفالة زكريا عليه السلام

لا تتحدث الأناجيل عن صفة العلاقة الرابطة بين مريم وزكريا عليه السلام غير أن لوقا يؤكد وجود قرابة لم يفصح عن منشأها[1] بين مريم واليصابات. والمعروف إن ما عدا لوقا قد أهملوا ذكر زكريا عليه السلام. والأثر الإسلامي متردد ما بين اعتبارها خالة لمريم أو أخت لها كما قدمنا[2]، وفي بعض الأحيان يرد زكريا عليه السلام باعتباره خالاً لها، وهو فيما يبدو تجوز على زوج الخالة. ويكاد يبعد عن الذهن أخوة اليصابات لمريم الفرق الزمني الواسع بينهن (أكثر من أربعين سنة ربما) لكن هذا البعد بعيد أيضاً بعد أن تعرف عن وجود أخوة بينهما في الميلاد أربعة أو خمسة عقود.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ وهذا الإنباء خاص برسول الله صلى الله عليه وآله في الأصل وبالتبعية لكل من قرأ القرآن. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[3].

***

(1) لوقا ١: ٣٦ .

(2) قال عكرمة: كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد، وكانت عند خالتها امرأة زكريا أيام حيضها، فإذا طهرت عادت إلى بيتها في المسجد!.

(3) آل عمران ٤٤. وتكرار (ما كُنت لديهم) مشعر بان حادثتي إلقاء الأقلام والاختصام حادثتان منفصلتان زمانا. ويؤيده رواية الحكم السالفة .



بقيت مريم في الهيكل سنوات عديدة تتعبد وتخدم الكهنوت وتنبت نباتا حسنا حتى بلغت.

وقيل إنها بقيت في كفالة زكريا عليه السلام (١٧) عاماً.[1]

وحين استوت في مقامات الكمال بدأت تطرح الأسئلة عليه كلما زارها ليتفقدها، وبدت تلك الأسئلة غريبة على من لم يخض مسير التكامل على يد مُرب قدير، وبدا إن مريم ترزق بغير وسيط، **﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**. فالرزق رزقان:

---

(1) قال اليعقوبي في تاريخه ج١ ص٦٨ إن زكريا بن برخيا بن بشوا بن نحرائيل بن سهلون بن ارسوا بن شويل بن بعود بن موسى بن عمران ! وان مريم بقيت في كفالته (١٧) سنة. وإنها ولدت عيسى في يوم الثلاثاء لأربعة وعشرين يوما خلت من كانون الأول. وهذا التاريخ لا يصادف الثلاثاء إلا في

٢٤ ك ١٤١ ق.م ، ٢٤ك ٩ ق.م .

٢٤ ك ٧١ ق.م ، ٢٤ك ٣١ ق.م .

وهو معارض لما نقله عن ما شاء الله المنجم إن الطالع للسنة التي ولد فيها المسيح في الميزان والمشتري في السنبلة (العذراء وزحل في الجدي والمريخ في الجوزاء (التوأمان) والزهرة في الثور وعطارد والشمس في الحمل. فالشمس لا تكون في الحمل في بداية الألف الأول للميلاد إلا في نهاية شهر آذار، لكن بغض النظر عن أرقامه الدقية التي ذكرها من درجة ودقيقة فان اقرب صورة لمثل هذا الوضع الفلكي قد حدث منتصف ليلة ٢٣ آذار (١٣ق.م). رغم انه أخطأ في تحديد موقع عطارد فقد كان ليلتئذ في الحوت لا في الحمل ولعله خطأ نسخي .

فأولهما: هو ما يرزق به جميع العباد.

وثانيهما: الرزق المخصوص. وهو أما بواسطة، أو بغير واسطة، ومن المستعبد أن يندهش من هو مثل زكريا عليه السلام من رزق يتشارك فيه الخلائق، أو من رزق آتى بواسطة، بل إن اندهاشه إنما هو من الرزق المخصوص الآتي بلا وساطة.

وعبر عن هذا الرزق في بعض الأدبيات انه فاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس. وهو وان كان غير حرفي تماماً، إلا انه يشير إلا إن وارداتها كانت نادرة على من هو في حالها، فهي قد تكون في حالة جلالية فتردها واردات جمالية والعكس كذلك، وفي ذلك من الخفاء ما فيه.

وتصور الآيات السابقة إنها كانت ملازمة للمحراب، والذي فُسر بأنه ما ُسمي بذلك إلا لأنه مكان محاربة الشيطان، أو لان من يقف فيه يجب أن يكون حريباً أي سلبياً، أو بمعنى أوضح؛ متجرداً من كل شيء، فكانت مريم تقضي وقتها في مكافحة النوازع التسافلية والتجرد من العلائق الدنيوية فهي في خلوة وجلوة وتجرد .

مريم في المعبد

انتبذت مريم ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾[1]. وبالتالي فأنها لجأت إلى مكان ما شرقي محل سكنى أمها. والإجماع على إنها كانت تتعبد في بيت المقدس حاصل، فيكون سكناها الأول وسكنى أسرتها إلى الغرب من بيت المقدس وبيت لحم تقع إلى الجنوب من القدس، بخلاف الناصرة التي تقع شمالها.[2] والعرب تُسمي الجنوب شرقاً ويميناً، لذا فان السكن الأصلي لعائلة المسيح كانت في الناصرة التي تقع شمال القدس وفق هذا الفهم، لان جنوب الناصرة هو شرقاً في لغة العرب. في حين إن السائد بين المفسرين إنها اعتزلتهم متخذة شرق الدار أو المعبد مكاناً لها، وذكر الشرق في هذه الحالة يكون غير مفيد كما هو واضح، أو نقول إن كلاً من متي ولوقا مخطئان وان سكنى مريم أساساً كان في مدينة أو مكان غرب البيت المقدس.

و﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً﴾ والحجاب المتخذ إما هذا اللباس المخصوص، أو العزلة عن ملاقاة قومها، أو حال من أحوال التعبد حجز بينها

---

(1) قال ابن عباس: إنما اتخذت النصارى المشرق قبلة لأنها انتبذت مكانا شرقياً، وقيل: اتخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة لئلا تشتغل بكلام الناس، عن الجبائي، وقيل: تباعدت عن قومها حتى لا يروها، عن الأصم وأبي مسلم، وقيل: إنها تمنت أن تجد خلوة فتفلي رأسها، فخرجت في يوم شديد البرد فجلست في مشرقة للشمس، عن عطاء!! .

(2) هناك مدينة أخرى باسم بيت لحم في فلسطين كانت تقع على مسافة سبع أميال إلى الشمال الغربي من الناصرة.

وبينهم[1]، ويمكن أن يكون كل ذلك. ولا تتوفر معلومات دقيقة عن المسلك العام للعابدات الإناث في تلك الفترة، إلا انه من المتوقع أن تكون هذه الاحتمالات للسلوك التعبدي واردة. حيث تقدم الفنون الدينية الغربية في الرسم والنحت شخصية مريم مرتدية لباساً محتشماً، مما يذكرنا بالحجاب الإسلامي، وهو مؤيد للفهم الأول، كما إن ذكر دخول زكريا ﷺ لتفقدها واستغرابه مما يجد عندها من الرزق يؤكد معنى الثاني، والمعنى الثالث مؤكد من متابعة أحوال العابدين لاسيما من هم بمرتبة مريم .

ونتيجة لهذا المسلك فقد كانت مريم تهيأ نفسها ـ ولو دون علم ظاهر لمرتبة من مراتب التكامل. فقد اختيرت لتكون مع ابنها آيةً للعالمين. ونتيجة لهذا الاختيار نُقَي باطنها ومدت بالمدد المناسب لتحتمل ما قد اختير لها من احتمال كلمة من الله، هذا الاختيار الذي سيجعلها في بلاء طويل، تقبّلته راضية ـ بمقدار كمالها ـ واحتملت منه الأمرين. فما بالك بالعذراء المتعبدة التي تحمل من غير زوج في عصر مريض بالنوايا الشريرة والظنون الفاسدة، ولو كانت من اللواتي لايخشَين ما يقال لهن وعنهن لاختلف الأمر، إلا أن خسارة سمعة المؤمن ونزاهته لا تشمله وحده، بل سيكون مثالاً سيئاً لمن هم

---

(1) كالواردات والأحوال التكاملية المانعة من التماس مع الأغيار في الباطن وحتى الظاهر، ونسبة الفعل لها هنا بقوله (اتخذت) يدل على مدخلية الإرادة والنية السابقة في حصول المراد ونسبته لها .



دونه، حتى إنها اشتكت ساعة المخاض، لأنها علمت أنها لن تجد في قومها رجلاً رشيداً واحداً يمكنه أن يتفهم حالها، عندما لم تكن تعلم السبيل الذي سيجعله الله لها لإثبات براءتها. فان قلت وأين مقام زكريا عليه السلام فيهم؟، نبهناك إلى ما قلناه وقت الحديث عن القرعة إن إيمانهم به كان محدوداً أو معدوماً.

وليس من المستبعد أن تكون هناك عدة حوادث حصلت لمتعبدات فقدن سلوك الطريق القويم، مما سيزيد الأمر تعقيداً وستشمل معهن في قائمتهن. وأي تبرير كان سيقف عاجزاً لإثبات البراءة غير تَكلّم الرضيع في مهده .

لابد أن مريم كانت شابة قادرة على الإنجاب وقت حصول حملها، ولابد إنها قضيت ما ينيف على عشرة سنين في المعبد وطوال هذه الفترة لم يكن إلا زكريا عليه السلام من يشرف عليها، والذي كان قد اخذ منه الكبر ما اخذ، وليس عندنا ما يؤكد أو ينفي أنها تلقت منه منهجاً عبادياً خاصاً ساعدها على تدارك دوامات النفس البشرية للارتقاء إلى الكمال، لكن معنى الكفالة متضمن لذلك بحسب الذوق والفهم الدقي الأخلاقي لأصولها، مع ما وجد من استعدادها وقابليتها على الاستفادة والتطبيق، وفيه تأمل، ناشئ من استغرابه من أرزاقها، فلو كان ممن يهيئون السبيل لها لتحصيل الرزق المعنوي لما كان للاندهاش وجه.

والمرويات تذكر إنها كانت في العاشرة من عمرها، إلا أن ذلك بلا دليل ولعلها كانت اكبر من ذلك ببضع سنين.[1]

ولقد كانت مريم قد وصلت في مرحلة ما إلى القدرة على الاتصال بعالم الغيب، وسماع ما يصدر عن الملائكة من خطابات وتلقّت البشارة المبكرة بالاختيار، ومن ثم التطهير والاصطفاء.[2]

وكانت تَلقى الدعم المعنوي في الثبات على السلوك الذي اختطته لنفسها. لذا كان لها علم سابق بخطابات الغيب ورسالاته، وهي مرتبة ليست مقتصرة على الأنبياء، بل هي ممكنة لكل من له القابلية على التَلَقي، نبياً كان أم غير نبي، رجلاً كان أم امرأة، صغيراً كان أم كبيراً. ومع ذلك فان مريم لم تكن لتتطلع يوماً ما إلى تَشخَص إحدى الكائنات الغيبية أمامها .

---

(١) قال البيضاوي في تفسيره:(أنها كانت بنت ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين. وإنها حاضت قبل الحمل حيضتين فقط؟). ومن المؤلم حقا هذا الإسفاف في تحديد خصوصيات لا يطلع عليها إلا الشخص نفسه أو المعصوم أحيانا. ولا دليل مسندة من معصوم لما قاله البيضاوي هنا .

(٢) (وإذْ قالت الملائكةُ يا مريَمُ إنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وطهَّركِ واصْطفاكِ على نساء العالمين ❖ يا مريَمُ اقْنُتي لربِّكِ واسْجُدي واركعي مع الرَّاكعين) آل عمران ٤٢، ٤٣. لقد رتبت مراتب الحث على العبادة : بالحث على القنوت والسجود ومن ثم الركوع مع الراكعين. وهي مراتب للمستحب والجزء الواجب والواجب. وهي وان كانت عناصر للصلاة في الإسلام إلا أن لُبها الجوهري موجود في جميع الأديان السماوية فلا داعي للزعم بان صلاتها كان كصلاة المسلمين .



نبوة مريم

في بعض الروايات إن مريم واحدة من أربع نبيات. وقد يكون هذا مفاجئاً تماماً، إلا إن الأمر في جملته مشوّشاً في الذهن، فهناك فهم ساري إن المرأة لا تصلح للنبوة، وسبب ذلك الاعتقاد من جهتين اثنتين:

أولهما: إن النبوة مدار للخوض في المجتمع ومواجهة للرجال والنساء على حد سواء، وصراع مع قوى اجتماعية عديدة، وهذا مما لا تطيقه المرأة ولا تقدر عليه وان رغبت.

وثانيهما: الارتكاز على الآية الكريمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً﴾.[1]

لكن كلا الأمرين قابل للمناقشة.

فأولهما وثانيهما معاً مبتنيان على خلط بين مفهوم النبوة ومفهوم الرسالة.

فالآية الكريمة مختصة كما هو واضح بالرسل لا الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا... ﴾.

والنبوة هي القدرة على الاتصال بالغيوب العلوية بانتظام بشكل نازل.[2]

أما الرسالة فهي تكليف النبي أو غيره[1] بإيصال جملة من اتصالاته أو كلها. ومن غير المتاح لنا هنا أن نفصل كل الفروق بينهما، إلا انه يمكن القول إن بين النبي وبين الرسول عموم وخصوص من وجه[2].

([1]) يوسف ١٠٩ .

([2]) هناك اتصالات بغيوب سفلية تحدث لنظير النبي. والمراد بشكل نازل إن النبوة منحة إلهية نازلة لا جهد تكاملي صاعد.

ورغم إن الرواية التي قدمنا ذكرها ليست بشهيرة، إلا أنها لن تكون فكرة نشازاً على العقل المسلم وفق ما قدمناه .

والثلاثة الأخريات وفق الرواية هن: سارة[٣] وأخت موسى وآسيا امرأة فرعون. وقد وصفت مريم وآسيا مع خديجة وفاطمة عليهن السلام بأنهن الأربع الكوامل فقط من النساء. والتوراة صرّحت إن مريم أخت موسى نبية، كما ستقرأ لاحقاً، بل إن العهد القديم والجديد أيضاً أشار إلى وجود مثل هذه الظاهرة ، فسمّيا (دبورة قاضية بني إسرائيل)[٤] و(خلدة)[٥] و(حنة بنت فنوائيل)[٦].

لكن مثل هذا الأمر ذي الأهمية العقائدية ـ ولو من جانب نظري ـ يحتاج إلى التثبّت من مصدر هذه الرواية؛ ولا وجود لها في مصادر الحديث

---

(١) قال تعالى: (إذ أرسلنا اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) وكبار المفسرين يقولون إنهم جملة تلامذة المسيح وهؤلاء ليسوا بأنبياء وفق الفهم الإسلامي .

(٢) معنى العموم والخصوص من وجه هنا إن النبي يمكن أن يكون رسولاً أو إن يكون وان الرسول يمكن أن يكون نبيا أو لا يكون. وفرق العلامة الطباطائي في تفسير قوله تعالى (ورسولا إلى بني إسرائيل) بين النبوة باعتبارها منصب البعث والتبليغ وبين الرسالة باعتبارها منصب السفارة الخاص الذي يستتبع الحكم والقضاة بين الناس. وتميزنا منصب على جهة أخرى هي جهة المصداق لا المفهوم فلاحظ .

(٣) كون سارة بمرتبة مريم أو آسيا مستبعد، وربما يعزى وضعها في القائمة لمجرد مخاطبتها الملائكة .

(٤) قضاة ٤: ٤.

(٥) الملوك الثاني ٢٢: ١٤.

(٦) لوقا ٢: ٣٦ .



الإسلامية منسوبة إلى أحد وإنما عرضت نقلاً عن بعض الملاحدة والدهرية الذين نسبوها إلى النبي ليعترضوا على الآية المذكورة آنفا ويثبتوا تناقضها. وورد إنكار كون كل من تلكم النسوة كانت نبياً على لسان محمد رضوان الله تعالى عليه بن أبي بكر. ولا عبرة في تأكيدات التوراة فإنها لم تكن لتميز بين المحق والكذاب، فتسميهم جميعاً أنبياء وتميزهم بحسب السياق إلا نادراً، فتذكر عن بعض المدعين إنهم (أنبياء كذبة). لكن مع ذلك، وبعد التمييز بين النبي والرسول، ودفع الاستدلال بالآية لاختلاف المؤدى، فان إمكان النبوة للمرأة قد غدا يحتاج إلى مانع صريح. ولا وجود له !!

البشارة

وفي أحد الأيام وحين كانت مريم في متعبدها وخلوتها إذ ظهر لها كائن علوي تَلَبَسْ بصورة الآدمي. فارتعبت ـ أولاً ـ لمكان الخلوة الحاصلة. وثانياً: أنها عجزت عن تفسير دخوله لمكان كان فيما يبدو موصداً من الداخل .

فـ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً﴾[1]. وقد قالوا أنها احتملته تقياً فأرادت تذكيره بذلك ليرتدع عما ظنّته منه، أو إنها وبّخته بأنه لو

(1) استخدامها لفظ الرحمن دون بقية الأسماء لكونه شامل الرحمة للتقي وغيره، وتقييدها الاستعاذة بالرحمن كونه تقيا (إن كنت تقيا) مشعر بأنها لربما كانت لتستعيذ باسم آخر من أسماءه الحسنى إن لم يكن كذلك. فان التقي لا يظن فيه غيره بادي ذي بدء إلا كل خير وإنما هي التجارب التي تصنف الناس. ولعلها فهمت إن الاستعاذة بالرحمن إنما



كان تقياً لما جرؤ على الدخول عليها هكذا، وهذا ضعيف لمكان خوفها ورهبتها .

لكنها سرعان ما هدأت وسكن روعها، بعد أن قال لها: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾. فكأنها لسكون قلبها من مخاطبة الروحاني اطمأنت لصدقه لتتلقى البشارة ـ البلاء .

فكيف سُميَت بشارة وهي ابتلاء بذهاب السمعة، و تلقّي اللوم والتقريع من قومها، وخصوصاً ـ وهذا ما يشعر بالأسى أكثر ـ من خاصة المؤمنين وكبار العابدين!.

ومن الواضح إن ذهاب السمعة لم يحصل، وان اللوم والتقريع لم يستمر أكثر من دقيقة واحدة؛ هي مقدار ما تكلموه حينها، فجاءتهم البيّنة الخارقة على تكذيب ظنونهم.

ومن المستبعد أن يكون أحد ما قد اطلع على حملها، وإلا ما كانوا انتظروا حتى تضع حملها ليوبّخوها، وإنما ـ وبحسب السياق ـ فأنها هذه كانت قد ابتعدت عن قومها قبل أن يظهر حملها للعيان. فلا لوم حاصل وقتها ولا

يبدو أثرها لمن كان تقياً بخلاف ما لو لم يكن تقياً في حين إن في مرتبة متقدمة من درجات الكمال كما في حرز الرضا يفهم شمول هذه الاستعاذة لكل الخلق يقول عليه السلام: (أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً أو غير تقي) .



تقريع، ثم مع حصول البلاء وشدته فانه لا يقاس بما ستحصل عليه من تَقَبلها له، والنظر العالي غير الداني، وكذا المصالح والحكمة الإلهية .

نعم ستبقى طوال حياتها على الأرض تتلقى اللوم والبهتان العظيم ممن هو أهل للفرية ورمي الطاهرات، كما هو متوقع من أسافل الناس والذين كانت فلسطين وقتئذ تموج بهم.

وقول المبشر ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً ﴾ ناسباً الهبة لنفسه تنزيهاً لله عن فعل هبة الغلام المستدعية في الذهن ما لا يليق به جل وعلا.

والنص الآخر للبشارة هو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْه﴾[1] وما قيل من أن هذه الآية تعني: إن الملائكة الذين هم في مرتبة أدنى من المبشر الرئيسي لمريم، حكمهم حكمه، فان قال: قالوا، وان قالوا إنما عن أمره، صحيح في نفسه، إلا انه للوهلة الأولى لا يمنع تكرار البشارة. فالأولى تضمنت بشارة بـ﴿ غُلاماً زَكِيّاً﴾. سيجعله ﴿آيَةً لِلنَّاس﴾ و﴿رحمة﴾ من الله و ﴿وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾. وبشارة الملائكة تضمنت البشارة بـ﴿كلمة منه﴾ وتسميته، وكونه ﴿وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، لذا فان تعدد البشارة قد يكون هو الحاصل، مما يرفع من شأن مريم التي قبلت بالأمر أول مرة ورضخت له دون أن تعرف تلكم الخصائص العالية التي ربما تساعد المرء على تقبّل مثل هذا الامتحان. وما قال لها بشأن كونه

---

(١) آل عمران ٤٥ وما بعدها .



(زَكِيّاً) وكونه (آية) و(رحمة) رغم علو هذه الخصائص إلا أنها خصائص عامة بخلاف كونه (كلمة منه) وكونه (المسيح) وكونه (وجيها) في الدارين ومن (المقربين)

فإنها اقرب إلى تصور الإنسان وميله إلى التشخيص[1]. إلا أن كون الهبة قد حدثت فور البشارة مانع من تكرارها كما هو واضح لمن فهم الفورية من قوله (فحملت به) .

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾[2]، ومن المتوقع وفق هذه المفاجأة أن تتساءل مريم عن الكيفية التي ستحظى بالولد منها؛ فهي لم تمس قط من بشر، وقولها (بشر) بدلا من (إنسان) موحي بان لفظة (البشر) إنما تدل على الخصوصيات الجنسية والمواصفات المادية بخلاف لفظة (الإنسان) الدالة على المناحي الروحية والعقلية لهذا الكائن، فهي نفت الاتصالات ذات الطابع المادي، وخصوصاً الجنسي منها دون الاتصالات

(1) قالوا: وفي هذه الآية دلالة على جواز إظهار الكرامات على غير الأنبياء (عليهم السلام) لان من المعلوم أن مريم ليست نبية، وأن رؤية الملك على صورة البشر وبشارة الملك إياها وولادتها من غير وطء إلى غيرها من الآيات التي أبانها الله بها من أكبر المعجزات، ومن لم يجوز إظهار المعجزات على غير النبي اختلفت أقوالهم في ذلك: فقال الجبائي وابنه: إنها معجزات لزكريا، وقال البلخي: إنها معجزات لعيسى على سبيل الإرهاص والتأسيس لنبوته. أهـ. وما قالوه ناتج عن استصغارهم لشأن الولي ومدى شمول الله له برحمته ولطفه فأنها كانت تتلقى الرزق من عند الله ولم يكن لعيسى ولا لزكريا دور في تلك، بلى إنها بذلك أثارت عواطف زكريا النبي ورغبته في شموله بالرحمة الواسعة .

(2) مريم ٢٠ .



الطبيعية مع والدتها وأقاربها ورفيقاتها في ا لعبادة، ودون الاتصالات ذات الطابع العقلي والروحي معهم ومع غيرهم. وقولها ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ﴾، فيه معنى دقيق فبخلاف الزوجية المنتجة للولد فاحتمال الزنا هو المتعيَن، إلا أنها استخدمت كلمة البغي بدلاً عنه، وهو يشير إلى طلب الزنا، فالبغي في اللغة هو الطلب وشدة الطلب، والبغي في الاصطلاح هو الظلم، فتشير إلى إنها لم تكن ظالمة لنفسها بالزنا، ولا (ساعية لتحصيل ما ليس لها) وهو معنى أدق للبغي.[1]

ولفظ (أنَى) في العربية لفظ غني بالمعاني، فهي تفيد السؤال عن (الزمان) والمكان) و(الكيفية، بشقيها التقني والوجودي)، ونعني بالتقني انك تتساءل عن كيفية صنع شيء ما، ما هي الطريقة؟ وما هي الوسائل المستخدمة؟؛ لكي يمكنك تصور العمل؛ فلا يمكن التصديق بلا تصور. وأما التساؤل - وفق الشق الوجودي- فانه يعني العجز عن تصور حدوث شيء ما. فيقول القائل (أنى يسبق المسبب السبب) استنكاراً واعتراضاً. واحتمال تساءل مريم عن الزمان والمكان مستبعد وفقاً للسياق. كما إن إيمانها بقدرة الله المانع من توقع استنكارها واعتراضها مستبعد فيستبعد تسائلها عن الكيفية الوجودية.

والسياق يشير إنها كانت تتساءل عن الشق التقني، فبعد إخبار المبشّر لها بان الكيفية التقنية إنما تدور في عالم الأسباب والعلل الطبيعية، وإنها ستحصل

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.



على الولد من عالم الأمر: الذي لا يحتاج إلى الوسائل التقنية، من وجود الوالد والتواصل البيولوجي؛ سكنت وقرت، بخلاف ما لو كان تساؤلها عن الكيفية الوجودية؛ نتيجة أن الشك شامل لعالمي الأمر والخلق، ولن ينقذها من شكها إخبار كائن من كان بخلافه .

(قال) المبشر ﴿بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. فقد بيّن لها إن الأمر كما قال، وان الله قادر على كل شيء، فنسب هنا القدرة لله ﴿كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ ....﴾ ولم يقل انه عليّ هيّن، كما قال: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً﴾ هناك .

وقد يكون المعنى (الأمر كما تقولين حتى بالنسبة لي) إلا أن الله قال ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

إلا أن ذلك منفي بكون الملائكة من عالم الأمر وعلمهم بالقدرة على تكوين الكائنات بلا أسباب ولا مسببات بديهي .

* * *

والنص الأول الذي طالعناه يقول: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً❁ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً❁ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً❁ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ

وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾.[1]

وعودا على النص الآخر للبشارة ومقارنته بالنص الأول: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[2]

فإن النص الأول يصور مريم في حالة خطاب مباشر مع الله والثاني مع الرسول، ومن الواضح لذوي البصائر أن لا تناقض في ذلك ولا اختلاف، بل هو تصوير من جهتين (إن جاز التعبير)، فمريم وان كانت تخاطب الرسول في تصوير النص الأول إلا أنها في الحقيقة معلقة الهمة بالله جل وعلا، متطلعة لمخاطبته، عارفة إن المرسل ـ وليس الرسول ـ هو الذي بيده ملكوت كل شيء.

والخطاب مع الملك تفصيلي فهي استعاذت منه أولا، ثم تحدثت عن موانع إنجاب الولد في حالتها الحاضرة، وبيّن لها الملك قدرة الله على ذلك، وبعض من خصال المولود.

(١) مريم ١٧ --٢١ .

(٢) آل عمران ٤٥ -٤٦ .



في حين إن النص الثاني كان محتوياً للتساؤل والرد عليه فقط. وقد قلنا فيما سبق انه لا مانع من تعدد البشارة فيكون إن زمان النص الأول غير الثاني، وان التصوير من جهة واحدة لواقعتين بعد أن ترادفت البشائر. والمانع الحقيقي في ذلك هو الفهم القائل إن البشارة أعقبها الحمل الفوري كما فهم مجموع المفسرين فلا متسع زمني آخر لتكرارها .

والفروق بين النصين تكشف عن معانٍ جديدة كما هو المتوقع مع القرآن، فذكر الغلام أمام الملك يقابله ذكر (الولد) أمام الله. وأغفلت مريم براءتها من البغي أو البغاء أمام الله. ونهايات البشارة مؤكدة في كلا النصين على انه ﴿أَمْراً مَقْضِيّاً﴾ فلا يرد بالاستعفاء أو الدعاء، وانه ﴿إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ دلالة على انتفاء الوسائط والمقدمات الطبيعية.

والنص الثاني يجعل الملائكة هم المخاطبين أما ختام الآيات فهو فيما يبدو من كلام الذات العلية. إلا أن النص الأول في مقابله، يبدأ بكلام الله ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ ثم تختم البشارة بقوله:﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ....﴾. وأما بالنسبة للتغاير الصائر في قولها (غلام) و (ولد) فمرده ظاهرا إنها وردت على الملك لقوله ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً ﴾ بالخصوصية المضافة للمولود وهي كونه غلاماً، فلما التفتت إلى الله سألت عن أصل التكوين وكيفية نشوئه ؛ مما يرجح تعدد الخطاب ولو على المستوى المعنوي. وكذلك فان إغفالها

لتبرئة الذات من البغي فمرده إلى التأدب العالي في الخطاب أمام الله جل وعلا.

كتب لوقا:

(وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية .

فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وهاأنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية، فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست اعرف رجلاً. فأجاب الملاك وقال لها. الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله. وهو ذا اليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً. لانه ليس شيء غير ممكن لدى الله. فقالت مريم هو ذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك. فمضى من عندها الملاك. فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت



بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا. ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات. فلما سمعت اليصابات سلام مريم أرتكض الجنين في بطنها. وامتلأت اليصابات من الروح القدس. وصرخت بصوت عظيم وقالت: مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك. فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي ألي. فهو ذا حين صار صوت سلامك في أذني أرتكض الجنين بابتهاج في بطني. فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب .

فقالت مريم:

تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلّصي.

لأنك نظر إلى اتضاع أمته. فهو ذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني.

لان القدير صنع عظائم واسمه قدوس ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه.

صنع قوة بذراعه. شتّت المستكبرين بفكر قلوبهم .

أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين .

اشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين .

عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة .

كما كلم آباءنا. لإبراهيم ونسله إلى الأبد.

فمكثت مريم عندها نحو ثلاثة اشهر ثم رجعت إلى بيتها).[1]

الحمل المقدس

حملت مريم بالكلمة المباركة، والحمل غير الحبل الذي لم يستخدم في القرآن: فهو يعني امتلاء بطن المرأة من الجنين، في حين إن الحمل يفيد تحملها له، ويضعها في مقام المسؤولية عنه. وقد يشير هذا المعنى لو ورد بخصوص مريم إن حملها مما لم يكن ليملأ البطن لكنه قد ورد في غيرها. وتقول بعض الروايات: إن الملك ناولها تمرة فكانت المسبب للحمل[2]، فابتعدت بحملها، و(فاء التعقيب) ـ الواردة في قوله تعالى: ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ ـ دالة على فورية تنحيها عن القوم وابتعادها عنهم؛ لعظم المسألة وخشيتها من اكتشافهم لتغيّر حالها، وهذه حال من يكتم أمراً عظيماً فيظن إن الناس جميعاً تعرفه أو تكاد.

---

(1) لوقا ١: ٢٦-٥٦ والنص المعلم بخط موافق لما ورد في القرآن الكريم عن قصة البشارة .

(2) الصدوق بإسناده إلى ابن أورمة، عن احمد بن خالد الكرخي، عن الحسن بن إبراهيم، عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن عليه السلام قال: أتدري بما حملت مريم؟ قلت: لا، قال: من تمر صرفان أتاه به جبرائيل عليه السلام.
بكر بن صالح، عن سليمان الجعفري عنه عليه السلام مثله، وفي آخره، نزل بها جبرائيل فأطعمها فحملت .



وعبر القرآن أنها ذهبت بحملها إلى مكان قصي، و(فاء التعقيب) الثانية في قوله تعالى ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ تدل على تتابع الأحداث بلا انقطاع. طبعاً بشرط أن يتحقق الحدث السابق.

فمن قال إن حملها بضع ساعات وجب التزامه بخيار إن الإنتباذ كان لمكان لا يعدو مسافة الساعات التسع، أو أن يلتزم بحصول طي الأرض لها مع اختياره لمكان بعيد جداً كشاطئ الفرات.

وأما من قال إن حملها اشهر تسع أو اقل فانه لا محالة ملتزم بالمكان البعيد جداً؛ ضرورة أن التعقيب يلتزم التتابع كما قلنا، ولن يحصل الانتباذ إلا بعد قطعها لمسيرة اشهر مساوية لمدة حملها فيكون مفاجأة المخاض بعد حصول الانتباذ تماما. وإلا لو كان حملها شهوراً فإنها ستظل منتظرة ـ بعد حصول التنحي عن القوم- بقية مدة الحمل الطويلة مما يناقض ورود (فاء التعقيب).[1]

والروايات الواردة في مدة الحمل تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

---

[1] الحقيقة إن التعقيب كل شيء بحسبه كما قيل؛ قال تعالى: (فخلقنا العلقة مضغة وخلقنا المضغة عظاما....) الآية . مع إن الفرق بين كل مرحلة وتاليتها أربعون يوما كما هو معروف ومروي .



الحمـل بالمـدة المعتـادة، والحمـل بمـدة اسـتثنائية كالثمانيـة اشـهر والسـتة اشهر[1]، أو الحمل شبه الفوري والذي تراوح بين الساعة وهو المروي عن ابن عباس والباقر(عليه السلام)[2]، والتسع ساعات معادلة لتسعة اشهر وهو مروي عن مقاتل، ووردت رواية منسوبة لأبي عبد الله (عليه السلام) بذات المعنى[3].

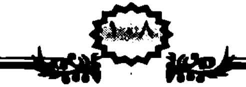
وروايات السـاعات ضعيفة أولاً، وتسـتلزم مؤونة زائدة في التزامها بطي الأرض مع الالتـزام بـذهابها إلى العـراق ثانيـاً، وهـي مخالفـة للنسـق الطبيعي الذي لا مفر من الالتزام به ما لم تترتـب ضـرورة على معاكسـته أو التخلص منه ولم يفسر القائلون بذلك الضرورة من ذلك إلا زيادة رصيد المعجز !

---

(1) محمد بن يحيى، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن عمرو الزيات، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لم يولد لستة اشهر إلا عيسى بن مريم، والحسين ابن علي (عليهم السلام). والحديث ضعيف بالإرسال .

(2) قيل: إن جبرائيل أخذ ردن قميصها بإصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها ووجدت حس الحمل، عن ابن عباس. وقيل: نفخ في كمها فحملت، عن ابن جريح. وروي عن الباقر (عليه السلام) أنه تناول جيب مدرعتها فنفخ نفخة فكمل الولد في الرحم من ساعته، كما يكمل الولد في أرحام النساء التسعة أشهر، فخرجت من المستحم وهي حامل مثقل فنظرت إليها خالتها فأنكرتها، ومضت مريم على وجهها مستحية من خالتها ومن زكريا.

(3) حميد بن زياد، عن أبي العباس عبيد الله بن أحمد الدهقان، عن علي بن الحسن الطاطري، عن محمد بن زياد بياع السامري، عن أبان، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن مريم حملت بعيسى (عليه السلام) تسع ساعات، كل ساعة شهرا. والحديث ضعيف الإرسال .



وأما روايات الحمل الاستثنائي، فإنها كأخواتها (ذوات الساعات) فهي مرسلة إلا واحدة وهي رواية الهاشمي، لكن راويها الرئيسي ضعيف[1]. لذا لم يبق إلا الخيار الطبيعي وهو أن مريم حملت بعيسى عليه السلام كما تحمل النساء[2].

(1) أحمد بن الحسن، عن أحمد بن يحيى، عن بكر بن عبد الله بن حبيب، عن تميم بن بهلول، عن علي بن حسان، عبد الرحمن بن المثنى الهاشمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يعش مولود قط لستة أشهر غير الحسين وعيسى بن مريم عليهما السلام .
الصحيح هو: عبد الرحمن بن كثير الهاشمي وهو مغموز عليه متهم بالوضع كما في النجاشي والاستبصار. فالرواية ساقطة من الاعتبار .

(2) ويترتب على ذلك - إذا ما صدقنا زعم لوقا إن بين حمل مريم واليصابات ستة اشهر، وما روي إن يحيى هو ابن ستة اشهر- إن الفارق العمري بينهما هو سنة وثلاثة اشهر .



عيسى المسيح عليه السلام

يسمى المسيح في الإنجليزية Christ من الأصل اليوناني Christos والتي تعني الممسوح بالزيت المقدّس. والمسيح في العربية لفظة توازي الكلمة العبرية (مسياه) والتي يعود أصلها مع الفعل (مسح) العربي إلى جذر سامي (جزري) واحد. وهي تعني المسح بالزيت المقدس الذي كان يمارسه الأنبياء والكهنة لمباركة الأنبياء والكهنة والملوك، لإحلال البركة فيهم. فكلمة المسيح تعني حرفياً (الممسوح بالزيت المقدس) إلا إنها في الاصطلاح تعني في الحقيقة (المبارك) وقد أشار القرآن لذلك ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً﴾ والأناجيل تصرّح بهذا المعنى أيضاً **(مبارك الآتي باسم الرب، مبارك ملك إسرائيل)**.[1]

في حين كان مدخل التحليل عند المسلمين لمعنى (المسيح) تارة من خلال العمل (سوح) فهو مسيح بمعنى سائح، وأخرى من (مسح) ومعانيه المتعددة،[2] وهي وأن كانت قد صدقت على المسيح إلا أن ما فهمناه يؤيده القرآن أولاً والأناجيل ثانياً، ويؤيده معنى (المسح بالزيت لتحصيل البركة)، وكذلك إطلاق لفظ المسيح على الكاهن[3] وعلى المسكن[1] وعلى كورش

([1]) حرف الكلمة إلى (تبارك) في طبعات عديدة والقصد واضح .

([2]) وقيل: لأنه مسح باليمن والبركة،عن الحسن وقتادة وسعيد، وقيل : لأنه مسح بالتطهير من الذنوب، وقيل: لأنه مسح بدهن زيت بورك فيه، وكانت الأنبياء تتمسح به، لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله، وقيل : لأنه يمسح عين الأعمى فيبصر، عن الكلبي، وقيل : لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا أبرأه، عن ابن عباس في رواية عطاء والضحاك.

([3]) (لاويين (٣: ٤) .



ملك الاخمينيين[٢] والجامع المشترك بين هؤلاء هو (البركة) فالكاهن مبارك والمسكن مبارك وكورش مبارك -وفق العهد القديم- .

أما اسم (عيسى) فترجمه الإنجليز إلى Jesus من اصل العبري (عيسو).[٣]وقد زادوه حرفي (J) و (S) وإلا فالمفترض أن يكتب هكذا (Esau) . وهو اسم عبري قديم وشائع، أول من سمي به (عيسو بن إسحاق) والذي سمته العرب (العيص) وتجد في أسفار العهد القديم وتاريخ يوسفيوس (العاديات اليهودية) والعهد الجديد عدداً كبيراً من الشخصيات العبرانية التي تحمل هذا الاسم. ومعنى (عيسو) مقارب لمعنى المغطى بشيء، أو الممسوح لكون (عيسو) ولد مغطى بالشعر. وكان المسح بالزيت يشمل جسد الممسوح من قرني رأسه وحتى أخمص قدميه، فيغطى الفرد الممسوح بالزيت تماماً، لذا فان اسم (عيسو) و(المسيح) صورتان لفظيتان لمعنى واحد.

وذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره انه ورد في بعض الروايات:إن معنى اسم عيسى عليه السلام هو (يعيش)، واعتبرها واحد من التشابهات المعروفة بين عيسى ويحيى عليه السلام. ولم أجد مصدر الرواية مع كثرة المطالعة والبحث .

---

(١) (لاويين (٨: ١٠) .

(٢) (اشعيا ٤٥: ١) .

(٣) قد تقرأ بصيغ مختلفة (يهشوه/ يهشوع/ بشوع/) وقد توسطت اليونانية بين الآرامية -لغة الشرق في عصر المسيح -وبين اللغات الحالية عند ترجمة الأناجيل قالـ (S) في نهاية (Jesus) هي لاحقة الأسماء في اليونانية كـ(بولس ومرقس وبطرس وتوماس) .



والمفارقة إن هذا الاسم (يسوع)غدا محرماً لدى كلا الفريقين اليهود والنصارى بسبب تكفير اليهود لصاحبة وتأليه النصارى له.

والاتفاق قرآني - إنجيلي على إن اسم (عيسى) كان من اختيار الملك[1] وهو النبي الثالث الذي يتم اختيار اسمه سماويا بعد يحيى واحمد عليه السلام .

---

(1) لوقا ١: ٣١ (فستحبلين وتلدين ابنا تسمينه يسوع) .



نسب يسوع أو (سلالة يوسف النجار)

يقدم اثنان من كتاب الأناجيل هما متي ولوقا سلسلة نسب من المفترض أنها سلسلة نسب للمسيح، إلا أن المفاجأة تكمن لدى قارئها بأنها تتحدث عن المسيح وكأنه ابناً فعلياً ليوسف النجّار، فالنسب هو نسب يوسف النجار رغم إن من البديهي لو كان يؤمنون فعلا بـ(الحبل البتولي) أن تكون مريم هي الرابطة بين عيسى عليه السلام وأسلافه .

ويعزى السبب الذي ألجأهما إلى هذا النسب المضلل رغبتهما في نسيان وتناسي الضجة التي أحدثها اليهود حول نسب عيسى فيصرح لوقا إن المسيح (كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف النجار)، ورغم كل هذا فالنسب كاذب! فكيف يمكن فهم كلا السلسلتين المقدمتين من قبل متي ولوقا على انهما سلسلة لنسب شخص واحد وفيهما:

نسب عيسى عند متي	نسب عيسى عند لوقا
بين داود ويوسف ٢٦ جيلا	بين داود ويوسف ٤١ جيلا
يوسف بن يعقوب بن متثات	يوسف بن عالي (هالي) بن متان
يوسف من نسل سليمان بن داود	يوسف من نسل ناثان بن داود
يوسف من سلالة ملوك يهوذا	يوسف من سلالة مغمورة
شألتيل بن يكينا	شألتيل بن نيري
ابيهود بن زربابل	ريسا بن زربابل

والمدقق في النسبين يجد إن متي مثلاً قدم النسب متسلسلاً من داود وسليمان ونسله الملوكي حتى وصل إلى يورام[1]، ثم فجأة قفز إلى عزيا (عزريا) وهو أبن امصيا بن يواش بن يوأحاز بن ياهو بن يوشافاط بن نمشي والنسبين مختلفين تماماً، ويعزى ذلك فيما يبدو إلى إن التالي في سلسلة النسب الأول هو اخزيا بن يورام، الذي (فعل الشر في عيني الرب) فتخلَص متي من هذا النسب المشين وربطه بسلالة ياهو الجلعادي!! .

والأسوأ من ذلك إن (زربابل)، وان ورد في سفري حجي وحميا بأنه أبن شألتئيل، إلا انه في سفر أخبار الأيام الأول هو ابن فدايا أخي شألتئيل وليس ابنه.[2]

ويذكر متي إن ابيهود بن زربابل، في حين إن لوقا يقول إن ريسا بن زربابل، والحقيقة انه لا ابيهود ولا ريسا من أبناء زربابل، بل لا وجود لاسم ريسا في العهد القديم كله، وأما اليهود فهو أحد أحفاد بنيامين وهي المرة الوحيدة التي ذكر فيها هذا الاسم في العهد القديم !.

وأما سلسة لوقا فإنها تضم أسماء لم يرد ذكرها أبداً في العهد القديم عدا أربعة أسماء فقط !

---

(1) راجع ملاحق النسب في نهاية الكتاب .

(2) أخبار الأيام ص ٣: ١٩ .



والنسب المفترض لعيسى عليه السلام يتضمن نماذج يستحي الفرد العادي من الانتساب إليها لكفرها وفجورها وزناها، ففي سلسلة النسب تلك هناك ستة زناة على الأقل وعدد من الذي عبدوا الأوثان و (فعلوا الشر في عيني الرب).! ويمكن القول انهما (أي سلسلتي النسب) من أغبى ما يمكنه أدراجه لنكرة فما بالك بالرب المؤله .

لقد توفي داود حوالي (٩٧٠ ق.م) والفاصلة بينه وبين المسيح في حدود ألف سنة فيكون معدل الجيل لدى متي (٣٨) سنة وهو غير مقبول بالمرة في حين تبلغ لدى الآخر (٢٥) سنة تقريباً وهو موافق لما عرف من التقديرات بشأن متوسط الجيل مما يرجح إن عدد أفراد سلسلة النسب الحقيقية بين عيسى وداود عليه السلام تقارب الأربعين فرداً .

ولا نعرف الآن إلا انه عيسى بن مريم بنت عمران عليه السلام.

يوسف النجار

المسيحيون يعتبرون يوسف النجار قديساً ورجلاً صالحاً يخاف الله وقد كان خطيباً لمريم ولما علم بحملها أراد التخلّي إلا أن ملاك الرب ظهر له وأقنعه بالعدول عن عزمه وانه تزوج مريم ستر لها! لكنه لم يقربها حتى وضعت حملها، ثم تصوره بصورة الوسيط الإلهي فهو الذي جاءه الأمر بالهرب إلى مصر، وهو الذي جاءه الأمر بالرجوع من مصر إلى بلده. ولوقا لا يقر بما قال متي من حصول الزواج بل يقول إنها ولدت عيسى عليه السلام وهي لا تزال مخطوبة، ولا يقدم يوسف إلا بصورة هزيلة كونه خطيباً لمريم حسب .

فما الذي حدا بمتي لاختراع قصة قداسة يوسف على حساب قيمة مريم. ربما هو ذاك الدافع لتطبيع قضية الوالد وان عيسى عليه السلام كان يظن انه ابن يوسف النجار والزواج المزعوم لتخفيف صدمة الحبل البتولي وسلسلة النسب التي تنتهي بيوسف النجار، مما يؤكد إن كتاب الإناجيل لم يكونوا مقتنعين تماماً بالحبل من الروح القدس أو يجدون في أنفسهم حرجاً من الاعتراف بها. ويبدوا إن اليهود وجدوا في يوسف النجار كبش الفداء لإلصاق التهمة به[1] مما حدا بكتاب الإنجيل تصويره بصورة خطيب مريم القديس! .

---

(1) عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن نوح بن شعيب، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن علقمة، عن الصادق عليه السلام أنه قال في حديث طويل: ألم ينسوا مريم بنت عمران إلى أنها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف؟! الخبر .

وفي إنجيل برنابا[1]فان يوسف بعد أن أحس بحمل مريم اتخذها عشيرة له، وهو نظام اجتماعي مارسه اليهود إلى عصر قريب، فيقوم المخطوبان في العيش مع أحدى أسرتيهما بلا وصال ليكتشفا إمكان الانسجام بينهما من عدمه فان وجداه تم الزواج وإلا عاد الضيف منهما إلى أهله وداره .

حدد القرآن مكان الولادة بكونه ﴿مَكَاناً قَصِيّاً﴾ وكثرت الروايات التي تحدد مكان الولادة في العراق لتنقسم إلى قسمين: أحدهما يشير إلى ما عرف لاحق بمسجد براثا[2]

---

(1) برنابا ٢: ٢: ١٤ .

(٢) عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن أمير المؤمنين عليه السلام سأل عن الديراني الذي كان في مسجد براثا وأسلم على يديه:من صلى ههنا؟ قال:صلى عيسى بن مريم عليه السلام وأمه، فقال له علي عليه السلام: أفأخبرك من صلى ههنا؟ قال:نعم، قال: الخليل عليه السلام.
حميد بن قيس قال: سمعت أبا الحسن علي بن الحسين بن علي بن الحسين قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا جعفر بن علي بن الحسين يقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء، فقال للناس: إنها الزوراء فسيروا وجنبوا عنها، فإن خسف أسرع إليها من الوتد في النخالة، فلما أتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعة له، فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك قال: ولم؟ قال لأنها لا ينزلها إلا نبي أو وصي يقاتل في سبيل الله عز وجل هكذا نجد في كتبنا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا وصي سيد الأنبياء، وسيد الأوصياء فقال له الراهب: فأنت إذن أصلع قريش، ووصي محمد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ذلك، فنزل الراهب إليه فقال: إني وجدت في الإنجيل نعتك وأنك تنزل أرض برثا بيت مريم وأرض عيسى عليه السلام، فأتى أمير المؤمنين عليه السلام موضعا فقال: الكزوا= =هذه فألكزه برجله عليه السلام فانبجست عين خرارة، فقال: هذه عين مريم التي انبعت لها، ثم قال: اكشفوا ههنا على سبعة عشر ذراعا، فكشف فإذا بصخرة بيضاء، فقال عليه السلام: على هذه وضعت مريم عيسى عليه السلام من عاتقها وصلت ههنا، ثم قال: أرض براثا هذه بيت مريم عليها السلام. والرواية لا تتعارض مع روايات

والثاني يشير إلى ضفاف الفرات قريباً من كربلاء[1] أو الكوفة .

(الكوفة) في تحديد مكان الوضع فإنها تصف براثا بأنها مسكن ومصلى لمريم وعيسى لا مسقط رأسه والعين المنبجسة هي غير الماء المعين والذي فسرته الروايات بماء الفرات .

(١) الصدوق عن ابن الوليد، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن يحيى بن عبد الله قال: كنا بالحيرة فركبت مع أبي عبد الله عليه السلام فلما صرنا حيال قرية فرق الماصر قال: هي هي، حين قرب من الشط وصار على شفير الفرات، ثم نزل فصلى ركعتين، ثم قال: أتدري أين ولد عيسى عليه السلام؟ قلت: لا ، قال: في موضع الذي أنا فيه جالس، ثم قال: أتدري أين كانت النخلة؟ قلت: لا، فمد يده خلفه فقال: في هذا المكان، ثم قال: أتدري ما القرار وما الماء المعين؟ قلت: لا، قال: هذا هو الفرات، ثم قال: أتدري ما الربوة؟ قلت: لا، فأشار بيده عن يمينه فقال: هذا هو الجبل إلى النجف، وقال: إن مريم ظهر حملها وكانت وفي واد فيه خمسمائة بكر يتعبدون وقال: حملته تسع ساعات، فلما ضربها الطلق خرجت من المحراب إلى بيت دير لهم فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة فوضعته فحملته فذهبت به إلى قومها، فلما رأوها فاختلف فيه بنو إسرائيل فقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: هو عبد الله= =ونبيه، وقالت اليهود: بل هو ابن الهنة، ويقال للنخلة التي أنزلت على مريم: العجوة: والرواية ضعيفة بالقاسم بن يحيى .

علي بن إبراهيم، عن أبيه وعلي بن محمد جميعا، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث قال رأيت أبا عبد الله عليه السلام يتخلل بساتين الكوفة فانتهى إلى نخلة فتوضا عندها ثم ركع وسجد، فأحصيت في سجود خمسمائة تسبيحة، ثم استند إلى النخلة فدعا بدعوات ثم قال: يا حفص إنها والله النخلة التي قال الله جل ذكره لمريم: (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) وحفص عامي. ووفق هذه الرواية فانه يستلزم إن النخلة قد عمرت أكثر من ستة قرون! قارن قول الصادق وفق رواية يحيى بن عبد الله السابقة (أتدري أين كانت النخلة)؟ .

علي بن الحسين، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن الحكم، عن سليمان بن نهيك، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: "وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين" قال: الربوة: نجف الكوفة، والمعين الفرات .

أحمد بن مهران وعلي بن إبراهيم جميعا، عن محمد بن علي، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في مسائله التي سأل



في حين إن روايات الإنجيل حول مكان الولادة مشوشة[1]، فقد أهمل مرقس ويوحنا حادثة الولادة في جملة ما أهملوه من تاريخه المبكر، في حين يذكر متي ولوقا صراحة انه ولد في بيت لحم[2]، إلا انه يفهم من متي، إنها الموطن الأصلي لمريم ويوسف وان الذهاب إلى الناصرة كان ناتجا عن قلق

النصراني عنها فقال له أبو إبراهيم عليه السلام: والنهر الذي ولدت عليه مريم عيسى هل تعرفه؟ قال: لا، قال: هو الفرات. الخبر.

قال المسعودي في إثبات الوصية: ومضت مريم على وجهها حتى أتت قرية في غربي الكوفة يقال لها بشوشا، ويروى بانقيا، وهي اليوم تعرف بالنخيلة وفيها عظام هود وشعيب وصالح وعدة من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فاشتد بها الطلق فاستندت إلى جذع نخلة نخرة قد سقط رأسها .

(١) قال صاحب مرآة العقول: وكون ولادة عيسى عليه السلام بالكوفة على شاطئ الفرات مما وردت فيه أخبار كثيرة، وربما يستبعد ذلك بأنه تواتر عند أهل الكتاب بل عندنا أيضا أن مريم كانت في بيت المقدس، وكانت محررا لخدمته، وخرجت إلى بيت خالتها أو أختها زوجة زكريا فكيف انتقلت إلى الكوفة والى الفرات مع هذه المسافة البعيدة في هذه المدة القليلة؟ والجواب أن تلك الأمور إنما تستبعد بالنسبة إلينا، وأما بالنسبة إليها وأمثالها فلا استبعاد فيمكن أن يكون الله تعالى سيرها في ساعة واحدة آلاف فراسخ بطي الأرض، ويؤيده قوله تعالى (فانتبذت به مكانا قصيا) أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد، هذا على فرض كون مدة حملها ساعات قليلة، وإلا على فرض كونها تسعة اشهر أو ثمانية اشهر فيمكن أن يكون ذهابها إلى الكوفة بغير طي الأرض أيضا، والمشهور بينهم أن ولادته كانت في بيت لحم بقرب بيت المقدس .

(٢) القصة القائلة بولادة المسيح في كهف بيت لحم ترجع إلى أواسط القرن الثاني الميلادي عندما ذكرها جوستين الشهيد .



العائلة العائدة من مصر من جبروت أرخيلاوس وليتم ما قال الأنبياء ـ على حد تفسير متي طبعا- (ويدعى ناصريا).[1]

لكن الجميع (أهل الإسلام والنصارى) متفقون إن مريم خرجت بحملها إلى مدينة بعيدة عن مسقط رأسها لتضع فيها حملها المبارك .

ووفق ذلك فأن مريم غادرت بيت المقدس إلى العراق ووصلت الكوفة أو قريباً منها، ووضعت حملها هناك ثم صعدت إلى براثا واستقرت فترة طالت أو قصرت لتعود إلى بلادها وعيسى عليه السلام لا يزال في المهد .

مريم في المخاض

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً﴾[2] تؤكد هذه الآية أنها وضعت وليدها في ارض ذات نخل، وفلسطين نادرة النخل، في حين إن العراق أكثر نخلا من جميع بلدان الأرض. لكن لام العهد في (النخلة) يبين إنها نخلة معروفة مما يشير إلى مكان يشار فيه إلى النخل لندرته كما هو حال فلسطين بخلاف المكان الكثير النخل إلا أن تكون تلك النخلة كبيرة وضخمة ومعروفة لهذا السبب أو لسبب آخر، فيبقى

(١) قد يفهم إن هذه المحاولة سعي لربط المسيح بجماعة (الآخيرين) التي كانت تحرم الخمر واسترقاق العبيد والمتخذة للناصرة ملجأ لها. ولا يوجد في العهد القديم مثل هذه النبؤة المزعومة بل لا يوجد لفظ ناصري أصلا فيه!!

(٢) مريم ٢٣ .



الأمر كما هو عليه من ترجيح كون الولادة حاصلة في العراق، والمعزز بكثرة الروايات .

والمخاض هو الوجع الحاصل من الطلق. وهذه الآية مما يدفع به أقاويل الغلاة من أن بنات الأنبياء يلدن بشكل غير طبيعي .

وتمني الموت حصل نتيجة لإحساسها بأهمية كرامة المؤمن والخوف الشديد من انتهاكها بأبشع الصور من قوم عرف عنهم انتهاكهم لحرمات الأنبياء، فضلاً عن غيرهم. وروي عن الصادق عليه السلام إنها ما تمنته لأنها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهها عن السوء .

وقد استدل من تمنيها الموت بجوازه. لكن هناك فرق لم يلتفت إليه. وهو أن تمني سبق الموت مختلف بالمرة عن تمني الموت في الآن فقد قالت **﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾** ولم تقل (يا ليتني أموت)، ولا يخفى على من لديه السليقة الفرق بينهما. ويشبه ذلك ما روي عن السجاد عليه السلام قوله **﴿فليتها لم تلدني﴾**[1] وهو عين مراد مريم .

والنسي المنسي بحسب المفسرين الشيء الحقير المتروك وقيل: حيضة ملقاة أو اللبن المختلط بالماء فيترك لحقارة شأنه. لكن المتأمل في لغة القرآن يرى أن (النسي) يفيد معنى التأخير والإرجاء .

---

(1) مناجاة الخائفين من الصحيفة .



﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا[١] أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ◆ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ[٢] تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ◆ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾[٣]

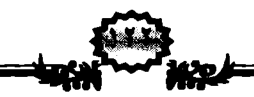
والإشارة إلى القوى التي دونها في الرتبة، فالمؤمن في كماله يترقى على الطبيعة والموجودات بحسب تقدمه، فتخضع له المراتب الأدنى من عناصر الطبيعة والمخلوقات، فليس عيسى عليه السلام بالمنادي ولا جبريل بحسب ما يظهر من الإشكالات التي ترد على اختيار أحدهما منادياً. وهذه القوى تخدم الأكمل منها وهي مجردة عن اهتماماته، فلذا تبدو في مثل هذه اللحظات اثبت جناناً وأكثر استقرار؛ مما أوحى للمفسرين إن المنادي هو مرتبة علية كجبريل أو عيسى عليه السلام. وساعدهم صيغة الأمر في قول المنادي (لا تحزني) و(هزي إليك) الخ. وصيغة الأمر تأتي بقصد النصيحة في كثير من الأحيان ويمكن أن تصدر النصيحة من مراتب أدنى فلا دليل في ورود صيغة الأمر هنا على العلو في المخاطبة .

---

(١) قرأت (من تحتها) وتدل على الشخص و(من تحتها) وتدل على المكان. قال السدي وقتادة والضحاك أن المنادي جبرائيل ناداها من سفح الجبل، وقيل: ناداها عيسى، عن مجاهد والحسن ووهب وسعيد بن جبير وابن زيد وابن جرير والجبائي .

(٢) روي عن الباقر عليه السلام: لم تستشف النفساء بمثل الرطب، إن الله تعالى أطعمه مريم في نفاسها، قال: إن الجذع كان يابساً لا تمر عليه إذ لو كان عليه تمر لهزته من غير أن تؤمر به، وكان في الشتاء فصار معجزة لخروج الرطب في غير أوانه ولخروجه دفعة واحدة .

(٣) مريم ٢٤ "قيل معناه طيبي نفسا، وقيل: معناه: لتبرد عينك سروراً بهذا الولد الذي ترين، لان دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة، وقيل: معناه: لتسكن عينك سكون سرور برؤيتك ما تحبين .



والحزن غريزة إنسانية تختلف دوافعها وليست دائماً في محل الارتياب والنقص ما دام الدافع -في نقاشنا هنا- الحفاظ على سمعة النموذج المؤمن .

وفي هذه الآيات من صور الاحتمال الكثير: فالمنادي على ما قالوه إما (جبريل أو عيسى عليه السلام ورجحنا غيرهما)

و(السري)[1] إما النهر أو السيد الشريف. وتستطيع فرض احتمالات على معنى (التحتية) على فرضيها المادي والمعنوي، وعلى معنى (الجعل) بمعنى الخلق أو التصيير، وعلى معنى (النخلة)، وهي الشجرة المعروفة أو النفس الإنسانية، وهكذا .

وحكوا: إن النخلة كانت غير مثمرة فأثمرت لحينها، فان صحّت الرواية فإنها إشارة لطيفة لكون مريم عذراء لم تلقح فأنجبت بقدرة الله مولوداً. إلا انه غالباً ما تكون تلك الروايات من صنع القصاصين ومسلمة اليهود .

رغم إنه يمكن الاستشعار من قوله ﴿بجذع النخلة﴾ (والأمر بهز النخلة) على كونها غير مثمرة؛ لكونها لو كانت ـ مثمرة ـ لما كان هناك حاجة للأمر،

---

(1) قد جعل ربك تحت قدميك نهرا تشربين منه وتطهرين من النفاس، عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، قالوا: وكان نهراً قد انقطع الماء عنه، فأرسل الله الماء فيه لمريم واحيا ذلك الجذع حتى أثمر وأورق، وقيل: ضرب جبرائيل برجله فظهر ماء عذب، بل ضرب عيسى برجله فظهر عين ماء تجري وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام، وقيل: السري: عيسى عليه السلام عن الحسن وابن زيد والجبائي، والسري هو الرفيع الشريف، قال الحسن: كان والله عبداً سرياً.

لكن ذلك يمكن دفعه بأنه أمر تكويني لا تشريعي أي إنها انصاعت إلى الغريزة الإنسانية في طلب الطعام .

ولمن ظن إن النخلة هنا تعني النفس الإنسانية فان هز النخلة هو تحريك النفس الإنسانية وإيقاظها بحزم من رقدها لتتساقط الثمرات العالية الجنية رطبا من جذعها الخشن الصلب. فتأكل من لذائذ الثمرات المركوزة في النفس الإنسانية، وتشرب من انهار معارفها الهنية. لتقر عينها وتسكن نفسها الحزينة من شدة البلاء وشماتة الأعداء. ففي طريق الكمال لا تعدم الشامت والهازئ والمكفر والمفسق في بلاءات تتبعها ابتلاءات .

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾[1] وهنا عودا لاستخدام لفظة البشر في قصة مريم وقلنا إن معناه من يمتلك الخلقة الآدمية أو أهل الظواهر في مقابل الملاك أو الروحاني أو أولي الألباب أو أهل البواطن.

---

(1) أي صمتا، عن أبن عباس، والمعنى، أوجبت على نفسي لله أن لا أتكلم. وقيل صوما، أي إمساكا عن الطعام والشراب والكلام، عن قتادة. وإنما أمرت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرئ ساحتها عن ابن مسعود وابن زيد ووهب. وقيل: كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي، يدل على هذا قوله "أني نذرت للرحمن صوما. أي إني صائمة فلا اكلم اليوم أحدا، وكان قد أذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم بشيء آخر، عن السدي . وقيل: كان الله تعالى أمرها أن تنذر لله الصمت، وإذا كلمها أحد تؤمي بأنها نذرت صمتا، لأنه لا يجوز أن يأمرها بأن تخبر بأنها نذرت ولم نذرت لان ذلك كذب عن الجبائي .



والصوم تطوعاً لله ملازم للفرح والاستبشار،وهو هنا لا بمعناه الفقهي ـ مع الالتزام بسريان أحكام الشريعة المحمدية على من قبلنا، وفيه نظر ـ إذا قلنا إن الصوم حصل بعد يوم أو يومين لنفاس مريم واعتباره مانعا للصوم. أما إذا ما قلنا ـ وهو الأرجح ـ بعد سريان تشريعنا عليهم، فلا مانع هنا من كونه صوماً فقهياً. أو نقول إن ملاقاتها للبشر ستتأخر كثيرا حتى تخرج من حالها المانع للصوم بالمعنى الفقهي فيكون كلا الأمرين متساويين. وهذا الأمر بالصمت إما تكويني فتمتنع تكوينا وتصير في حال من أحوال أهل الله يمنعها من مخاطبة البشر أو أمر تشريعي يمنعها من حالة الاندفاع الغريزي عن النفس ومجاهدة عظمى للصبر على الفرية والسكوت عن المفترين، والخطوة الأولى والمهمة للتحقق في مقام التسليم .

ويمكن أن يكون المراد بـ(قولي) معنى (أشيري)، قال تعالى ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾[1] وهي معقولة في معنى (أن تشير) وتنفيذها للأمر (فأشارت إليه) دليل قاطع بذلك .

ويبدو إنها خوطبت بأمر أيكال إثبات براءتها لوليدها نفسه كما سترى، عندما يقذفها قومها ببهتانهم .

---

١ طه:٩٧



المجوس الثلاثة

حكى متي عن قدوم مجوس من المشرق[1] لرؤية المسيح المولود بعد رؤيتهم لنجم في المشرق (The Star of Bethlehem).

فما هي احتمالات صدق هذه الواقعة؟

وما الفائدة لو ثبتت؟

وما علاقة المجوس بانتظار المسيح؟

من المفترض أولاً أن نفهم المقصود بعبارة (رأينا نجمه في المشرق)، فالمألوف لدى الشعوب القديمة إنها تطلق على الكواكب والنجوم معاً اسم النجم خصوصاً فيما يتعلق بالطالع، بل إن الكوكب هو المختص في هذه الحالة باسم النجم. وقد يطلق أيضاً على المذنبات اسم النجم ذي الذيل، كما

---

[1] قال أبو جعفر بن بابويه في كتاب النبوة في باب سياقه حديث عيسى بن مريم عليه السلام: وقدم عليها وفد من عظماء المجوس زائرين معظمين لأمر ابنها، وقالوا: إنا قوم ننظر في النجوم، فلما ولد ابنك طلع بمولده نجم من نجوم الملك، فنظرنا فيها فإذا ملكه ملك نبوة لا يزول عنه ولا يفارقه حتى يرفعه إلى السماء فيجاور ربه عز وجل ما كانت الدنيا مكانها، ثم يصير إلى ملك هو أطول وأبقى مما كان فيه، فخرجنا من قبل المشرق حتى رفعنا إلى هذا المكان فوجدنا النجم متطلعا عليه من فوقه، فبذلك عرفنا موضعه، وقد أهدينا له هدية جعلناها له قربانا لم يقرب مثله لأحد قط، وذلك أنا هذا القربان يشبه أمره، وهو الذهب والمر واللبان لان الذهب سيد المتاع كله، وكذلك ابنك هو سيد الناس ما كان حيا، ولان المر جبار الجراحات وكذلك ابنك يبرئ الله به الجراحات والأمراض والجنون والعاهات كلها، ولان اللبان يبلغ دخانه السماء ولن يبلغها دخان شيء غيره وكذلك ابنك يرفعه الله عز وجل إلى السماء وليس يرفع من أهل زمانه غيره .



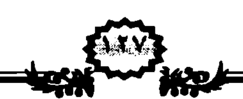
يسمى النيزك بالنجم الساقط. وبما أن حركة النجم تكاد تكون ثابتة فان الباحثين لقضية نجم المجوس لضبط وقت ميلاد المسيح، لكنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة دقيقة .

لقد كانت الأمم القديمة تولي عناية هائلة للطوالع والاقترانات الكوكبية وتعتمد عليها في استشفاف المستقبل ومن الاقترانات المهمة التي شغلتهم، هو اقتران كوكبي المشتري وزحل واستمرت في بلاد الشام حتى عصر المعري فقال من الوافر:

قران المشتري زحلاً يرجى   لإيقاظ النواظر من كراها

وهذا الاقتران يحصل في دورات صغرى ووسطى وكبرى فدورته الصغرى تستغرق (٢١) سنة وينتقل خلالها إلى البرج الثالث التالي للبرج الذي وقع فيه الاقتران، ويعود للبرج التاسع بعد مرور (٢٠٠) سنة تقريباً وهذه دورته الوسطى، أما دورته الكبرى، فإنهما لا يعودان إلى الاقتران في نفس البرج الأول الذي حصل فيه الاقتران إلا بعد مرور (٩٧٤) سنة وأربعة اشهر و (١٢) يوماً.

وبقيت هذه الظاهرة معروفة في فلسطين، بعد ميلاد المسيح بفترة طويلة ولها أصداءها في التراث الإسلامي، فقد استغلت من قبل مؤيدي ثورة سمعان، وفي مقدمتهم الكاهن اليهودي عقبة، فاعتبر الاقتران الحاصل في (



١٩ كانون الثاني ١٣٤م) دليلاً على صحة مدعياته وبهذا استحق لقب ابن الكوكب .

وقد حدث هذا الاقتران ثلاث مرات في العام (٧ قبل الميلاد) (٢٧ أيار، ٣٠ أيلول كانون أول) وهذا قد يفسر العبارة الواردة في متي (٢-٩):

(وبينما هم في الطريق إذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه...) .

فقد شاهد (المجوس)! النجم وهم في (المشرق) ثم رأوه في فلسطين والمسير من المشرق (حدود العراق الشرقية) إلى فلسطين يستغرق قرابة الشهر، فبينما شاهدوا اقتران (٣٠ أيلول في المشرق فقد شاهدوا اقتران (٧) كانون أول في فلسطين .

بل إن هناك ظاهرة أخرى - رغم أني يعتريني الشك منها - قد حصلت لتفسير (الرؤية المجوسية للنجم) وهي ظاهرة مرور مذنبين فوق سماء المشرق في ذات العام.

فالمذنب الأول والذي بلغ ذروة استطالته يوم (٢٥) تموز العام (٧) قبل الميلاد هو المذنب(Winnecke) والذي كان يمكن رؤيته بصعوبة في أواسط آب حتى في بلاد فارس ومر بعد ذلك مذنب Holmes الذي أشرق في أيلول (٧) قبل الميلاد ثم بدأ يتعالى في السماء حتى وصل إلى ما يقارب



سمت الرأس في أواسط كانون الأول سنة (٧) قبل الميلاد وكان مرئياً للعين المدققة. فهل المقصود بعبارة (فوقف فوقه) إن النجم كان يبدو فوق سمت الرأس أو قريباً منه في المدينة التي ولد فيها المسيح؟

الحق انه لم يحصل أن كان مذنب Holmes على سمت الرأس تماماً إلا على هضبة الأناضول في بداية العام السادس قبل الميلاد. لذا فان عبارة (وقف فوقه) إما أن تكون عرفية أو غير دقيقة بالمرة. وقد بلغ Holmes أعلى ارتفاع له عن الأفق في فلسطين في (١/١/ ٦) قبل الميلاد فلو قبلنا كلا التفسيرين بغض النظر عن تعارضهما في المبنى، فان تاريخ ولادة المسيح حصلت خلال كانون الأول سنة (٧) قبل الميلاد أو بعده بأيام.

في حين ظهرت جملة من الدراسات رَجَحت أن تكون الفترة ما بين (٦-١٥) أيلول هي فترة الولادة.[1] والظاهر إن القول: "انه ولد في الخامس عشر من أيلول" مبتنى على ظاهرة اقتران المشتري وزحل سنة (٧) قبل الميلاد والتي حصلت ثلاث مرات في سنة (٧) قبل الميلاد، ثانيهن ـ وهو فيما يبدو المقصود هنا ـ في الثلاثين من أيلول .

---

(1) Pikce, E,R. Mohammed. London. ١٩٦٢. P ١١٦ .



وروي أنه ولد في الخامس والعشرين من ذي القعدة[1]. في حين إن شهر كانون قد اعتبر شهر الولادة في رواية أخرى[2] ومع صحة الروايتين، فعلينا البحث عن توافق الخامس والعشرين من ذي القعدة مع شهر كانون سواء الأول أو الثاني في سنة محتملة لولادته[3]. وتوافق هذين الموعدين حدث في السنوات (١٤ -١٨) قبل الميلاد .

وتقدم رواية أخرى يوم ولادة المسيح[4] باعتباره يوم الثلاثاء. أما توافق الخامس والعشرين من ذي القعدة مع يوم الثلاثاء وكونه في كانون فقد صادف ذلك في السنوات (١٦ و١٨ق.م) .

---

(١) بن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى وابن هاشم، عن الوشاء، عن الرضا عليه السلام قال: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام، الخبر.

وابن عيسى هو أحمد بن محمد بن عيسى. وابن هاشم هو إبراهيم. والوشاء هو الحسن بن علي الوشاء من خيار أصحاب الرضا ووجه من وجوه الطائفة.

(٢) كما في الكافي: محمد بن يحيى،عن أحمد بن محمد، عن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كانت نخلة مريم عليها السلام العجوة، ونزلت في كانون .

(٣) أو إسقاط إحدى الروايتين إن ضعف مستندها أو هما معاً لذات العلة أو يصار إلى فهم (كانون) بمعنى الإناء الذي توضع فيه النار. رغم أن المناقشة المحتملة ستكون: انه لا تلازم صريح بين نزول العجوة وولادة عيسى، إلا إن صراحة عدم التلازم اقل وضوحاً من نقيضاً .

(٤) أحمد بن مهرا وعلي بن إبراهيم جميعا، عن محمد بن علي، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في حديث طويل قال: وأما اليوم الذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال وهو اليوم الذي هبط فيه الروح



كما روي إنها ولدته في يوم عاشوراء[1] وتوافق العاشر من محرم ويوم الثلاثاء في كانون وفقا للجمع بين الروايات في اقرب احتمال فهو (١٩ كانون الثاني ١٤ ق.م).

وبذا حصرنا ـ أولياً- موعد ولادة المسيح ما بين (١٤-١٨ ق.م) .[2]

وعلى كل التقادير، فالاحتفاظ بالتوافق مع كانون سيكون ضروريا لان راويها معمر بن خلاد الثقة وهي تتوافق تقريباً مع ما اشتهر بين النصارى عن ولادته .

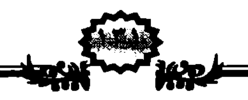
بقي أن نقول إن اقرب تاريخ ضمن هذا النطاق هو: الثلاثاء ٢٦ كانون الأول (١٦ ق.م). الموافق للخامس والعشرين من ذي القعدة سنة (٦٥٦ ق.هـ).

الأمين، وليس للمسلمين عيد كان أولى منه، وأما اليوم الذي ولدت فيه مريم فهو يوم الثلاثاء لأربع ساعات ونصف من النهار. ويعقوب بن جعفر الجعفري لم يوثق .

(1) علي بن الحسن، عن محمد بن عبد الله بن زرارة، عن البزنطي عن أبان بن عثمان، عن كثير النواء، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: يوم عاشوراء هو اليوم الذي ولد فيه عيسى بن مريم (عليه السلام) والرواية بعيدة عن القبول لمكان اجتماع ابان وكثير النوا فيها.

(2) قال الطبري في تاريخه (إن النصارى تزعم إن سنة ولادة المسيح كانت بعد مضي ٣٠٣ سنين من غلبة الاسكندر على بابل). ج١ ص ٥٨٤ .

وقد انتصر الاسكندر على داروس في اربيل سنة ٣٣١ ق.م ودخل بابل في العام ٣٣٠ ق.م على ابعد تقدير فتكون ولادة المسيح العام ٢٧ ق. م !



الفــرية

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾[1] وعادت مريم إلى موطنها تحمل الوليد المبارك. وحمل المؤمن على الصحة من شيم المؤمنين وأهل الرشاد، إلا أن قوم مريم - باستثناء زكريا عليه السلام وزوجته - لم يكونوا ممن يرجى فيهم الصلاح والخير رغم كثرة العبادة فيهم، لان عبادتهم شكلية غير ذات محتوى حقيقي، والفاسق لا يبالي بما فعل غيره من الفسق سواء كان فاعل الفسق متديناً أو فاجراً إلا على سبيل التشهير وطلب تساوي الحال. لكن المتدين السطحي هو المولع الحقيقي باستقصاء نقاط الضعف والانكسارات لدى الآخرين. لذا تصف الروايات اللائمين إنهم قومها ونسائها ممن كن معها في درب التعبّد.[2] ولم يدخل اليهود في حومة الفرية إلا بعد أن ضايقتهم دعوة المسيح .

---

(1) أمرا عظيما بديعا، إذ لم تلد أنثى قبلك من غير رجل، عن قتادة ومجاهد والسدي، وقيل: أمرا قبيحا منكرا من الافتراء وهو الكذب، عن الجبائي .

(2) الصدوق، عن ابن المتوكل، عن الحميري، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب، عن زياد بن سوقه، عن الحكم بن عيينة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لما قالت العوائق الفرية وهن سبعون لمريم (لقد جئت شيئاً فرياً) أنطق الله عيسى عليه السلام عند ذلك، فقال لهن: ويلكن تفترين على أمي؟ أنا عبد الله، آتاني الكتاب وأقسم بالله لأضربن كل امرأة منكن جدا بافترائكن على أمي، قال الحكم: فقلت للباقر عليه السلام: أفضربهن عيسى عليه السلام بعد ذلك؟ قال: نعم والله الحمد والمنة .



ومهما قدمت مريم من دليل على براءتها ـ وسيرتها المطهرة في هذا المجال كافية ـ ما كانوا ليرتدعوا عن ظنهم الفاسد ولا عن شكهم المريض. بل كان حكم الله بإنطاق الصبي المقمَّط هو الحل الوحيد الكافي لإسكات مثل هذه النفوس .

لقد رجح المفسرون أقوالاً لتفسير معنى قولهم﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ قيل فيه أقوال: أحدها إن هارون كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح، عن ابن عباس وقتادة وكعب وابن زيد، والمغيرة بن شعبة رفعه إلى النبي ﷺ وقيل: إنه لما مات شيع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هارون. ورواية شعبة تذكرني بقصة المبالغ الذي كان يصف سعة مدينته فيقول: (كان عندنا ألف خباز اعور أسمه احمد) .

وثانيها: أن هارون كان أخاها لأبيها ليس من أمها، وكان معروفاً بحسن الطريقة (عن الكلبي).

فأقول: فأين هارون من كفالة مريم حين تنازع على كفالتها الأجانب؟

ومن أين أتى الكلبي بهارون بن عمران؟

وما هو المصدر النسبي الذي اعتمد عليه؟ فنحن هنا على يقين من عدمه. إنما هي أقصوصة من أقاصيصه الكثيرة.

وثالثها: أنه هارون أخو موسى عليه السلام فنسبت إليه؛ لأنها من ولده كما يقال يا أخا تميم، (عن السدي).



وهو باطل، لمعرفتنا إن مريم من نسل داود؛ وداود من نسل يهوذا؛ وهارون من نسل لاوي لا من نسل يهوذا. فثبت بطلان هذا الرأي، مع كون ما عرف عند العرب من قولهم يا أخا تميم وغيره، لا يلزم العبرانيين وغيرهم في تركيب المخاطبات رغم احتمال ذلك .

ورابعها: انه كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالعهر والفساد فنسبت إليه، وقيل لها: يا شبيهته في قبح فعله، (عن سعيد بن جبير) وهو افتراض بلا دليل من أثر أو تاريخ.

ونقدم هنا بديلا عن كل ذلك احتمالاً لمعناه: وهو إن كل من كان اسمها مريم يقال لها يا أخت هارون، كما يطلق العرب وغيرهم على عناوين محددة أسماء ثابتة؛ فتقول: جاء (زيد) وذهب (زيد)، وتريد به رجلاً غير محدد، والإنجليز يسمونه (جون سمث)، وتكني العرب عدداً كبيراً من الأعلام من البشر والحيوان وفق هذه الطريقة.

واسم مريم من الأسماء الشهيرة عند العبرانيين، فهي الأخت الكبرى لموسى وهارون فمن المتوقع أن يقال لكل مريم (يا أخت هارون) ككنية عامة.[1]

---

[1] في سفر الخروج (وجاءت مريم النبية أخت هارون) واشتبه محمد بن كعب القرظي لتشابه اسم مريم وكونها أختا لهارون وما عرف إن موسى وهارون ابني عمران مع قوله تعالى (أخت هارون) وكونها (بنت عمران) فقال باتحاد المرأة وكونها هي فيكون موسى عليه السلام خالا لعيسى، وبينهما ١٢٠٠ ونيف من السنين ! .

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾

يعرف البشر بالفطرة اثر الوراثة والتربية معاً في تكوين الإنسان سلوكاً وسيرة وقوم مريم وإن لم يكن من دليل على إيمانهم بنبوة عمران إلا إنهم يقرون بفضله وسمته كما عرفت قريش على النبي ذلك تكذيبها إياه بشأن النبوة. وكانت امرأة عمران من صوالح النساء في عصرها. وهذه الأسرة لا يمكن وفق الوراثة النفسية والتربية معاً أن تولد إلا أمرا صالحاً أو لا قل ليس بطالح. وتكشف هذه الفرية عن انحدار المجتمع اليهودي وأمراضه الأخلاقية الخطيرة فهم لم يسألوها قبلاً عن أي شي قبل أن يقذفوها بهذا البهتان. متناسين مدة عمرها السالفة ونبل منشأها.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾.

هل كانت مريم تعلم إن الصبي سيتكلم؟ الظاهر ذلك. ويبدو إن إشارتها للصبي كانت بعد أن ألحو عليها في طلب الكلام وهي صائمة عنه صامتة.

فلما أشارت إشارة مفهومة (إن كلموه) وقد تكون قد كررت الإشارة إليه حتى فهموا إنها تطلب منهم مخاطبة الصبي. وربما استشاطوا غضباً بعد أن فهموا إنها تتهرب من الإجابة أو تستهزئ بهم. حتى فلق الله تعالى بالحجة ودمغ باطل عقولهم ونفوسهم بالصبي الناطق في المهد. فخرست الألسن وكَلّت العقول .

شهادة عيسى (عليه السلام)

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ حدد (المسيح الشاهد) إن أول ماهية له هي العبودية لله، دفعاً لما سيجعل له الضالون من مرتبة الربوبية. لذا تجد إن الأناجيل المعروفة لم تتطرق إلى حادثة التكلم في المهد أبدا، رغم شرفيتها العالية وتفرده بها دون سائر الإلهيين. ذلك إن تفاصيلها بخلاف نهجهم العام في فهم ربوبيته، رغم أن هذا النهج ليس تماماً لمن دقق في الأناجيل .

وأكمل ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ وهو الكتاب الشامل الذي أوتي الأنبياء والقرآن والإنجيل والتوراة ظهورات منه. ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾[1] وكونه نبياً إنما بالمرتبة كما روي عن النبي :(كنت نبياً وآدم بين الماء والطين). ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ قلنا إن المبارك هو الممسوح بالزيت المقدس لنيل المنصب بتكليف إلهي. فهو يقول وجعلني مسيحاً، فضلاً عن الفهم العربي لمعنى المبارك. والنقاش إنما في قوله ﴿أينما كنت﴾ فالسياق معها يميل إلى ما قيل إن معنى (المبارك) هو معلم الخير، فهو معلم أينما كان، أو بمعنى الثابت فهو ثابت على عقيدته أينما كان. والأول لا تساعده لغة العرب والثاني فيه تكلّف. فيبقى معنى كثير البركة

(1) قيل: إن الله سبحانه أكمل عقله في صغره وأرسله إلى عباده وكان نبياً مبعوثا إلى الناس في ذلك الوقت مكلفا عاقلا، ولذلك كانت له تلك المعجزة، عن الحسن والجبائي .
وقيل: إنه كلمهم وهو ابن أربعين يوما، عن وهب .
وقيل: يوم ولد، عن ابن عباس وأكثر المفسرين .
وقيل: إن معناه إني عبد الله سيؤتيني الكتاب وسيجعلني نبيا .



أي هادي للناس، أو كما قيل نفَاع، وقوله ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾، فيه إشعار لاختلاف تواجده في الأرض أو في السماء، أو تنقله الكثير في الأرض.

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾ والصلاة والزكاة معروفتان في جميع الأديان الإلهية على كلا المستويين، فالمادي: هي الحركات المخصوصة والإنفاق المالي، والمعنوي وهو الصلة بالله وتطهير النفس من الرذائل .

وقوله (أوصاني)، تعني امرني بمراعاتها، فالعبادتان كما قلنا معروفتان من القدم. نعم قد تتغير هيئاتها وعوارضها الخارجية بحسب التكامل، إلا إن الغاية منها ذاتها لا تتغير. وفي قوله ﴿مَا دُمْتُ حَيّاً﴾ دفعا لمن قال بإمكان سقوط التكاليف لبعض المراتب. وفيه تأمل .

﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ وتخصيص الوالدة بالبر معلوم السبب. وهنا لب الدفاع عنها، وهذه الفقرة إيضاح منشأه الوحيد وهي (الوالدة) دون الوالد، فتتضح براءتها بلا أدنى اشتباه. والجبار كما قيل من يحمل الناس ولا يحمل منهم شيئا أو الذي لا ينصح. وقوله ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾ ثلاث دفوع لما اتهمت أمه به، فما اتهموه به -وحاشاه- مانع من إنزال الكتاب إليه ومانع من جعله نبياً ومانع من جعله مباركاً بعد أن قالت التوراة إن من كان بهذا الوصف لا يدخل في جماعة الرب .[1]

---

(1) التثنية ٢٣: ٢ (لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر) .



وفي قصة يحيى عليه السلام إن الله سلم عليه في المواطن الثلاثة سلاماً، قال ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾ وقال عيسى عليه السلام ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾. والفرق واضح ما بين سلام نوعي ليحيى عليه السلام وسلام مستغرق لجميع أنواع السلام للمسيح وهو الفرق بين يحيى وعيسى عليه السلام. نعم قد يقال إن الله سلم على يحيى عليه السلام بنفسه والمسيح سلم على نفسه. نقول إن المسيح وأمثاله إنما ينطقون بأمر الله عليه السلام وعن وحيه، ناهيك انه إنما تكلم وهو في بدء التكوين لا يستشعر إلا ما كتب الله له، فلا يخطر في البال انه أضاف لنفسه اكبر مما قدر الله له .

صلاة عيسى عليه السلام

ذكر متي ولوقا صلاة نقلاً إن المسيح علمهما لتلاميذه، وقد اختلفا بسبب تعليمهم للصلاة، فلوقا يقول انه تم بناءاً على طلب تلاميذه الذين أحسوا بالحاجة إلى صلاة يتعبدون بها كما يفعل تلاميذ يحيى عليه السلام، ومتي يقول إن المسيح علمهم الصلاة ابتداءً. والصيغتان مختلفتان، وحاول النسّاخ ـ على ذمة ناشري الكتاب المقدس[1] - التوفيق بينهما بإضافة فقرات كانت تنقص صلاة لوقا.

والصلاة وفق كلا الإنجيلين هي التالية:

---

(1) الطبعة العربية المشتركة ١٩٩٥ .



الصلاة عند متي	الصلاة عند برنابا	الصلاة عند لوقا
أبانا الذي في السموات	أيها الرب ألهنا	أيها الأب
ليتقدس اسمك	ليتقدس اسمك القدوس	ليتقدس اسمك
ليأت ملكوتك	ليأت ملكوتك	ليأت ملكوتك
لتكن مشيئتك	لتكن مشيئتك	
في الأرض كما في السماء	في الأرض كما هي في السماء	
اعطنا خبزنا اليومي	اعطنا خبزنا اليومي	اعطنا خبزنا اليومي
واغفر لنا ذنوبنا	واغفر لنا خطايانا	واغفر لنا خطايانا
كما نغفر نحن للمذنبين إلينا	كما نغفر نحن للمذنبين إلينا	لأننا نغفر لكل من يذنب إلينا
ولا تدخلنا في التجربة	ولا تدخلنا في التجارب	ولا تدخلنا في التجربة
لكن نجنا من الشرير	ولكن نجنا من الشرير	

فإذا أضاف النساخ لصلاة لوقا البالغة (٧) فقرات فقط بعض فقرات صلاة متي للتقريب، فكم عدد فقرات صلاة لوقا الأصلية ثلاثة أم أربعة أم اقل من ذلك!! ؟.

وإن بعض الكنائس تضيف (لأنك أنت وحدك ألهنا الذي يجب لك المجد والإكرام إلى الأبد) الواردة في ذيل صلاة برنابا .

وإذا كان اثنان من كتاب الأناجيل قد نسيا ذكر الصلاة الربانية ـ تلك الشريعة ذات الأهمية الاستثنائية في جميع الأديان ـ فسوف يهون الخطب عندما يغفلون عن ذكر مهمات حوادث دعوة المسيح !!.

هيرودس والمذبحة

أنفرد متي بذكر حادثة قتل الأطفال[1] التي نتجت عن عدم عودة المجوس إليه، وخوفه من تحقق نبؤتهم التي لم تتحقق (لان مملكته ليست من هذا العالم)، في حين حاول المؤرخون الكنسيون أن يبحثوا عن إثبات لهذه الواقعة. فمتى حدث ذلك لو كان قد حصل فعلاً ؟

حكمت أسرة هيرودس الادومية فلسطين تحت الولاية الرومانية، وكان رأس هذه الأسرة هو (هيرودس بن انتيباتر) (٣٧ ق.م -٤ق.م). وفي مدة حكمه الطويلة قام بمذبحتين أولاهما في العام (١٧ ق.م) لطلبه يمين الطاعة من اليهود مما أدى رفضهم لها بإيقاع تلك المذبحة بالفريسيين خاصة، فقتل منهم الكثير. وحدثت ثورة بعد وفاته قمعت بشدة. فالمذبحة المفترضة إما أن تكون قد حدثت في العام (١٧ق.م) أو في (٤ق.م) وبذا فان سبب المذبحة لا يتعلق بولادة المسيح أصلاً بعد أن توفرت القرائن على أن ولادته قد حصلت ما بين هذين التاريخين. ولعل ما ورد في إنجيل متي هو إشارة للثورة التي عصفت بفلسطين بعد وفاة هيرودس مما أدى إلى هروب الكثيرين منها؛ تجنبا لعمليات إبادة مما يجعلنا نستنتج إن المذبحة الأولى هي السبب في هرب العائلة، وإنهم عادوا إلى فلسطين بعد أن بلغ عيسى عليه السلام الثالثة عشر من عمره!.

---

(1) متي ٢ : ١٦ .



كما إن من الممكن أن يدعم هذا الافتراض بما ورد في إنجيل يوحنا (٨:٥٧) عند احتجاج اليهود على قول المسيح انه لقي إبراهيم فقالوا: (كيف رأيت إبراهيم وما بلغت الخمسين بعد)؟ وافترض هنا انه كان قد تجاوز الأربعين وإلا فمنطق الكلام يفترض أن يقولوا له إن لم يكن قد تجاوزها (... وما بلغت الأربعين)!. فهل ولد المسيح ما بين (١٧-١٨ق.م)، وغاب عن عالمنا وقد بلغ الخمسين أو اقل من ذلك بقليل؟[1]. ذلك ما سنحاول الإجابة عليه .

إذا ما قبلنا هذا الافتراض ـ أي ولادة المسيح في العام (١٧ ق.م) ـ فان (نجم المجوس) سيصبح من الألغاز فانه وطوال العام (١٧) قبل الميلاد لم تحدث ظاهرة استثنائية كظهور مذنب ما، إلا اللهم ما حصل في السابع من شباط من تلك السنة، فقد اقترن المريخ والمشتري وهذه العلامة عند المنجمين لا تعني إلا موت ملك مهم.

وستأتي بقية الكلام لاحقاً.

---

(١) سأل نافع مولى ابن عمر أبا جعفر عليه السلام: كم بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله من سنة؟ قال عليه السلام: أجيبك بقولك أم بقولي؟ قال: أجبني بالقولين، قال:أما بقولي فخمسمائة سنة، وأما بقولك فستمائة سنة. ورسول الله قد ولد العام ٥٣ ق.هـ فمن المفترض إن يكون المسيح قد رفع العام ٥٥٣ ق.هـ وهو يوافق سنة ٨٦م !.
وفي الكافي عن إسماعيل بن أبى رافع، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: كانت الفترة بين عيسى عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وآله أربعمائة سنة وثمانين سنة. مما يجعل التاريخ السابق يصبح سنة ٥٣٣ ق.هـ أي سنة ١٠٥ م!.



بقي هناك سؤالان لم يتطرق إليهما أحد بشأن مذبحة هيرودس .

أولهما: لماذا لم يتعرض يحيى عليه السلام للذبح ضمن من ذبحوا في هذه الحادثة المزعومة، رغم انه من مواليد المسيح؟ والجواب هو: إما أن سلطة هيرودس لم تكن لتصل إلى محل ولادة يحيى عليه السلام في بيت المقدس وهذا صحيح بعد التقسيم الإداري الذي حصل من قبل الرومان وجعلهم بيت المقدس تابعة لأشراف روماني مباشر، لكن هذا لم يحصل إلا بعد وفاة هيرود الكبير وبعد ولادة يحيى عليه السلام بكثير فالجواب ساقط.

أما الجواب الذي لا مفر منه فهو كذبة حادثة المذبحة بصيغتها التي يقدمها متي، وإنما قد تكون حدثت عمليات انتقامية واسعة لم يكن الغرض منها استهداف الطفل الموعود بتاتاً.

والسؤال الثاني ناتج عن زعم بعض مؤرخي الكنيسة إنهم وجدوا عظاماً لأطفال بكميات كبيرة، فسارعوا لتقديم رقم مرعب لعدد الأطفال الموتى وهو (١٤٤٠٠٠) طفل. والإحصائيات العالمية تقول إن معدل نسبة الأطفال في العالم ممن هم دون السنة الثانية من العمر هو حوالي (٥٪) مما ينتج إن سكان (بيت لحم وجوارها)[1] قد بلغ قرابة الثلاثة ملايين! فهل من داع آخر لتصديق مثل هذا الخرافات، والظاهر لو صدقت مثل هذه الاكتشافات الأثرية فان

---

(1) متي ٢: ١٦ .



تفسيرها المنطقي إنها مقبرة خاصة للأطفال ـ كما هو الجاري في بلدان عديدة ـ استمر فيها الدفن قرون عديدة .

الهروب إلى مصر

﴿وآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَة﴾

تقول بعض الأناجيل إن يوسف النجار هرب بمريم ووليدها إلى مصر، وفسّرت الربوة والقرار المكين تبعاً لذلك بأنها مصر. وقد علمت إن ولادتها لعيسى عليه السلام كانت في العراق[1]. أما إذا كان الإيواء المقصود في الآية قد حصل لاحقاً فيكون في مصر أو غيرها لا فرق. أو إن هذه الآية هي في معرض الحديث عن زمن الولادة اللصيق فتنحصر في العراق كما أسلفنا، وتكون قصة الهروب إلى مصر غير صحيحة. ويزعم أقباط مصر إن الربوة هي (عين شمس) واستقر المسيح بضاحية المطرية من ضواحيها، وبقيت الشجرة التي استظل بها المسيح وأمه هناك زمناً طويلاً زارها كثير منهم وسموها شجرة العذراء!.

---

(1) وقيل: الربوة هي الرملة من فلسطين وهو مروي عن النبي. وقيل: دمشق الشام وهو مروي عن النبي كذلك، وقيل: مصر، وقيل بيت المقدس، وقيل: هي حيرة الكوفة وسوادها، والقرار: مسجد الكوفة، والمعين: الفرات.



التعداد

يذكر الطبيب اليوناني لوقا ـ والذي تتبع كل شيء من أصوله بتدقيق[1] - إن العائلة قد ذهبت لإجراء التعداد. ذلك التعداد الذي أمر به سولبيثيوس كيرينيوس حاكم سورية (٤ ق.م ـ ٦م) وأثناء ذلك ولد المسيح، إلا إن هذا فيما يبدو تبريراً مغلوطاً لحل إشكالية الأصل الناصري والولادة في بيت لحم.

فالتعداد جرى بعد عزل ارخيلاوس حوالي سنة (٦) ميلادي فيكون عمر المسيح وقتذاك إما (١٠ أو ١٣) سنة! ـ بحسب سنة الولادة الصحيحة .

ومتي يذكر إن عودة العائلة كانت في الفترة التي كان ارخيلاوس حاكماً فيها على اليهودية وهي الفترة (٤.ق.م) وهنا متي يبدو مقارباً للصواب. إلا أن التناقض فيما بينهما يبدو جلياً، حين تفطن إلى أن متي يزعم إن اصل المسيح بيت لحميا وسكن الناصرة خوفا من ارخيلاوس رغم تطمينات الرب[2]، في حين إن لوقا جعل الولادة في بيت لحم طارئة ليجعل المسيح منشأ وموطناً من الناصرة .

وعاد المسيح من مصر ـ إن صدقنا بقصة الهروب إلى مصر- بعد لبثه عدداً غير محدد من السنين إلا أننا نستطيع الاعتماد على الإشارة الواردة في لوقا:

---

(١) لوقا ١: ٣ .

(٢) متي ٢ :٢٢ .



(وكان والدا (؟) يسوع يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح فلما بلغ يسوع السنة الثانية عشرة من عمره صعدوا إلى أورشليم) .

ومن المتوقع إن العائلة المتدينة قد عادت إلى سيرتها الأولى في الذهاب إلى المدينة المقدسة كل عيد فصح، والمرة الأولى التي زار فيها المسيح المدينة المقدسة هي حين بلوغه الثانية عشرة من عمره فور عودته من مصر (أو أي بلد آخر)، وبما إنهم عادوا بعد أن سمعوا بموت هيرودس فعودتهم محتملة في سنة وفاته أو ما تلاها من السنوات الرابعة أو الثالثة أو حتى الثانية قبل الميلاد، وبذا تكون ولادة المسيح محتملة في سنة (١٤ أو ١٥ أو ١٦) قبل الميلاد. إلا أن هناك فقرة في إنجيل برنابا[1] تقول إن المسيح حين عودته من مصر كان يبلغ سبع سنوات، وإذا تمسكنا بفرضية العودة إلى الزيارة فور الرجوع من مصر فان ولادة المسيح تكون ما بين (٩- ١١ق.م) .

---

(1) إنجيل برنابا ٩: ٣ .

طفولة المسيح

لا توجد لدينا مصادر تتحدث عن طفولة المسيح ربما بسبب إهمال العرف شؤون صغار السن وان بدا من عبقرياتهم ما بدا[1]، هذا أولا، كما أن

([1]) عدة من أصحابنا، عن احمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام ابن سالم، عن يزيد الكناسي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام كان عيسى بن مريم حين تكلم في المهد حجة الله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبيا حجة الله غير مرسل، أما تسمع لقوله حين قال":)قال إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وجعلني نبيّاً ❖ وجعلني مُباركا أيْنَ ما كُنْتُ وأَوْصاني بالصَّلاةِ والزَّكاةِ ما دُمْتُ حيّاً) قلت: فكان يومئذ حجة الله على زكريا عليه السلام في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس، ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبر عنها، وكان نبياً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت له سنتان، وكان زكريا عليه السلام الحجة لله عز وجل على الناس بعد صمت عيسى عليه السلام بسنتين، ثم مات زكريا عليه السلام فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير، أما تسمع لقوله عز وجل: (يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) فلما بلغ عيسى سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه، فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين، وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوما واحداً بغير حجة الله على الناس منذ يوم خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض.

= محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن صفوان بن يحيى عن الرضا عليه السلام: قد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين .

وهذه الرواية الوحيدة التي انفردت بذكر ثلاث سنوات رغم إنها اصح سندا من سابقتها إلا أن أكثر الروايات تقول بالسنتين .

الحسين بن محمد، عن الخيراني،عن أبيه قال: كنت واقفا بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان، فقال له قائل: يا سيدي إن كان كون فإلى من؟ قال: إلي أبي جعفر ابني، فكأن القائل استصغر سن أبي جعفر عليه السلام، فقال أبو الحسن عليه السلام إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم عليه السلام رسولا نبيا صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر.



الاقتناع بقصة متي عن مصر يفسر لنا اختفاء المعلومات عن طفولة المسيح حتى مقاربته للبلوغ الشرعي، لكن هذا غير كاف لتأييد قصة مصر لوجود أسباب أهم من ذلك منها حدوث الاضطرابات السياسية في ارض كنعان والحروب التي عصفت بالمنطقة مما يجعل الالتفات إلى نباهة طفل من الأمور غير المتوقعة أو لا اقل من تسجيل تلك اللفتات إن حصلت. كما أن أحقاد اليهود وطمس أهل الناصرة - إن كان من سكانها فعلا وهي المدينة التي قيل عنها (أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟)[1] للدلالة عن فقرها الروحي - معالم سيرته الزكية كانا من اسباب ضياع أخباره المتناقلة شفاها - إن حصل هذا النقل فعلاً - حتى لقائه بيحيى (عليه السلام) على ضفاف الأردن .

علي بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن الرضا (عليه السلام) قال: إن الله تعالى احتج بعيسى (عليه السلام) وهو ابن سنتين..

عن علي بن محمد الدقاق قال: حدثني ابن الحسن، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن محمد بن احمد بن قتادة، عن المحمودي، عن إسحاق ابن إسماعيل، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: كنت واقفا عند رأس أبي الحسن علي بن موسى (عليه السلام) بطوس قال له بعض من كان عنده: إن حدث حدث فإلى من؟ قال: إلى ابني محمد، وكأن السائل استصغر سن أبي جعفر، فقال له أبو الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام): إن الله بعث عيسى بن مريم ثابتاً به شريعته في دون السن الذي أقيم فيه أبو جعفر ثابتا على شريعته .

عبد الله بن جعفر قال: دخلت على الرضا (عليه السلام) أنا وصفوان بن يحيى وأبو جعفر (عليه السلام) قائم قد أتى عليه ثلاث سنين، فقلت له: جلنا الله فداك إن وأعوذ بالله حدث حدث فمن يكون بعدك؟ قال: ابني هذا وأومأ إليه قال: فقلنا له: وهو ف هذا السن؟ قال: نعم وهو في هذا السن، إن الله تبارك وتعالى احتج بعيسى (عليه السلام) وهو ابن سنتين، انتهى .

(1) يوحنا ١: ٢٦ .



وجنح خيال المحققين الغربيين فزعموا إن المسيح ذهب إلى الهند وتأدب بآداب البوذية لما رأوا من تواز بين الديانتين في الحث على الاهتمام بالنفس البشرية تكميلاً وتهذيباً.

وقالوا إن المسيح طور تلكم الديانة فلم يقتصر على التعليم السلبي بالتخلي (وفق اصطلاح المتصوفة)، بل سعى إلى تأسيس (التحلي)؛ فكان حثه المتواصل على البذل والعطاء والتخلق بأخلاق راقية وإيجابية دليلاً على ذلك، ودافع هؤلاء إلى افتراض مثل هذه الأحدوثة هو إرجاع هذه الديانة إلى اصل بشري، كما هو حال ديانة بوذا الغنوصية.

ولا تسعفنا الأناجيل بخبر من أخبار المسيح ـ حال طفولته ـ إلا خبر ختانه في اليوم الثامن[1] ـ حسب شريعة موسى ـ ومجادلته لمعلمي الهيكل وهو في الثاني عشر من عمره وقت عيد الفصح، ثم تنقطع أخباره حتى يبعث بعد عقدين من الزمن تقريباً.

---

(1) لوقا ٢: ٢١/ برنابا ٥: ٢٥ لو ثبت إن الأنبياء يولدون مختونين كما تدل عليه بعض الروايات فان القصة هذه تصبح غير صحيحة .



أسرة المسيح

قالت الأناجيل إن مريم كانت مخطوبة، وزعم أحدهم إنها تزوجت بعد أن تبين لها الحمل لإخفاء الواقعة. ورغم الاضطراب في أقوالهم يبقى السؤال التاريخي. هل تزوجت مريم؟

لقد وردت في الأناجيل ألفاظ مثل (أخوتي) (أخوته) منسوبة إلى المسيح، ورغم إن كثيراً من الطوائف المسيحية ـ بل ربما كلها ـ أنكرت أن يكون ذلك على محمل الحقيقة، تهرباً من تدنيس بتولية السيدة مريم، وحملها على المجاز مخالفة بصراحة لصراحة العهد الجديد .

والظاهر وفق كتبهم إن مريم العذراء قد اقترنت بزوج بعد ولادة المسيح، أما رفض الكنسيين لهذه الفكرة فيعد رفضاً أدبياً لا علمياً. ويبدو أنها أنجبت أكثر من بطن، هم الذي قالت عنهم الأناجيل **(قال له أخوته) (ولما صعد أخوته إلى العيد)**[1]**(وجاء إلى يسوع أمه وأخوته) و(أمك وأخوتك واقفون خارج البيت يريدون أن يروك).**[2] ويبدو إن (أخوته) كانوا متضايقين من وجوده بينهم لا يؤمنون به. يقول يوحنا **(قال له أخوته: اترك هذا المكان واذهب إلى بلاد اليهودية حتى يرى التلاميذ أعمالك، فلا أحد يعمل في**

---

(١) يوحنا ٧: ٣، ١٠ .

(٢) متي ١٢: ٤٦-٥٠/ مرقس ٣: ٣١ -٣٥/ لوقا ١٩:٨-٢٠ واللفظ للوقا .



الخفية إذا أراد أن يعرفه الناس وما دمت تعمل هذه الأعمال، فاظهر نفسك للعالم. وكان أخوته لا يؤمنون به).[١]

كما وردت عبارة (انسباء المسيح) وهما يهوذا (تداوس) ويعقوب بن حلفي، ومن غير الواضح ما المقصود بهذه النسابة؛ فأقرباء المسيح هم من الأعلى نزولاً: جده وجدته لامه وأمه مريم، في حين إن القرابة الأخرى والغامضة- آل زكريا- لا يوجد في فروعها ما يساعد على فهم هذه النسابة. إلا أن هناك نص في إن يعقوب ـ وبالتالي يهوذا أخوه- هو أخ للمسيح فقد قال بولس في غلاطية (يعقوب أخاً الرب)، ويترتب إن زوج مريم هو (حلفي) وليس (يوسف النجار). كما إن أخوته أكثر من ستة على الأقل هم: يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا[٢] وأكثر من أخت !! .

أما يوحنا فقد قدم أختا لمريم هي (سالومة)، وولدي خالة لعيسى عليه السلام هما: يعقوب الكبير ويوحنا (وقفت أمه، وأخت أمه مريم؛ زوجة كلوبا) [٣]. إلا أن الانطباع السائد إن مريم وحيدة أمها. فمن أين نشأ هذا الانطباع؟

هل كانت مريم بكر أبيها وأمها؟ لا دليل على ذلك.

---

(١) يوحنا ٧: ٤ .

(٢) متي ١٣: ٥٥ ومرقس ٦: ٣ وأعمال ١: ١٤ .

(٣) يوحنا ١٩: ٢٥ .



لكن طلب الأم للولد يوحي بوجود مشكلة تأخر في الإنجاب أو مشكلة عقم، فهل طلبت أم مريم أو أبيها الولد؟

لا دليل من القرآن على ذلك أيضاً، ولا دليل عليه من الأثر الإسلامي، ولا دليل على ذلك من كتبهم أيضا. مما يقرب من عالم الإمكان وجود أخوة لمريم سبقوها في الولادة، وقد قلنا إن اليصابات أختها الكبرى، وقد كُتِب عن اضطهاد دومتسيان لأقارب المسيح وسجنهم نهاية القرن الأول، وعن قتل يعقوب أخا الرب على يد هيرود اكريبا حوالي العام (٤١ م). وعلى العموم فان الثمرة الدينية من ذلك الإثبات هو إفساد تذوّق النصارى لعقيدة أم الرب بعد أن قالت أناجيلهم إن لها أختاً وأولاد وأولاد أخت وأولاداً غير المسيح من أب بشريٍّ، فهل يستطيعون بعد ذلك أن يهضموا كون أم الرب زوجة لبشريٍّ فانٍ!.

وفاة مريم عليها السلام

صوّر مايكل أنجلو منحوتته الشهيرة (العذراء الحزينة) والتي تبدو فيها مريم تحتضن جسد المسيح بعد موته! فالمسيحيون يعتقدون ببقاء مريم بعد المسيح، والأناجيل ناطقة بذلك. ولم يتطرق من كتبوا عن حياة المسيح وأمه، أو قصص الأنبياء عن نهايتها شيئاً. إلا انه وردت رواية تقول إن عيسى عليه السلام



قد جهز مريم للدفن بعد وفاتها، وغسلها بنفسه. ولا يمكننا التأكد من صحة تلك الواقعة (مع الأسف) لان أحد رجال تلك الرواية من الضعفاء[1].

(١) هو عبد الرحمن بن سالم رواها عن المفضل عن الصادق عليه السلام.



نبوة المسيح

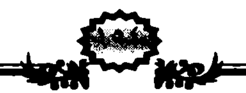
انفرد المسيح من بين كثير من الأنبياء انه كان نبياً وهو لم يزل صبياً دون العاشرة[1]، وفهم بعض المفسرين ذلك وتعددت الروايات المؤيدة كون عيسى عليه السلام نبياً وهو في السن، أما كونه مرسلاً إلى بني إسرائيل فقد تأخر عن ذلك كثيراً حتى بلغ مبالغ الرجال، ونبوته هنا بمعنى كونه حجة على الخلائق،لا بمعنى النبوة العملية وهي التبليغ والتشريع .

واشتهر بل توفر إجماع على أن المسيح بعث وهو في الثلاثين من عمره ومنشأ هذا الإجماع هو لوقا، وهو الوحيد الذي ذكرها من كتاب الأناجيل

---

(1) عن الهذلي، عن رجل قال: مكث عيسى عليه السلام حتى بلغ سبع سنين، أو ثمان سنين، فجعل يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، فأقام بين أظهرهم يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، ويعلمهم التوراة، وأنزل الله عليه الإنجيل لما أراد الله أن يتخذ عليهم الحجة.

محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين داود وعيسى بن مريم عليهما السلام أربع مائة سنة، وكان شريعة عيسى انه بعث بالتوحيد والإخلاص، وبما أوصى به نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام ، وأنزل عليه الإنجيل، واخذ عليه الميثاق الذي اخذ على النبيين، وشرع له في الكتاب إقام الصلاة مع الدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتحريم الحرام، وتحليل الحلال، وانزل عليه في الإنجيل مواعظ وأمثال وليس فيها قصاص ولا أحكام حدود، ولا فرض مواريث وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى عليه السلام في التوراة، وهو قول الله في الذي قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل ()وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) وأمر عيسى من معه ممن اتبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة والإنجيل. يحتمل أن يكون هناك تصحيف في كتابة المدة بين داود وعيسى وإلا فبينهم ألف سنة تقريبا .



وتابعه المسلمون والنصارى معاً. فهل حقا بعث المسيح وهو في الثلاثين من عمره؟.

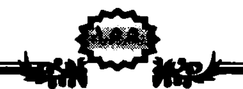
يذكر لوقا انه في السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس[1] بعث يحيى بن زكريا عليه السلام وهي تعني السنة (٢٩) ميلادي ونتوقع بقاءه سنتين أو ثلاثة على الأقل من شهادته وقيام المسيح بتحمل دوره، وهذا يعني إن المسيح بعث في العام (٣٠) ميلادي تقريباً، مما يعني إن ولادته كانت حوالي العام الميلادي الأول، وقد أثبتنا وثبت بما لا يقبل الشك إن المسيح ولد قبل هذا الموعد بست سنوات على الأقل وثمانية عشر سنة على الأكثر. مما يجعل هذين التاريخين: مولده، وبلوغه الثلاثين حين بعثه، يتعارضان مع ما قدم لوقا مؤسس هذه الفكرة. كما انه لا قيمة للإجماع الحاصل بين المسلمين والنصارى معاً لكونه إجماعاً مدركياً وقد ثبت فساد المدرك.

نعم قد يقال إن برنابا يؤكد ذلك إلا أن قضية حجية إنجيل برنابا عند المسيحيين والمسلمين على حد سواء هي في موضع الشك .

وإذا ما أثبتنا أنه ولد في أحد الأعوام من (٦-١٨) قبل الميلاد، وانه بعث ما بين الأعوام (٣٠-٣٤) ميلادي، فسيصير إن الفترة ما بين (١٨ ق.م-٣٨م) هي عصر المسيح ويكون قد بعث وعمره ما بين (٣٦-٤٩) عاماً. وسيأتيك مزيد من التفصيل .

---

(١) لوقا ٣ :١ .



البعثة

ذهب المسيح ليعتمد عند يحيى عليه السلام الذي كان قد اختار نهر الأردن ليجري مراسيم التعميد لنيل التوبة.

ويقول كتاب الإنجيل إن يحيى عليه السلام امتنع بادئ ذي بدء عن قبول تعميد المسيح كونه أعلى منه مرتبة بحسب حدسه ومعرفته، إلا أن المسيح طلب منه أن يتمما كل خير، في إشارة لخصلة التواضع التي يفتقر إليها بنو إسرائيل عموماً.

(حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إلي. فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيا عليه. وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الله به سررت..). [1]

---

[1] متي ٣: ١٢-١٧ قارن لوقا ١: ٩-١١ (وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن. وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه. وكان صوت من السموات. أنت ابني الحبيب الذي به سررت). وكلمة (ابني) الواردة هنا تترجم عندما يتعلق الأمر بداود إلى فتاي أو عبدي وأما بقدر تعلق الأمر بالمسيح فإنها تتحول إلى ابني. يكتب برنابا (انظروا خادمي الذي به سررت. اسمعوا له) وكلمة خادمي معادلة لكلمة فتاي أو عبدي الأصلية.



وهي إشارة لبدء دعوته بعد أن انتهت دعوة يحيى عليه السلام عملياً لان آخر من يتوقع منه الذنب ـ وهو المسيح ـ جاء ليطلب المغفرة.

أما برنابا فيخالف الأناجيل الأربعة بقوله إن الروح القدس حل على عيسى عليه السلام يوم صعد إلى جبل ليقطف الزيتون مع أمه. قال برنابا:

(ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من عمره -كما اخبرني بذلك نفسه- صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً. وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات (يا رب برحمة...)[1] وإذا بنور باهر قد أحاط به وجوق من الملائكة لا يحصى كانوا يقولون (ليتمجد الله) فقدم إليه الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة. فنزل إلى قلب يسوع).[2]

---

(1) نص هذه الصلاة لم أجده في العهدين .

(2) برنابا ١٠: ١-٥ .



المجتمع في عصر المسيح

شهد عصر المسيح ـ ذلك العصر المضطرب بالثورات والحروب وصراع الأفكار. تمزق وحدة العقيدة اليهودية، وانفراط عقدها رغم إن جذور هذا التمزق قد تمتد إلى اللحظات الأولى لخروج موسى وشعبه من مصر، إلا أن تبلور تلكم المذاهب والفرق كان جلياً وقاسياً في عصر المسيح. فمن هم مديرو مسرح الحياة في ارض فلسطين إبان بزوغ فجر المسيحية ؟

ظهر الصدوقيون[1] (القراؤون) في عصر سليمان فيما يبدو واصبح غالبية أعضاء هذه النحلة من الكهنة، بل رؤساء الكهنة. وينكر الصدوقيون ـ الذين يزعمون انتسابهم إلى الكاهن صادوق- وجود الملائكة وقيامة الأموات وكانت نيران الغل والعداوة مشتعلة بينهم وبين الفريسيين، وأنتجت مذابح بينهم كما حصل على عهد هركانوس.

أما الفريسيون[2] (الربانيون) فهم المتشددون في تطبيق أحكام الشريعة، والتقاليد، والتمسك بأهداب الدين بشكل حرفي، ومعظهم من معلمي الشريعة، وبخلاف الصدوقيين، فقد كانوا يعترفون بالقيامة ووجود الملائكة. ورغم تنازعهم واختلاف الإيمان بأسس رئيسية من العقيدة، فإنهم كانوا متحدي الكلمة بشان القضاء على المسيح.

---

(1) (صدوقيم) بالعبرية وهم يشبهون إلى حد بعيد مرجئة الإسلام .

(2) (فروشيم) بالعبرية وهم معتزلة اليهود .



أما الكهنة وخدام الهيكل فقد كان حالهم في أي عصر من العصور، وفي أي دين من الأديان مرتهناً بصيانة الموارد المادية والاجتماعية التي تدرها تلك الوظيفة، وهي خدمة الهيكل والمعابد واستيفاء النذور والهبات المالية والأوقاف. لذا فمن الطبيعي أن يتحول المسيح بالنسبة إليهم إلى هادم للذات ومفرق للناس عنهم وعن خبثهم وخستهم. ولأول مرة ـ ربما ـ تجتمع فرق اليهودية على أمر ما، لقد كان المسيح موحداً للمتنافرات!.

لقد خاض المسيح خلال دعوته القصيرة حرباً لا هوادة فيها تجاه تلك الفئات الضالة المضلة، ولم يخش إلا باعثه، مستخدماً لهجة لا تذكرنا أبداً بالحمل الوديع الذي حاول النصارى أن يقدموه رمزاً تاريخياً للمسيح. لقد استخدم لفظ (ويل لكم أيها....) أربع عشرة مرة، والفريسيون في مقدمة المخاطبين.

وصفهم بأنهم: قبور مبيضة، أولاد أفاعي، مراءون، قطاع طريق، صانعوا أبناء لجهنم، قادة عميان، تاركون لروح الشريعة، أبناء قتلة الأنبياء، حيات وأفاعي، قبور مختفية، عظام أموات وكل نجاسة!!.

فماذا كانت النتيجة؟

* * *

لقد بقي الغلاف القشري للمتدين اليهودي يتكسر طوال القرون، نافحاً رائحة عفنة أزكمت أنوف الأتقياء والصديقين، والمصيبة أن بين أيديهم أسفار



الشريعة فـ(ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم) وطبقة رجال الدين في كل أمة وكل ملة ما لم تمحص ويدقق فيها تحولت إلى طبقة لزجة تسد مسامات الحياة فيختنق الدين ويهرم وينفر منه الغادي والرائح. لذا فان خاتم الأديان لم يصنف ضمن الأديان ذات الطبقية الكهنوتية رغم المحاولات التي أرادت له هذا المصير؛ مما منحه حصانة من جانب الكهنوت البشري.

أقول: ماذا كانت النتيجة؟

لقد صهرتهم كلماته في نسيج واحد، تحولوا إلى لا هم لهم إلا اصطياده، وما هو باللقمة السائغة، بل تحول بدوره إلى عظمة في الحلق. (**انظروا إنكم لا تنفعون شيئا. هو ذا العالم قد ذهب وراءه**) تلك كانت كلماتهم.

ولماذا ذهب العالم وراءه وتركهم؟

لأنهم قبور مبيضة، أولاد أفاعي، مراءون، قطاع طريق، صانعوا أبناء لجهنم، قادة عميان، تاركون لروح الشريعة، أبناء قتلة الأنبياء، حيات وأفاعي، قبور مختفية، عظام أموات وكل نجاسة!!.

هكذا كانوا وكان المسيح يفضحهم .

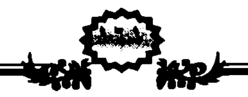


سكان فلسطين

بعد السبي البابلي انتعشت حياة سكان فلسطين من غير اليهود، فقد كان اليهود مصدر إقلاق لكل من جاورهم فزحف بعض النبط إلى فلسطين من شرقها وجنوبها الشرقي وتداخلت المنظومات السكانية وكان الكنعانيون سكان فلسطين القدامى لا يزالون يعيشون هناك وكذلك البلشت أو الفلست والذين سميت تلك الأرض باسمهم لاحقاً .

ودخل الرومان إلى فلسطين في العام (٦٢ق.م) وبقوا هناك حتى العام (٣٢٤م) ليرثهم البيزنطيون، وقبل الرومان كانت فلسطين تحت حكم اليونان والسلوقيين، حتى احتلها بومبي مع سوريا. والرومان كما عرف عنهم تلك الفترة كانوا من الوثنيين عبادا لآلهة متعددة آمنوا بزيجات الآلهة وتوالدها وغلبة بعضها على بعض .

وجاء بعد بومبي قيصر الذي وثق بـ(انتيباتير) الذي ورثه ابنه الثاني (هيرود الكبير) والذي لم يكن إسرائيلي الجنس بل ادومي اعتنق اليهودية مع آبائه، وكان محباً للرومان حد الوله هائما بالحضارة الهيلينية، ورغم تأييده لـ(كاسيوس) في صراعه مع (مارك انطوني)، إلا أن نصر الأخير لم يجعله لينتقم من شخص اعتبر الحل الوحيد للسيطرة على اليهود المتمردين، فقد كان يعتقد إن الأمن لا يستتب في تلك الأراضي إلا تحت إدارة غير إسرائيلية. فأبقاه في ولايته وكان أول شخص أجنبي يقود جيشاً رومانياً بعد أن هاجم



الفرثيون القدس واحتلوها وطردوا عصابة هيرودس منها الذي ذهب إلى روما وعاد بجيش جرار، وهناك كشف عن زيف تدينه عندما قدم الأضاحي لإله الرومان (جوبيتر كابيتولنوس). ولم يكن ينقص هيرود كل وسائل البطش والتآمر والغدر، فقد قتل زوجته الكبرى التي أنجبت له خمسة أولاد وقتل بعض من حلفاءه السابقين بالسيف أو إغراقا وقطع أذني بعض الكهنة ونفاه لمنعه من تسلم أي منصب كهنوتي، ثم قتل أولاده بعد أن اتهمهم بالتآمر عليه، وقمع ثورة واضطرابات قامت بعد أن سمع شعبه بإشاعة مفادها إن انطوني قتله. وقد حرص هيرود على التشبه بالرومان، فادخل المسارح والألعاب الجماعية والمدرجات وشيد معابد للوثنيين وبنى مدن انتيباتريس ومسادا وماخيورس وأعاد بناء السامرة واسماها سيباسته (مبسطة) وإبدل اسم مدينة ستراتونيس توررريس إلى قيصرية بعد أن عمرها ونظمها وبعض مدن أخرى.وكانت الكتابات على العملة التي يصدرها باليونانية لا العبرية وكثيراً ما مال إلى الموظفين الأجانب وعهد بتربية أطفاله إلى علماء غير يهود وأرسل بعضاً من أولاده إلى روما وكان جيشه هيلينيا، فقد اعتبر اليهود غير مخلصين مما حدا به إلى منعهم من الخدمة .

السامريون

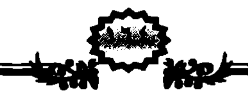
السامريون نحلة يهودية قديمة لم يقدم لأصل نشؤها تحليل معقول فهم يختلفون مع بقية اليهود بنقاط أساسية أهمها إنهم يعترفون فقط بكتب موسى الخمسة ويتوجهون في الصلاة وتقديم القرابين والذبائح إلى جبل السامرة، والعداء بينهم وبين الإسرائيليين مستحكم وصل حد التكفير والتنجيس. والسامريون بحسب نظرية نقدمها هنا: إن السامريون هم شعب (السامري) والذي عوقب بـ(لا مساس) مما جعله يخوض -واتباعه وذريته بالتأكيد- حياة أشبه بحياة الأبرص حسب شريعة موسى، فاعتزل الحياة الاجتماعية اليهودية ليخوض تجربة عزل استمرت منذ أيام الخروج الأولى وحتى تخريب الهيكل سنة (٧٠)م. مما يفسر أولاً اصل اشتقاق الاسم وحرص اليهودي على عدم الاختلاط بالسامري، واحتفاظهم بكتب موسى الخمسة فقط لان الأنبياء اللاحقين لم يكونوا قد أرسلوا إليهم حتى عهد المسيح، كما إن تقدمتهم على جبل السامرة يشير إلى انه جُعل مكان عبادة استثنائية لإحكام العزل المفروض. ولا ينافي ذلك ما قيل عن الأصل الآشوري. فان هؤلاء بعد أن جاؤا بواسطة تحريك كتل سكانية بديلة عن الشعب المسبي لابد إنهم شعروا بعزلة نتيجة للعداء المتوقع من السكان الأصليين، يهودا أو غير يهود ووفق بعض قواعد علم الاجتماع، فإنهم كونوا مع منبوذي بني إسرائيل تحالفاً اقلياً منحهم الاسم القديم لمنبوذي إسرائيل .

حكام العالم

عصر المسيح شهد اضطرابا واسعا ـ كما قلنا ـ ومناشئ هذا الاضطراب عديدة. إلا إن أبرزها هو الصراع بين الجمهوريين الرومان واضدادهم والتي انتهت بانتصار مارك انطوني. وقصته مع ملكة مصر كليوباترا معروفة. وظهر اغسطوس قيصر والذي ولد في عهده المسيح ويحيى عليه السلام حاكماً لروما وخلفه طيباريوس قيصر وفي عهده ظهر المسيح ويحيى المعمدان (عليه السلام)، ومن أسباب هذا الاضطراب العالمي هو الصراع الحضاري بين الهلينية والحضارات الشرقية وبين الوثنية والتوحيد، ومن خلال نظرة على تاريخ هيرود الكبير وقسوته المشينة ـ وصل به الأمر إلى قتل أولاده وزوجته الكبرى- وعصر كاليغولا القريب من نهاية المسيح على الأرض، ومفاسد أولاد هيرود بارتكابهم محرمات الشريعة الخطيرة ودعمهم للوثنية وانتشار الجنون الأخلاقي الروماني نعرف في أي عصر ظهر المسيح .

آلهة الرومان

كانت الديانة الرومانية الوثنية تتسم بكونها ديانة ذات مستويات متعددة، فقد كانت هناك ديانة للطبقات الراقية تتعبد فيها تلك الفئة بالديانة الرومانية الإغريقية الرومانية، في حين تتعبد أنحاء المدينة بالديانة الرومانية القديمة المعتمدة في الأساس على مبدأ تفاعل الإنسان مع أرواح الأشياء الطبيعية، أو



ما عرف بـ(حيوية المادة). في حين تعلق قلب البقية الباقية من الشعب الروماني بالديانة الشرقية الزاحفة من كنعان ومصر. فقد عبدت بدءاً الآلهة القديمة (جوبيتر - كورينوس - مارس) ثم استقدمت آلهة أخرى كـ(مينرفا) وآلهة الإغريق (زيوس وهيرا وابولون وارتمس وأثينا وهرمس... الخ)، بل جلبت آلهة مصر القديمة أيضا فعبدت (إيزيس) إلهة مصر. والآلهة المذكورة جميعاً هي إما أب أو أم أو زوجة أو ابن أو ابنة لإله آخر .

وهذه الآلهة يمكنها التلبس بأي صورة من الصور وتستطيع لو شاءت إخراج آلهة أخرى فيما لو تعلق الأمر بمصير الإنسانية وبقائها .

وقد كان ذلك التسليم الديني هو الذي جعل فكرة تقبل تجسد لله بصورة البشر وبنوة أحد البشر لله وافتداءه للبشر من الخطيئة التي لم يرتكبوها أمراً مستساغاً لدى الرومان الذين انتشرت البولسية بينهم انتشار النار في الهشيم. ولا يبدو لأول وهلة من تفسير للاضطهاد المرير الذي عانته الكنيسة من قبل الرومان، ثم ذلك الانفراج المحير إلا بافتراض كون ذلك علامة على نهاية الكنيسة الأولى الموحدة .

رسالة المسيح

إن غاية بعث[1] المسيح كانت مزدوجة الاتجاه؛ فانه من جهة كان مبعوثاً لإصلاح الدين الموسوي، ومن جهة أخرى كان من أهم وظائفه هي التهيئة للدين المحمدي؛ فخشونة الشريعة الموسوية اللازمة لردع بني إسرائيل من الانتكاس لعبادة مصر القديمة أسئ فهمها كثيراً ليتحول معظم أتباعها إلى قشريين متعجرفين بشكل لا يطاق، مصرين على إن الدين هو الغاية وهو مجرد تطبيق للأحكام التكليفية، أما الغاية الحقيقية من وراء تشريع الشرائع ووضع السنن، فقد أهمل تماماً:

(ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون؛ لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون، وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والأيمان. كان ينبغي أن تعملوا بهذه ولا تتركون تلك).[2]

---

(1) توفر إجماع غير متوقع بين الإنجيليين وبين مفسري القرآن وكتاب قصص الأنبياء وغيرهم إن المسيح بعث وهو في الثلاثين من عمره. ويقدم بعض المتكلمين نظرية عن إن البعثة لا تكون قبل الأربعين سنة حينما يبلغ الإنسان كماله العقلي. وقدم المؤيدون لهذه النظرية تفسيرا لبعثة المسيح المحرجة لنظريتهم فقد اقروا بان مثل هذا الأمر (أي حصول البعثة في الأربعين إنما هو أمر غالبي). إلا أن السيء في الأمر أنه لا يوجد أي دليل من تاريخ الأنبياء بإمكانه أن يساعدهم على توطيد هذه النظرية فاشهر الأنبياء بعثوا في أعمار لا تتطابق مع العمر المفترض للبعثة كنوح وموسى فقد مضت فترة طويلة على بلوغهم الأربعين حتى بعثوا ولا على يحيى وعيسى وربما إبراهيم أيضا فقد تمت كلمة الله لهم قبل هذا السن بمدة طويلة .

(2) متي ٢٣: ٢٣ .



كما إن من أهم غايات بعثته هو تصحيح الانحرافات العقائدية التي أحدثها الصدوقيون بإنكار الروح والملائكة والقيامة. أما من الجهة الأخرى فقد بشر بقدوم من (سيعلمكم كل شيء)[1] وانه من الخير للمسيح أن يذهب فإذا ذهب (أرسله إليكم. ومتى جاء وبخ العالم).[2] وأما تفصيل بشارة المسيح برسول الله، فقد الفت عنها المجلدات فلا داعي للتفصيل هنا.

والغرض المهم الآخر من دعوة المسيح هو إزهاق روح الوثنية وسموم الهيلينية. فقد ظهر فلاسفة اليونان وخطباء الرومان ليشكلوا مع انتصارات قادتهم حضارة عقلية وحربية معاً تتعدد فيها الآلهة والقوى الطبيعية، لتحشر الإنسان في كهف (اللاأدرية) تارة، ثم إن طاوعها حيناً دفعته إلى أحضان (السفسطائية) ما لم ينته عند الإلحاد أو الشك الديني التقليدي. وأصبحت قواعد منطق أرسطو تنتشر يميناً وشمالاً، حتى روي اليهود منها فلم يعودوا ليفهموا وجود المعلول بلا علة، والمسبب بلا سبب، حتى لدى من أوجد السبب والمسبب، ولم يعودوا ليفهموا - بل تشككوا - في خلق آدم وخلق العالم، ما دام التسلسل الحسي يقف حائراً هناك، وربما ظهرت نظريات التوالد الذاتي في بداياتها الفطرية آنئذ، فلم يعودوا - مثلما فعل الصدوقيون من قبل - ليهضموا وجود الروح والملائكة والقيامة.

---

(1) يوحنا ١٤: ٢٦ .

(2) يوحنا ١٦: ٧ -٨ .



فما الذي فعل المسيح؟

لقد كانت ولادته ـ بدء وجوده ـ أول دحض لعقلية العلية الشاملة، وكان نطقه ثاني دحض لها، وكان إحياؤه الموتى وإبراؤه الزمنى وصنعه لطيور الطين الطائرة مسامير غلاظ في نعش علية اليونان وهرطقتهم، لقد قدم الاستثناءات، ورسم حدود العلية، وأعطى متغير الانقلاب عليها. ولم يفهم معظم من تطرق إلى تاريخ المسيح إلى الرابط بين هذه المعجزات.[1] لأنهم عزلوا المعجز عن غايته التاريخية .

بعث المسيح واليهود ينتظرون قائداً سياسياً يمدهم بقوة خرافية لينتقموا من أعدائهم، وليشفوا غل صدورهم المليء بالحرقة، مما فعل بهم مذ تركوا الشريعة بعد سليمان. فقد مزقتهم الأمم ـ المتوجسة منهم شراً- شر ممزق فجاست خلال ديارهم، ونهبت أقدس ما يملكون وأغلى ما يدخرون، وأسقطت كرامتهم المتبقية بسببي عذاراهم وأمهات الأولاد. ومن يقرأ مرثيات ارميا يكتفي.

---

(1) بررت غالبا بان الطب كان متطورا على عهد الرومان فأرسل المسيح بمعجزات تفوق ما عجز عنه الطب المعاصر له. إلا إن الإشكال الرئيسي هو، إن هذا ينطبق فقط على شفاء الأكمه والأبرص والأعمى، وإلا فما الداعي إلى صنع الطيور وأحياءها وإحياء الموتى وإنزال المائدة السماوية، وإخبار الناس ما يدخرون وما يأكلون! .



ها هم ينتظرون بطلاً مغواراً كالمكابي، يسحق رؤوس أعدائهم بالمطرقة، أو كداود الذي أذاق البلشت مر الموت. أرادوا قائداً وملكاً يطرد جيرانهم من الأرض فلا يبقى معهم على ارض كنعان أحد.

فمن جاءهم؟

جاءهم نبي خطير، يقول لهم: إن العيب ليس في العالم ولا في جيرانكم ولا في الشريعة. إنما العيب فيكم انتم ومنكم لا من غيركم، وما لم تفعلوا شيئاً إزاء ذلك فلن يغنيكم ألف مسيح وألف ملك. لقد صعق اليهود؛ فهذا الذي انتظروه من ألف عام جاء ليوبخهم، وبدل إن يقودهم إلى سحق الرومان وطرد النبط والبلشت، تراه يتحدث عن مملكة ليست من هذا العالم. ويتحدث عن أحكام لا يمكن ليهودي - غير عاقل بالطبع - أن يقبلها.

هل يأمرنا أن نبارك مبغضينا ونحب أعداءنا ونقتسم الخبز والرداء مع الغريب؟.

لقد كانت بعثة المسيح اكبر خنجر وُجّه لقلب اليهودي التقليدي .

جاء المسيح ليقول إن الدين وسيلة لغاية أعظم هي محبة الله، وان الإنسان أكرم من السبت، وان ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله الحي. وإنهم ما لم يغيروا بأنفسهم فان الله لن يغير ما بهم من ذلة وعبودية. قال لهم إن محبة القريب كالنفس، هي أعظم ما في الناموس. وانه ما

جاء ليسقط من الشريعة حرفاً واحداً، بل ليكمل، ويخفف عنهم بعض الأحكام ناسخاً لها.

ورغم إنهم لم يكونوا ليحترموا الشريعة كما تستحق، إلا أنهم بدو من اشد المدافعين عنها أو عما يتصورون انه الشريعة، لياً بألسنتهم وطعناً في الدين. فكانت عاقبتهم إنهم رفضوه وكرهوه وشنعوا عليه، ثم أنكروه وأنكروا أن يكون قد ظهر للوجود أحد بهذا الوصف، ليعودوا بعد مضي ألفي عام يطالبون ببراءة من دمه ويمنحونها من قبل رأس الكنيسة في العالم .

تلاميذ المسيح

فيما يبدو من الأناجيل إن اختيار التلاميذ تم عقب بعثة المسيح مباشرة، وقد اختير معظمهم من الصيادين في بحيرة طبرية (بحر كنارة أو بحر الجليل)، والمشهور بين المسيحيين إنهم اثنا عشر تلميذاً واستبدل يهوذا الاسخريوطي بعد رحيل المسيح بآخر[1]، فصارت سُنة التشاؤم من الرقم (١٣) جارية في الغرب، وكان حريًا بهم التشاؤم من الرقم (١٢) وهو تسلسل يهوذا!.

فمن هم التلاميذ وفق كتب المسيحية.؟

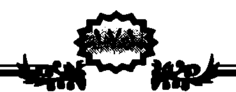
تقدم الأناجيل للحواريين صورة مخزية لا تتناسب مع أعوان الرب! وملح الأرض. فهم شكّاكون، قليلو الأيمان ناكرو المسيح في أحلك الظروف، ينامون ساعة الخطر وفي أحوج ما يكون لهم متطلبون لمعجزات وعجائب... الخ. ووفق هذا المنطق فان كان هذا حال تلاميذه المقربين فبقية الخلق معذورون!. هل هذه هي نفس الصورة التي يقدمها القرآن للحواريين؟ .

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

والإشارة في هذه الآية القرآنية إلى نوع من التسديد والإلهام الذي هو درجة رفيعة من درجات الوحي التي تتراوح ما بين الدفع الغريزي والمشافهة.

---

[1] هو (متياس) حسب سفر الأعمال .



وفي الآية كذلك إشارة إلى ثبوت الأيمان وتأخر التسليم الذي يأتي في مرحلة لاحقة .

فهل هذه هي نفس الصورة التي يقدمها المسيحيون للحواريين؟

الحقيقة كلا. فالقرآن يقدم الحواريين بشكل أرقى من ذلك. فهو يحض أتباعه أن يكونوا مثل حواري عيسى عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ فهو يسميهم أنصار الله[1]﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ وهم مؤمنون مسلمون موحى إليهم: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾

وفوق هذا وذاك فهم حواريون، فما معنى ذلك؟

إن اسمهم يدل بمجرده على نقائهم، وهو مشتق من (الحور) وهو البياض، لذا فهم بعض المفسرين إنهم كانوا (يبيضون الثياب) لكنها مشتقة فيما يبدو من الخبز الحوار وهو الأبيض.

---

(1) أثير النقاش مراراً عن سبب تسمية (النصارى) بهذا الاسم، فكان من ابرز الاقتراحات لتعليل هذه التسمية هو إنها نسبة إلى مدينة الناصرة والتي يشكك البعض بوجودها في زمن المسيح. و الأناجيل تنفي أن يكون أحداً من الناصرة قد آمن بالمسيح حتى قال فيهم قولته الشهيرة (لا كرامة لنبي في وطنه) واحتقر اليهود الناصرة ولم يرجوا منها خيراً، كما إن أهم تلاميذه بل كلهم لا ينتمون إلى هذه المدينة، ولعله اشتق من اللقب الذي اشتهر بينهم للمسيح اعني (الناصري) .



واللفظ العبري القريب من لفظ حواريين هو (حبوريم)، والتي تفيد معنى التلاميذ .

من هم التلاميذ المختارون؟.

لم تتفق الأناجيل على أسمائهم؛ فقد سجلت وفق كل إنجيل بما لا يطابق الآخر، إذ اتفقوا (مع برنابا) على أسماء ستة أشخاص واختلفوا في الستة الباقية، والمتفق عليه من تلاميذ المسيح هم سمعان (شمعون بطرس) وهو الملقب بالكهف أو الصخرة وهو سيدهم ورأس الكنيسة بعد رفع المسيح وأخوه اندراوس أبناء يوحنا، وفليبس وبرتولماوس ويهوذا ويهوذا سمعان الاسخريوطي، فيما ذكر كل من متي ولوقا ومرقس إن سمعان الكنعاني الملقب بالغيور كان من التلاميذ واتفقوا على إن يعقوب بن حلفي ومتي كانا كذلك ووافقهم برنابا هنا. واتفقت الأناجيل الأربعة على إن توما من تلاميذ المسيح فخالفهم برنابا. أما يوحنا فلم يسمي إلا سبعة تلاميذ فقط بعد أن دعا برثولماوس (نثنائيل)، وهو اسمه العبري .[1]

([1]) كان العديد من سكان فلسطين يحملون اسما رومانيا بجانب اسم الولادة كمرقس أو مارك (يوحنا) وبولس (شاؤل) وبطرس (سمعان) وبرتولماوس (نثنائيل) ولا يجازف المرء إذا قال إن معظم اليهود كانوا يحملون هذه الازدواجية في التسمية إما فرضاً أو اختياراً .



مرقس ومتي	لوقا	يوحنا	برنابا
سمعان (بطرس)	سمعان	سمعان	سمعان
اندراوس بن يونا	اندراوس	اندراوس	اندراوس
يعقوب بن زبدي	يعقوب		يعقوب
يوحنا بن زبدي	يوحنا		يوحنا
فيلبس	فيلبس	فيلبس	فيلبس
برثولوماوس	برثولماوس	نثنائيل	برثولماوس
لاوي بن حلفي	لاوي (متي)		متي
توما	توما	توما التؤام	برنابا (يوسف)
يعقوب بن حلفي	يعقوب بن حلفي		يعقوب
سمعان الكنعان	سمعان الغيور		لباوس تداوس
يهوذا اسخريوط	يهوذا اسخريوط	يهوذا سمعان	يهوذا

وقد منح الأثنا عشر سلطة روحية وولاية تكوينية من قبل المسيح للشفاء وطرد الأرواح النجسة. وهناك عديد من القرائن والروايات تجعل ثلاثة منهم أبطالا لقصة المرسلين في آل ياسين .

ويستشف من الأناجيل إن بطرس هو كبيرهم وزعيمهم بلا منازع، سماه المسيح (صفا أو كيفا) أي الصخرة (أو الكهف) لرسوخ إيمانه أو باعتباره أساس العقيدة الحقة وملجأ الأتباع، وتركز الأناجيل على ثالوث مكون من بطرس ويعقوب ويوحنا الذين كانوا يلازمونه وقت تفرده عن بقية التلاميذ مما



يـدل علـى خصوصـيتهم عنـده[1] بـل يصـرح بـولس إنهـم المشـار إلـيهم بـ(الأعمدة).

والرسل الأثنا عشر في معظمهـم من اليهـود الصيادين والأميين[2] تحولـوا فيما بعد إلى متكلمين بلغات متعددة ينطق أحدهم بالسن مختلفة، وهي معجزة عملية؛ لاسيما بتعدد لغات سكان فلسطين فضلا عن سعيهم لنشر عقيدتهم في العالم القديم .

بطرس

يعتـبر بطـرس خليفـة للمسـيح ووصـياً لـه وقائـداً للحـواريين واسمـه سمعان(شمعون) بن يوحنا (يونا) الملقب بـ(صفا) والشهير ببطرس. كان أول أتباع المسيح، وأكثرهم إيماناً ويقيناً بـه. جعلـه المسيح رئيساً للرسـل، وكـان الوحيـد ـ حسـب الأناجيـل- الـذي تبـع العسـكر الـذين جـاءوا إلى بسـتان جشمياني ليعتقلوا المسيح، والوحيد الذي تصدى لهم فقطع أذن خادم رئيس الكهنة، وبقي بطرس بعد المسيح يدعو الناس إلى الـدين الحق وأقـام فـترة في إنطاكية وسـجن في العـام (٤١)م من قبل هيرود اكريبا الـذي قتل يعقوب في

(١) راجع متي ١٧:١/ مرقس ٥: ٣٧، ٩: ٢، ١٣: ٣، ١٤: ٣٣/ لوقا ٨ :٥١، ٩: ٢٨ .

(٢) من المعروف إن سمعان الغيور كان كنعانياً وان برناباً قبرصي الجنسية وان المسيح دعا السامرية وشفى الكنعانية. مما يدل على إن بعثته لم تكن مقتصرة على خراف بني إسرائيل الضالة .



ذات العام. ثم نزح إلى روما حتى قتل فيها على الأرجح في العام (٦٧)م، وتتفق الأناجيل الأربعة على إنكار بطرس (للمسيح) أثناء محاكمته حتى يصيح الديك مرة أو مرات - بحسب رواية كل إنجيل- فيتذكر بطرس ما اخبره المسيح من وقوع النكران منه، ويوجد في الأثر الإسلامي رواية تؤيد واقعة إنكار المسيح دون ذكر اسم المنكر، لكن سياقها يكاد يكون قطعياً في إنكار أن يكون المنكر هو بطرس.

برنابا

ورد أسم برنابا في أقدم النصوص المسيحية - على أحد الأقوال - وهو سفر الأعمال، والذي هو بمثابة مذكرات بولس التي اكتبها الطبيب لوقا، صاحب الإنجيل الثالث. أقول ذكر ثمانية وعشرين مرة مما يدل على أهميته وشدة نشاطه، و كان هو الفرد الذي زكى بولس، العدو اللدود للمسيحية أمام الرسل الأثني عشر، ورافقه طويلاً في التبشير بالمسيحية الأولى، إلا انه سرعان ما اصطدم لأسباب عقائدية، كما سنعرف عندما نطلع على ديانة بولس ومعتقداته.

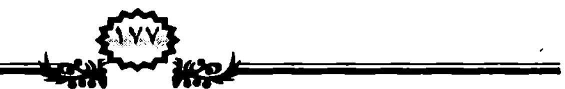
وكلمة برنابا مؤلفة من مقطعين (بر) أي ابن (نابا) أي الوعظ أو النائبة. فهو ابن الوعظ أو ابن النائبة. وقد ظهر في القرن الثامن عشر إنجيل منسوب



إليه[1] يندد في مقدمته ببولس وانحرافاته، ويحوي الإنجيل المحير على نصوص نادرة ومعان من السمو والرقي، مما يخجل بقية الأناجيل حال المقارنة معها، ويعترف صراحة بتبشير المسيح بالرسول محمد ﷺ ، وسجل إنكار المسيح أمام الفرقة الرومانية وجموع الشعب لدعوى الألوهية.

والكتاب محيّر فعلاً، فالكاتب يملك معلومات وثقافة دينية وروحية نادرة، وإحساس بالأحداث، وتصوير لتفاصيل رحلة المسيح بشكل أدق من غيره، ورغم انه لا يتطابق مع بعض المفاهيم الإسلامية، إلا أن الخطوط العامة له تقربنا من تصوير القرآن للمسيح ودعوته، ومطالعته مفيدة للغاية للتعرف على تاريخ المسيح ونقاط ضعف قصص الأناجيل الباقية .

(1) ترجمة عن الإنكليزية د. خليل سعادة، والأصل مكتوب بالإيطالي عثر عليه في مكتبة الفاتيكان واخذ خلسة من قبل أحد الرهبان .



الإنجيل

هل الإنجيل نص مكتوب على حجر أو رق كما التوراة؟

أم هو الوحي الذي كان ينطق به المسيح؟.

لقد ورد لفظ الإنجيل في القرآن ١٢ مرة،[١] مرادفاً للفظ التوراة (١١) مرة. مشيراً إلى انه كما التوراة كتاب منزل أنزل على المسيح. ووصف بأن فيه هدى ونور وهدى وموعظة للمتقين، وتصديقاً لما بين يديه من التوراة. وان فيه الوعد بالنبي الأمي، وان الجنة لمن يقتلون في سبيل الله، وان فيه مَثَل الزرع المشير إلى الرسول وأتباعه.

ويقول برنابا إن كتاباً روحانياً نزل على عيسى عليه السلام فدخل في جوفه فعرف كل نبي وولي وعرف كل ما أراد أن يعرفه، وهو بهذا الوصف يشبه القرآن من جهة كونه حال النزول ليس نصاً مكتوباً كما التوراة.

ورغم تهافت الأناجيل واضطرابها إلا أن معظم ما نقلته من أقوال المسيح يشير إلى معان عالية لا تناسب إلا المسيح وتجد تصديقها في الكتب السماوية والأخلاق الإلهية. ويبدوا إن هذا هو ما بقي من الإنجيل النازل على عيسى بن مريم عليه السلام. ولكونه لم يكن مكتوباً وكان اغلب أتباع المسيح من الأميين،

---

(١) آل عمران ٣، ٤، ٤٨، ٦٥. المائدة ٤٦، ٦٦، ٦٨، ١١٠. الأعراف ١٥٧. التوبة ١١٠. الفتح ٢٩. الحديد ٢٧ .



فقد نشر بواسطة الكلمة والخطابات التي كان المسيح يوجهها إلى أتباعه فحفظ في الصدور وضاع منه ما ضاع.

والإنجيل (كما قيل كثير) مشتق من اللفظ اليوناني (ايفا نجليون) ومعناه الإخبار السار (الحسن) أو البشرى (البشارة).

وقد حاول البعض الاستشهاد بنصوص من العهد الجديد لإثبات إن الإنجيل كتاب واحد نزل على عيسى عليه السلام ومستشهداً بعدد من النصوص الواردة في العهد الجديد، إلا إن ذلك محض سوء فهم لمعنى الإنجيل الوارد في أعمال الرسل ورسائلهم فانه لا يعني هناك إلا دعوة المسيح وبعثه وبشارته ليس إلا [1].

وبحسب الأثر الإسلامي المتعدد فقد كان الإنجيل يحوي حكماً ومواعظ وخالياً من التشريع؛ مما يجعلنا نفهم إن التشريعات التخفيفية التي جاء بها المسيح لم تكن من ضمن الإنجيل.

وتحوي الأناجيل الأربعة المتداولة الآن على بعض الحكم والمواعظ والأمثال، لا يبعد أن تكون جملة منها بعض مما في الإنجيل الحقيقي؛ لقلة تعارضاتها المعنوية وسياقها العالي ومطابقتها لكثير من المنقول الإسلامي عن تعاليم المسيح ودعوته .

---

(1) انظر (قصص الأنبياء) للنجار. وقارن كورنثوس ٢: ٣/ ٨: ٨/ غلاطية ١: ٦/ ٢: ١٤/ فلبي ١: ١٢/ تسالونيكي ٢:٨/١تيموثاوس ١/ ١١/ ٢: ٨ وغيرها .



الأناجيل الأربعة

بعد غياب المسيح حاول العديد من أتباعه كتابة سيرة ذاتية له سميت بالأناجيل (البشارة) وكانت مثلما يكتب أحدهم كتاباً في تحليل القرآن أو تفسيره أو تاريخه ويكون عنوانه (القرآن). وقد بلغت أكثر من مائة سيرة ـ على ما اشتهر ـ ما لبث أن تم اختيار أربعة منها في قصة جانحة الخيال والأناجيل المختارة هي: إنجيل متي، ومرقس، ولوقا، ويوحنا .

إنجيل متي

يعتقد بعض الباحثين إن متي كتب بشارته في أورشليم العام (٣٩)م[1] وقد قال اوسيبيوس انه كتب بالعبرية وفقدت تلك النسخة، وبقيت ترجمتها اليونانية المجهولة المترجم. وإنجيل متي يركز على تعليم المسيح، مقدماً إياه كمعلم وكملك بالقوة. وهو من ـ مع لوقا ـ الأناجيل التي انفردت بذكر نسب المسيح ـ يوسف النجار في الحقيقة .

---

(١) في الأجوبة الفاخرة للقرافي المالكي إن إنجيل متي كتب بعد صعود المسيح بثمان سنين مما يعطينا تاريخا محددا لرفع المسيح هو العام (٣١)م .

إنجيل مرقس

أما مرقس فالتقليد يفترضه يهودياً لاوياً، صنف بشارته لرجاء أهل روما، ومات مقتولاً في سجن الإسكندرية سنة (٦٨)م، ويتردد اسم مرقس في أعمال الرسل، فيقدم على إن اسمه هو يوحنا، وأمه هي مريم وهو ابن أخت لبرنابا، وقد انفصل مع خاله عن مرافقة بولس الذي علم تعليماً مغايراً لبقية الرسل والتلاميذ. وقد افترض إن إنجيله كتب بناء على حث بطرس في العام (٦١)م، إلا إن عدم مدحه لبطرس بما يستحق يزعزع هذا الاعتقاد. وهناك اعتقاد متين إن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل وقد اعتمد كتابه ـ يظن أكثر من واحد ـ على مصدر أقدم. وكان مرقس ينكر ألوهية المسيح. وإنجيله أصغر الأناجيل جميعا، ركز فيه على أعمال المسيح دون أقواله. وقد اُلحق بهذا الإنجيل اخطر القضايا المسيحية وهي رفع المسيح إلى السماء فأضيفت الفقرات من (٩-٢٠) من الإصحاح السادس عشر على النص الأصلي في فترة لاحقة.

إنجيل لوقا

الطبيب لوقا وبعد أن شاهد استعار الرغبة العامة في كتابة ما حصل، كتب إلى المدعو ثاوفليس بسيرة مدققة لتاريخ المسيح. وقد كان لوقا تلميذاً مخلصاً لبولس، ويعزى إليه سفر الأعمال أيضاً. وتعود فترة كتابة إنجيله إلى ما بعد كتابة مرقس لبشارته وبعد موت كل من بطرس وبولس على الأرجح. كتب



لوقا إنجيله لخدمة الأجانب والغرباء عن العبرية واليهودية، فكان يفسر معاني الأسماء والمواضع ويفسر الأعياد والمناسبات. واتفق الباحثون على تقديم قولي مرقس ومتي حال اتفاقهما فيما إذا تعارضا مع لوقا، وتسمى الأناجيل الثلاثة السابقة بالأناجيل المتوازية لانفراد إنجيل يوحنا بزاوية خاصة في النظر .

تفرد إنجيل لوقا بأكثر من عشرين حادثة اغلبها في الإصحاحين (٢و٦) كبشارة زكريا (عليه السلام) ـ وهو الوحيد من الأناجيل الذي ذكره ـ ومولد كل من يوحنا وركز على معنى كون المسيح هو المخلص الموعود وهو الإنسان. وهناك شكوك مسيحية أن يكون الإصحاحان الأول والثاني غير أصيلين وشُكِكَ أيضاً في الفقراتَ (٤٣-٤٤) من الإصحاح الثاني والعشرين وكذا الفقرة (١٧ من الإصحاح ٢٣).

إنجيل يوحنا

لقد اعتبر إنجيل يوحنا اخطر الأناجيل الأربعة فاسمه يعطي انطباعاً أن كاتبه هو يوحنا الحبيب، حواري عيسى عليه السلام وتلميذه المحبوب وأحد الرسل، لكن التدقيق في هذا النص يكشف إن كاتبه حاول متردداً الإيحاء بأنه يسجل أفكار يوحنا المعمدان حول المسيح[1]! فيما يبدو في مناسبات أخر يبدو أنه ينتحل شخصية التلميذ المشهور. كُتب هذا الإنجيل نهاية القرن الأول الميلادي

(١) تأمل في الإصحاح الأول والثاني من إنجيل يوحنا .



ـ حوالي (٩٦م)[1]ـ بناء على رغبة أساقفة آسيا لمواجهة آراء شيرينتوس وابيسون القائلة ببشرية المسيح. والمحققون أنكروا أن يكون ذلك الإنجيل من كتابة التلميذ المحبوب، بل ـ كما قالوا ـ انه من نسج طالب من طلاب الغنوصية السكندرية. ويبدو الفصل الأخير (٢١)، ملحقاً بالنص الأصلي، ألحقته به كنيسة (أفاس). وغاية الإنجيل كما هو واضح (لتؤمنوا بان يسوع هو المسيح ابن الله)!!.

(¹) بعض التقديرات ترجعه إلى العام (٦٥) أو العام (٩٨). ويقول القرافي المالكي إن إنجيل يوحنا كتب بعد صعود المسيح بثلاثين سنة مما يعطينا تاريخا لكتابة هذا الإنجيل هو العام (٦١)م .



مقارنة الأناجيل

إن الإجماع في نصوص الأناجيل عزيز لا يتجاوز إلا نتفاً من حياة المسيح وأعماله، فقد أتفق الإنجيليون الأربع على الفقرات التالية فقط[1] دون غيرها:

١. اسم المسيح يسوع وتولد من مريم.

٢. ظهر يوحنا المعمدان في البرية يدعو إلى التوبة تحقيقاً لقول الكتاب (**صوت صارخ في البرية، هيئوا طريق الرب**) وكان الناس يخرجون إليه من جميع بلاد اليهودية وأورشليم فيعمدهم في نهر الأردن، معترفين بخطاياهم. وكان يبشر بقوله: (**يجئ بعدي من هو أقوى مني، من لا استأهل أن احل رباط حذائه، أنا أعمدكم بالماء وهو يعمدكم بالروح القدس**).

٣. وفي هذه الأثناء جاء يسوع من الأردن إلى الجليل، وتعمد على يد يوحنا، ولما خرج، انفتحت السماوات له، ونزل روح القدس كهيئة حمامة. واختار تلاميذه ومنهم: سمعان، واندراوس، ويوحنا، ويعقوب، وفليبس، وبرثولماوس، ويهوذا و(خمسة آخرون)؟.

---

(١) راعينا هنا المطابقة التامة بين الفقرات فحذفنا ما انفرد به واحد أو اثنان أو ثلاثة دون الرابع. وقبلنا التطابق المعنوي فلم يتحصل لنا غير هذه الفقرات القليلة مما يدل على اضطراب الأناجيل وتخالفها. والنص أعلاه دقيق جداً فلم تضف إليه إلا أدوات الربط .



٤. وقرب عيد الفصح عرف الشعب انه في مكان ما قرب بحيرة طبرية. ولم يكن لديهم إلا خمسة أرغفة وسمكتان، فأمر الجموع أن يقعدوا على العشب واخذ الأرغفة والسمك وباركهما ووزعهما فأكلوا وشبعوا، ثم فضلت (١٢) قفة مملؤة بكسر الفضلة. وكان الذين هناك خمسة آلاف رجل.

٥. وقرب أورشليم وجد جحشاً فركبه ودخلها وكانت الجموع الكثيرة تحمل أغصاناً وتنادي (**مبارك الآتي باسم الرب**).

٦. ودخل يسوع الهيكل وطرد جميع الذين يتجاوز عليه، وقلب مناضد الصيارفة وباعة الحمام،وقال لهم: (**بيتي بيت صلاة، وانتم جعلتموه مغارة لصوص**)، فأثار غضب رؤساء الكهنة.

٧. وقبل عيد الفصح بيومين، كان رؤساء الكهنة (وغيرهم) يبحثون كيف يمكنهم أن يتخلصوا منه.

٨. فذهب يهوذا اسخريوط إلى رؤساء الكهنة ليسلم لهم يسوع، فوعدوه بان يعطوه مالاً، فاخذ يترقب الفرصة لتسليمه.

٩. وفي أول يوم من العيد، جلسوا للطعام، وفيما هم كذلك، قال يسوع: (**الحق أقول لكم، واحد منكم سيسلمني**) فحزن التلاميذ.

١٠. فقال سمعان (**يا سيد، أنا مستعد أن أموت معك**) فقال يسوع:(**أقول لك: لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات**) .



١١. فخرج التلاميذ إلى خارج أورشليم، وابتدأ يسوع يصلي فيما نام تلاميذه ولم يستطيعوا السهر معه

١٢. فاقبل جمع، معهم يهوذا وقبضوا عليه، وضرب أحد تلاميذه أحد المهاجمين فقطع أذنه .

١٣. وذهبوا إلى المجمع وتبعهم بطرس. فشهد أحدهم على بطرس، فأنكره، فصاح الديك، وتذكر بطرس.

١٤. وفي الصباح دفع إلى الوالي الروماني. وطالب اليهود - بإطلاق سراح باراباس.

١٥. وسخر منه وهزئ به.

١٦. وصلب ومعه اثنان عن اليمين وعن الشمال في موضع (الجلجثة) واقتسموا ثيابه وكتبوا على رأسه لوحة فيها عبارة (ملك اليهود). وقدم له خل وكان هناك بعض من معارفه. ثم انزل من الصليب .

١٧. وطلب الوجيه (يوسف) التقي من الرامة من (بيلاطس) استلام جسده. ودفنه وقت التهيئة عصر الجمعة بعد أن لفه في كفن ودفن في قبر جديد.

١٨. وذهبت مريم المجدلية إلى القبر في اليوم التالي ومعها حنوط.



١٩. فوجد الحجر قد رفع عن القبر والجسد مفقود وظهر ملاك أو أكثر واخبر: (انه حي) .

ويدعو للاستغراب حقا إن الأناجيل ذكرت حادثة هدم الهيكل والمدينة المقدسة على يد (تيتوس)، وهذا الإغفال لا يمكن تفسيره إلا بافتراض إنها كتبت بصيغتها النهائية قبل العام (٧٠)م وهذا مستبعد، أو جراء الحرج من ذكر ذلك التدمير في نصوص دينية، ولأسباب دينية أو كونها نقلت من مصدر أقدم فلم تشأ أن تضيف عليه الحوادث اللاحقة كما فعل لوقا، حينما قسم قصته إلى قسمين هما: إنجيله وسفر الأعمال .

ويقل شك الباحثين عندما يتعلق الأمر بأقوال المسيح نفسه والواردة في الأناجيل، لقلة التعارض فيما بينها رغم تعرض بعضها للـ(مونتاج). وقد اصطلحوا عليها مصطلح (الينبوع) Quelle .



بقية الأناجيل

فُقدت بقية الأناجيل المائة ـ وربما أكثر- بعد أن أهملتها الكنيسة، وربما قامت بإتلاف معظمها، في حين حرم البعض الآخر منها كإنجيل برنابا وقد قال القرافي: إن هناك إنجيلاً خامساً غير مشهور يدعى إنجيل الصبوة يتناول تاريخ صبا المسيح، كتبه بطرس من إملاء مريم. وسمع عن وجود الإنجيل الاغنطسي والذي يتكفل ـ فيما وصل لأسماعنا عن محتوياته- بذات الدور الذي تكفله برنابا، ففيه التنديد بانحرافات بولس وبدعه وأباطيله. وقد طرق سمعي إن العلامة (كلي مي شيس) قد جمع ما عثر عليه من بقايا الأناجيل المنسية وقام بطبعها في ثلاثة مجلدات ضخام ولم يتسنى لي الاطلاع عليها .

وظهر في العام (١٩٥٦) نسخة مطبوعة عن (إنجيل توما) والذي كان جزءاً من مجموعة ضخمة من الوثائق التي عثر عليها العام (١٩٩٤٥-١٩٤٦) في منطقة (نجع حمادي) في مصر. ويحكي الإنجيل قصصاً لم ترد في الأناجيل ويتناول قصة المسيح بشكل أكثر عفوية وبساطة. وبحسب بعض الترجيحات، فانه كتب قريباً من بداية القرن الثاني الميلادي. وتقدم النصوص المرافقة له دعماً آخر لنظرية الشبيه المصلوب وترشح سمعان القيريني حامل الصليب للعب هذا الدور، مبررة الأمر إن (من لا يأثم لا يتعذب، والمسيح لم يأثم فلن يتعذب) .

الأعاجيب

خمر قانا

يعتبر يوحنا معجزة تحويل الماء إلى خمر أول معجزة للمسيح. وتبدو قضية تحليل الخمرة أو تحريمها مثار جدل في شريعة الأديان السابقة.فهل كانت محرمة أم هي الحلال..؟ ورغم عدم وجود تأكيد لانقلاب ماء قانا إلى خمر من مصدر آخر موثوق ـ ليس الأناجيل بالطبع، التي خلت من تلك المعجزة أيضا!ـ إلا أن الأمر المهم هو إن الخمر ليست المسكر، وانه ـ أي المسكر- ورد معطوفاً على الخمر في (١٨) موضعاً من العهد القديم ومرة واحدة عند لوقا.[١]

فهل الخمر ليس بالمسكر..؟

لقد حرمت الشريعة الموسوية في بعض الحالات أكل العنب وجميع ما يشتق منه، فحرمت أكل العنب الرطب، واليابس، وعصير العنب، والخمر، والمسكر، وخل الخمر، وخل المسكر[٢].

فما معنى هذا التمييز في كل تلك المواضع التي أردفت المسكر بالخمر..؟

لابد انهما مختلفان.

---

(١) لاويين ١٠ :٩/ تثنية ١٤: ٢٦/ قضاة ١٣: ٧/ صموئيل: ١٥:١/ مزامير ٣١:٤/ اشعيا ٥: ١/ ميخا ٢: ١١/لوقا ١: ١٥. وعشر مواضع آخر في العهد القديم .

(٢) سفر العدد ٦: ٣ .

نعم هناك من النصوص تشير إلى أن شرب الخمر مورث للسكر، إلا إن التمييز يظل باقياً بوضوح شديد. ولا يمكن أيضاً القول إن المسكر هنا هو الفقاع، بل ما يفهم من جميع النصوص إن المسكر اشد تحريماً من الخمر. فان اثبت صحة حكاية خمر قانا ـ ودون ذلك خرط القتاد ـ فانه يمكن الاستنتاج إن الخمر ما كان إلا عصير العنب المخمر، والذي فيما يبدو أن شربه بكميات كبيرة يصيره مورثاً للسكر.

لكن الفكرة الأساسية هي: ما معنى فعل المسيح بقلب الماء خمرا أو عصير عنب حتى ؟

فمن المفترض انه قدم معجزة أو آية؟

فما جدوى هذه الآية وماذا تثبت؟

ورغم إننا هنا لا يمكن أن نفصل في معنى الآيات والمعاجز ومراميها وحتى حدودها إلا أنها ـ أي الآيات ـ لا تخرج عن خمس غايات:

١. الهداية (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ).

٢. الابتلاء (وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ).

٣. إقامة الحجة (لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) (لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) .

٤. التخويف (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً) (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).



٥. علامة للتصديق (آيَةَ مُلْكِهِ) (آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ) (أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ).[1]

ومن التأمل في هذه الغايات الخمس فان معجزة قلب الماء خمراً لا تبدو داخلة ضمن إحدى هذه الغايات بوضوح كاف، فلم يحصل أي شيء من هداية أو ابتلاء أو إقامة للحجة وفق مصادر رواية هذه القصة - اعني الأناجيل- .

[1] لاحظ إن (الآية) بصيغة المفرد هي الوحيدة التي تهدف لغاية محددة هي التصديق، فيما تمارس (الآيات) بصيغة الجمع وظائف متعددة. فتدبر .



العُمي يبصرون

﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ .

في إنجيل متي هناك قصص عن شفاء عميان، ويذكر مرقس اسم أحدهم وهو بارتيماوس بن تيماوس. ويؤيد لوقا الواقعة .

(وجاءوا إلى أريحا. وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان بارتيماوس الأعمى ابن تيماوس جالسا على الطريق يستعطي. فلما سمع انه يسوع الناصري ابتدأ يصرخ ويقول يا يسوع ابن داود ارحمني. فانتهره أن ينادى. فنادوا الأعمى قائلين له ثق. قم. هو ذا يناديك. فطرح رداءه وقام وجاء إلى يسوع. فأجاب يسوع وقال له ماذا تريد أن افعل بك. فقال له الأعمى يا سيدي أن ابصر. فقال له يسوع اذهب. إيمانك قد شفاك. فللوقت ابصر واتبع يسوع في الطريق).[1]

وهناك قصص آخر عن شفاء العميان تتخالف وتتوافق، إلا إن المحصلة العامة وهي شفاء العميان مؤكدة من القرآن الكريم .

---

(1) مرقس ١٠: ٤٦ .

المائدة السماوية

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ[1] أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ◆ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ◆ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ◆ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ[2] فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.[3]

---

(1) قراءة الكسائي (تستطيع) بصيغة الخطاب و(ربك) بالنصب أي تستطيع سؤال ربك .

(2) هل نزلت أم لا؟ فقال الحسن ومجاهد:إنها تنزل، وإن القوم لما سمعوا الشرط استعفوا من نزولها، وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها، لم تنزل، والبعض يثبت النزول لقوله سبحانه (إني منزلها عليكم) ولا يجوز أن يقع في خبره الخلف، ولان الأخبار قد استفاضت عن النبي والصحابة والتابعين في أنها نزلت، واختلفوا في كيفية نزولها وما عليها، فروي عن عمار بن ياسر، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: نزلت المائدة خبزاً ولحماً، وذلك أنهم سألوا عيسى عليه السلام طعاما لا ينفد يأكلون منها، قال: فقيل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تخونوا أو تخبئوا. وترفعوا، فإن فعلتم ذلك عذبتم، قال: فما مضى يومهم حتى خبئوا ورفعوا وخانوا .

(3) المائدة ١١٢- ١١٥. قيل في معنى العذاب أقوال: أحدها: أراد عالمي زمانهم. فجحد القوم وكفروا بعد نزولها فمسخوا قردة وخنازير، عن قتادة، وهو المروي عن أبي الحسن موسى عليه السلام وثانيها أنه أراد عذاب الاستيصال .

وثالثها: أنه أراد جنساً من العذاب لا يعذب به أحد غيرهم، وإنما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لأنهم كفروا بعد ما رأوا الآية التي هي من أزجر الآيات عن



طاشت سهام كثير من المفسرين في هذه الواقعة من وقائع تاريخ المسيح؛ فقد اختلفوا في سبب الطلب، ومعنى النزول، وماهية المائدة والطعام الذي عليها، وهل نزلت أم لا، وهل أكل منها أم لا، وهل نزلت مرة أم مرات.

ويكفينا أثر صحيح لحسم معظم تلك التساؤلات.[1] فما أوله البعض من معنى النزول ضعيف[2] فالمائدة من السماء هي مائدة من السماء، وطلب إنزالها معنى حسي متصور يشبع الرغبة إلى رؤية المعجزة، بخلاف أيجاد الرزق غير المحتسب وما إلى بقية الاحتمالات من معنى النزول. والمائدة نزلت لدعاء المسيح بنزولها واستجابته تعالى لدعائه ولقوله ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ .

وطلب الحواريون له معان محتملة:

الوجه الأول: إنها على سبيل الاختبار، وهو معنى وان رفضه الكثيرون، إلا انه ورد في طرق إثبات الحجة انه يمكن مسئلته ـ أي الحجة ـ ما لا يستطيع غيره من الإتيان به.

الكفر بعد سؤالهم لها، فاقتضت الحكمة اختصاصهم بفن من العذاب عظيم الموقع، كما اختصت آيتهم بفن من الزجر عظيم الموقع .

(1) الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمه، عن الكوفي، عن عيسى أبن عبد الله، عن أبيه،عن أبي جعفر عليه السلام قال: المائدة التي نزلت على بين إسرائيل كانت مدلاة بسلاسل من ذهب عليها تسعة احوات (ألوان / انوان) وتسعة أرغفة فحسب. والرواية ضعيفة بمجهولية عيسى بن عبد الله بن محمد الهاشمي .

تفسير العسكري: قال النبي (صلى الله عليه وآله): إن الله أنزل مائدة على عيسى عليه السلام وبارك له في أرغفة وسميكات حتى أكل وشبع منها أربعة آلاف وسبعمائة.

(2) قصص النجار ٤١٢ .

الوجه الثاني: انه على طريقة اطمئنان إبراهيم، ليزدادوا يقيناً وتثبيتاً.

الوجه الثالث: انه طلب للحاجة بعد أن أعجزتهم القدرة عن إطعام الجم الغفير الذي كان يلاحقهم.

الوجه الرابع: أن تكون هناك معجزة عامة يستشعر بها آلاف الناس فتكون حجة على كل واحد منهم.

والحق إن كل هذه المحتملات صحيحة ومرادة؛ **﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾**.

وأما قوله **﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** فالأمر بالتقوى صحيح مطلقا في كل حال.

نعم، قد يأتي بمناسبات النهي عن المنكر المحددة فيكشف عن تورط المخاطب بعصيان ما، إلا أن ما يبعد ذلك إن طلب المنكر لا يستجاب له كما استجيب لطلبهم للمائدة.

ويخطر في البال إن طلبهم هذا موجب لوضع طائفة واسعة من المكلفين وهي طائفة المستضعفين في دائرة الحجة. مما يزيد عدد المعاندين، وقد وردت روايات غاضبة تندد ببعض ممن ورطوا الناس وألغوا صفة الاستضعاف عنهم ببثهم الحقائق في غير محلها.

والأنبياء ما أرادوا أن تتم هداية الناس عن طريق المعجز وارائتهم ما لا يستطيعون بعد مشاهدته إنكاراً واعتذراً، قال تعالى: **﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾** .

هل المائدة هي الإطعام الكثير المذكور في الأناجيل..؟[1]

تحكي الأناجيل عن قيام المسيح بمباركة خمسة أرغفة وسمكتين لجموع تجاوزت الخمسة آلاف بكثير. وبصورة غير مدققة يبدو إن الحادثين (إنزال المائدة وإطعام الجموع) حادثة واحدة، والفرق بينهما إن الأناجيل أهملت نزول المائدة السماوية وجعلتها سمكات وأرغفة لبعض مرافقيه، وإذا ما أنسقنا وراء النية المسبقة لحذف الواقعة من الأناجيل ـ ولم نعتبرها لنقص في المصادر التي اعتمد عليها في كتابتهاـ فان القصد من وراء ذلك هو محاولة إثبات إن كل ما كان ينجزه المسيح كان على نحو الاستقلال ودون توسط الآب! .

---

(1) وروى عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة قالا: كانت إذا وضعت المائدة لبني إسرائيل اختلفت عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلا اللحم، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم .

وقال عطاء: نزل عليها كل شيء إلا السمك واللحم. وقال عطية العوفي: نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شيء. وقال عمارة وقتادة: كان عليها ثمر من ثمار الجنة، وقال قتادة: كانت نزول عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا، كالمن والسلوى لبني إسرائيل، وقال يمان بن رئاب: كانوا يأكلون منها ما شاءوا .

وعلى العموم فان كلا القصتين ـ القصة وفق الروايات والأناجيل ـ تنتهيان نهاية واحدة هي إطعام الجموع الكثيرة بالقليل من الطعام.

قال المسيح: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

ونحن لا نعرف إن للمسيحيين المعاصرين عيداً يسمى بعيد المائدة إلا إنا قد نوافق على ما جاء في بعض الروايات إن يوم الأحد هو اليوم الذي نزلت فيه المائدة فكان عيداً لأولهم ولآخرهم[1] كما غدت الجمعة عيداً للمسلمين، لكن هذا يورثنا تشويشاً مرده إن الجمعة بحسب المفهوم الإسلامي هي العيد العام لجميع الأديان، وسيكون آخر أتباع المسيح هم ضمن جماعة المسلمين؛ فيستبعد أن يكون الأحد والجمعة في آن واحد عيداً أسبوعياً، ولا قيمة لمرويات كعب الأحبار في ما يخص النصارى، بل لمعظم ما يرويه.

وعوداً: إن كان المقصود بالعيد عيداً أسبوعياً فقد تكون المائدة نزلت يوم الجمعة. أو إن الاحتفال بذاك العيد قد انقرض بانقراض أتباع المسيح الحقيقيين وسيعاد ليحتفل به يوم ما متزامنا مع عيد آخر أو منفرداً .

---

(1) قيل في معنى (أولنا وآخرنا) قولان: أحدهما: نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيدا نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا، عن السدي وقتادة وابن جريج وهو قول أبي علي الجبائي. الثاني: أن معناه: يكون عائدة فضل من الله. ونعمة منه لنا، والأول هو الوجه. لأولنا وآخرنا "أي لأهل زماننا ومن يجئ بعدنا ، وقيل: معناه: يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم، عن ابن عباس. وقال كعب: إنها نزلت يوم الأحد، ولذلك اتخذه النصارى عيدا .

ويتضمن دعاء المسيح لإنزال المائدة ثلاثة تفاسير لطلبه:

أولها: اتخاذ يوم نزول المائدة عيداً .

وثانيها: إبراز آية من الله .

وثالثها: منحهم رزقاً .

وهو متفق مع ما قلناه عن أوجه طلب الحواريين لنزول المائدة، فالتفسير الأول لطلبه وهو اتخاذ نزولها عيداً موافق للوجه الأول، والثاني ويكون عيد إثبات النبوة والاطمئنان القلبي. والتفسير الثاني وهو جعلها آية من الله موافق للوجه الثالث من طلب الآية العامة. والتفسير الثالث من كون إنها رزقاً موافق للوجه الثاني وهو طلبهم للحاجة .

وفيه معاني أخر مدخرة ليس هذا محلها .

وبعض أهل المعنى ينظرون إلى المائدة السماوية باعتبارها رمزا لفتح باب القبول على مصراعيه مما أتاح للكثير التنعم بلذائذ الجنان ومنن الرحمن. ومن ثم إغلاقه بعد فترة لعدم الاستحقاق والخيانة وهذا حاصل مع كثير من الأولياء والعرفاء الشامخين حتى زماننا هذا .

والقصة بحسب متي كالآتي:

(ولما صار المساء تقدم إليه تلاميذه قائلين الموضع خلاء والوقت قد مضى. اصرف الجموع لكي يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاما. فقال لهم يسوع لا حاجة له إن يمضو.اعطوهم انتم ليأكلوا. فقالوا له

ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان. فقال أيتوني بها إلى هنا. فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب. ثم اخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع. فأكل الجميع وشبعوا. ثم رفعوا ما فضل من الكسر أثنتي عشر قفة مملوءة. والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد) .[1]

---

(1) متي: ١٥-٢٢ .

أحياء إلعازر

(وكان إنسان مريضاً وهو لعازر[1] من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها. وكانت مريم التي كان لعازر أخوها مريضاً هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها. فأرسلت الأختان إليه قائلتين يا سيد هو ذا الذي تحبه مريض فلما سمع يسوع قال هذا المريض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به. وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر. فلما سمع انه وجد انه قد صار له أربعة أيام في القبر. وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة. وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما. فلما سمعت مرثا إن يسوع آت لاقته. وأما مريم فاستمرت جالسة في البيت. فقالت مرثا ليسوع يا سيد لو كنت ههنا لم

---

(1) عن أبان بن تغلب قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام هل كان عيسى بن مريم أحيا أحداً بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدة وولد؟ قال: فقال:نعم، إنه كان له صديق مواخ له في الله وكان عيسى يمر به فينزل عليه، وإن عيسى عليه السلام غاب عنه حينا، ثم مر به ليسلم عليه فخرجت إليه أمه فسألها عنه، فقالت أمه: مات يا رسول الله، أتاها فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتى أتيا قبره فوقف عيسى عليه السلام ثم دعا الله فانفرج القبر وخرج ابنها حيا، فلما رأته أمه ورآها بكيا، فرحمها عيسى عليه السلام فقال له: أتحب أن تبقى مع أمك في الدنيا؟ قال: يا رسول الله بأكل وبرزق ومدة، أو بغير مدة ولا رزق ولا أكل؟ فقال: له عيسى عليه السلام: بل برزق وأكل ومدة تعمر عشرين سنة، وتزوج ويولد لك، قال: فنعم إذا، قال: فدفعه عيسى إلى أمه فعاش عشرين سنة وتزوج وولد له .



يمت أخي. لكني الآن أيضاً اعلم إن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه .

قال لها يسوع سيقوم أخوك. قالت له مرثا أنا اعلم انه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير. قال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا... ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية بل كان في المكان الذي لاقته فيه مرثا. ثم إن اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت تبعوها قائلين إنها تذهب إلى القبر لتبكي هناك. فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته خرّت عند رجليه قائله له يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي... فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب وقال أين وضعتموه. قالوا له يا سيد تعال وانظر. بكى يسوع. فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه. وقال بعض منهم ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت، فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء إلى القبر. وكان مغارة وقد وضع عليه حجر. قال يسوع ارفعوا الحجر. قالت له مرثا أخت الميت يا سيد قد انتن لان له أربعة أيام. قال لها يسوع ألم اقل لك إن آمنت ترين مجد الله. فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي. وأنا علمت انك في

كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنوا أنك أرسلتني. ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر: هلم خارجاً. فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع حلّوه ودعوه يذهب) .[1]

ذلك النص بمعظمه لحادثة أحياء إلعازر. والملاحظ عليه إن أسرة الميت هما أختين، في حين إن الرواية التي في الهامش عن أبي عبد الله عليه السلام تقول إن المخبرة هي أمه. ولا يبدو تعارض مباشر بين القصتين، بل يمكن الجمع بينهما بسهولة .

وهناك قصتان أخريان نقلناهما عن لوقا:

(وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة تدعى نايين وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير. فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لامّه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي. ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون. فقال أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه).



---

(١) يوحنا ١١ .

(وإذا رجل اسمه يايروس قد جاء. وكان رئيس المجمع. فوقع عند قدمي يسوع وطالب إليه أن يدخل بيته. لأنه كان له بنت وحيدة لها نحو اثنتي عشر سنة وكانت في حال الموت. وبينما هو يتكلم جاء واحد من دار رئيس المجمع قائلا له قد ماتت ابنتك. لا تتعب المعّلم .

فسمع يسوع وأجابه قائلا لا تخف. آمن فقط فهي تشفى. فلما جاء إلى البيت لم يدع أحدا يدخل إلا بطرس ويعقوب ويوحنا وأبا الصبية وأمها. وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون. فقال لا تبكوا. لم تمت لكنها نائمة. فضحكوا عليه عارفين إنها ماتت. فاخرج الجمع خارجا وامسك بيدها ونادى قائلا يا صبية قومي. فرجعت روحها وقامت في الحال. فأمر أن تعطى لتأكل) .

والملاحظة الملفتة إن عيسى عليه السلام قال في موضع سابق انه يحيي الموتى بإذن الله تعالى، والآية التالية تقول انه كان يخرج الموتى بإذن الله تعالى، فتأمل.

﴿وَإِذْ تُخرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .

خلق الطير

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾.[1]

لم تتطرق الأناجيل إلى قضية خلق الطير باستثناء إنجيل الطفولة المرفوض من قبل الطوائف المسيحية. والآيات الكريمة صرحت بها، وتبدو هذه القصة في وجه من الوجوه تحكي عن معنى حسي، إلا إنها يمكن أن تنطبق على الحسي والرمزي معاً. فصناعة طيور الطين ونفخ الروح فيها قد تم، فكانت تحيا وتطير بأذن الله، وترتفع بحسب استعداداتها التكوينية، فان صنع حماماً طار كما يطير الحمام، أو صقرا، طار كما تطير الصقور. وكذا على المستوى الرمزي، فالمسيح كان يصنع من طيور الطين وهم (أولئك المحلَّقون في السماء بالقوة) طيوراً ترتفع عالياً بالفعل بعد أن ينفخ فيها من (روحه) فتطير بأذن الله، وكلّ حسب استعداده وكماله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) آل عمران .



المشي على الماء

(وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع. وبعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفردا ليصلّي. ولما صار المساء كان هناك وحده. وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر معذبة من الأمواج. لان الريح كانت مضادة. وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشيا على البحر. فلما أبصره التلاميذ ماشيا على البحر اضطربوا قائلين انه خيال. ومن الخوف صرخوا. فللوقت كلمهم يسوع قائلا تشجعوا. أنا هو لا تخافوا. فأجاب بطرس وقال يا سيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء. فقال تعال. فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع. ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً يا رب نجني. ففي الحال مدّ يسوع يده وامسك به وقال له يا قليل الأيمان لماذا شككت. ولما دخلا السفينة سكنت الريح).[1]

والقصة عندنا هكذا:

(عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن محبوب، عن داود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا، إن عيسى ابن مريم عليه السلام كان من شرائعه السيح

---

[1] متي ١٤: ٢٢-٢٣ .



في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى بن مريم عليه السلام، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال (بسم الله) بصحة يقين منه، فمشى على الماء فلحق بعيسى عليه السلام فدخله العجب بنفسه، فقال : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي على الماء فما فضله عليّ؟ قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه، ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي، فدخلني من ذلك عجب، فقال له عليه السلام: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عز وجل مما قلت، قال: فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضا) .

ومعجزات المسيح عديدة فمنها : شفاء المصروعين، والمجانين، والزمنى، وتسكين الرياح، وتطهير البرص. اكتفينا هنا بما هو مشهور من معاجزه .

البشارة بأحمد

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ .

كان من أهم مهمات رسالات الأنبياء هو إعداد البشرية لتقبل الخطوة الجمعية التالية في التكامل. وبيان ماهية قائد هذا التكامل من أصول تلك المهمة دفعاً للاشتباه ورفعاً للاختلاف. ولم يكن المسيح بدعاً من الرسل فيما يتعلق بتلك المسألة. فقد كان من اللازم عليه ـ وقد فعل ـ التمهيد للدين القادم الأكمل وبيان رأسه للبشرية، فتثبت الحجة ويندفع العذر، فما من حقيقة قيلت أو تقال إلا وظلت حتى فناء العالم في ركن من أركانه يستطيع الباحثون عنها إيجادها كل حسب قدره .

والقرآن الكريم يقول: إن عيسى عليه السلام صرح باسم قائد الدين الجديد، ولا نجد في الأناجيل ـ في أربعة منهاـ مثل هذا التصريح بل نجد ألفاظاً مثل (المعزي)[1] أو مقابلها (الفارقليط) وهي لفظة معربة عن الكلمة اليونانية (بيريكلتوس).

فما معنى هذه اللفظة؟

قلنا إن الترجمات للأناجيل جعلتها إما (المعزي) من العزاء أو (فارقليط). لكن معناها الحقيقي هو (الذي له حمد كثير). والتي شهد المستشرق الإيطالي

---

(1) يوحنا ١٤: ٢٦/ ١٥: ٢٦/ ١٦: ٧ .



(د. كارلو نلينو) إنها يمكن أن تعادل صيغة افعل التفضيل العربية من (حمد) فيكون معناها (أحمد)!.[1]

واليهود كانوا ينتظرون ثلاثة أشخاص لا غير (إيليا والمسيح والنبي) ونعرف من هو إيليا، وعرفنا من هو المسيح، وبقي النبي!.

فالمعزي هو النبي وهو الذي له حمد كثير، الذي سيعلمنا كل شيء ويذكرنا بكل ما قال المسيح ويشهد له.

[1] قصص الأنبياء النجار .



اليوم الأخير في حياة المسيح

ليلة القبض على..

حظي الأسبوع الأخير من حياة المسيح على الأرض باهتمام كُتَاب الأناجيل في تسجيل أحداثه، ورغم أهمية هذا الأسبوع فان تفاصيل الوقائع فيه كانت متخالفة ومتعارضة .

فالمسيح كان في أورشليم وألقى آخر مواعظه أمام الشعب ثم خرج من الهيكل وذهب إلى جبل الزيتون، وحذر أتباعه من الأيام القادمة، وأعطاهم علامات الظهور التالي له، وكان ذلك قبل يومين من الفصح وقد قضى يومه ما قبل الأخير في بيت عنيا، وفي اليوم الأول من عيد الفصح، تناول عشاء الفصح مع تلاميذه واخبرهم بخيانة أحدهم - وفق الأناجيل- ثم صلوا (سبحوا) وخرجوا إلى جبل الزيتون ثم جاء إلى موضع اسمه (جتسماني) أو بستان قرب وادي قدرون وصلى طوال ليلته وعاد تلاميذه للنوم كلما أوقظهم.

وهنا تحدث الحادثة الأخطر في حياة المسيح ... هذا وفق سياق الأناجيل التي تتعارض فيها التفاصيل مُضعفة لوثاقة النقل. فما الذي حدث بعد ذلك؟

تقول الأناجيل إن يهوذا وجماعة مسلحة قدمت للقبض عليه، وكان البرد شديداً والليلة مظلمة، احتاجت إلى مشاعل ومصابيح، وكان التلاميذ في حال اضطرتهم للنوم ثلاث مرات رغم تنبيهات أستاذهم بالسهر في تلك

الليلة، وثم حينما وصل الجند ـ وهذا اخطر مقطع في الحكاية ـ (تركوه كلهم وهربوا).[1] ولم يتبعه إلا بطرس أو واحد آخر، لكنه لن يلتقي به أبداً.

والعجيب إن هناك شخصين اختفيا من مسرح الحياة بعد تلك الواقعة هما المسيح ويهوذا الاسخريوطي! رغم إن الكنيسة تقول ـ تبعا لأناجيلها ـ : انه شنق (خنق) نفسه! ولم تقدم تفسيرا لصحوة الضمير العنيفة، التي داهمت يهوذا الخائن مسلِّم ابن الإنسان وزهادته في دراهم الفضة الثلاثين!. لا يوجد غير متي من كتب هذا، وكأنه عجز عن تفسير اختفاء يهوذا بعد غياب المسيح مباشرة! أما مرقس ويوحنا فلم يبالوا بمن كان السبب الرئيسي في غفران خطايا البشر جميعاً ـ من آدم وحتى قيام الساعة، واعني به: يهوذا؛ فلولا خيانته ـ المفترضة ـ ما علق المسيح على الصليب، فداء للخطايا، لذا فمن المنطقي أن يقدم يهوذا وخيانته في المرتبة الثانية، من أسباب خلاص الإنسان بعد مأساة المسيح وتعليقه على الصليب، الصليب الذي يجلب اللعنة كما هو مكتوب في الشريعة.

والمثير هنا أن نستنتج ـ وفق الفهم المسيحي ـ انه كان لابد من أن تجتمع اللعنة والخيانة لتحلا مشكلة عويصة؛ هي مشكلة قضمة من نبتة ما ابتلعها آدم الأول وتدفع البشرية ثمنها إلى اليوم!.

---

(١) لوقا ١٤: ٥٠ .

المحاكمة

لم يحضر أحد من أنصار المسيح المحاكمة التي جرت (للمعتقل) عند قيافا رئيس الكهنة، ولم يحضر أحداً منهم لقائه ببيلاطس ولا بهيرودس، فمن أين أتت كل تلك التفاصيل عن المحاكمة؟!.

زعم يوحنا إن الأشخاص الذي حضروا الصلب هم: مريم أمه، وأختها، ومريم الثالثة المجدلية ويوحنا الحبيب. في حين تضبب هذه الصورة عند لوقا، ويصبحن مجرد نساء رافقنه من الجليل وكن يراقبن من بعد. في حين إن مرقس يضيف (غيرهم كثير) ـ على حد تعبيره ـ ومتي الذي اعتاد أن ينسخ ما يكتب مرقس، لم يخالفه هنا كثيراً.

ما هي أقوال المعتقل؟

التهم كانت واضحة، (التجديف)، (ادعاء بنوة الله)، (التآمر على الحكم الروماني وادعاء الملكية على اليهود). أذن ما كان دفاعه؟.

(فظل يسوع ساكتاً) (فظل يسوع ساكتاً، لا يقول كلمة). وحين سئل هل هو المسيح؟ أجاب **(أنت قلت. وأنا أقول سترون بعد اليوم ابن الإنسان**[1] **جالساً عن يمين الله القدير) (أنتم تقولون أني أنا هو)**، وحين سأله بيلاطس:

---

(1) الذي هو المسيح الحقيقي والذي نجا من أيديهم .



هل هو ملك اليهود أجاب (أنت قلت). وحين كانوا يتهمونه (**ما أجابه يسوع بشيء**). وحين قابل هيرود الذي سأله (**مسائل كثيرة فما أجابه بشيء**)[1].

الكلمات الأخيرة

اعتقد إن اكبر العقد التي تواجه نظرية الصلب رغم كثرتها، هي عقدة الكلمات الأخيرة للمصلوب، فقد أطلق صرخة عظيمة متألمة وشاكية (**أيلي أيلي لما شبقتاني**). ولنتصور المشهد :

هناك رجل معلَق على صليب مرتفع وهناك لغط عال من جمهور معظمه من الغوغاء. أذن؛ ما الذي يجعلنا ـ أو يجعلهم ـ متأكدين مما قال ساعتئذ .

لكننا متأكدون انه لا أحد سمعه بشكل جيد، فالجنود المكلفون بتنفيذ الحكم والقريبون منه (أحسن الفروض التي تدعي حضور بعض أقاربه تقول أنهم كانوا على بعد) لم يسمعوا، أو قل لم يفهموا غير انه كان ينادي (إيليا) (**فسمع بعض الحاضرين هناك، فقالوا: ها هو ينادي إيليا**)[2] إذن كان اقرب الناس من أهل لغته سمعوه ينادي إيليا. هذا أولاً.

---

(1) هذه الفقرات من عدة أناجيل. فراجع .

(2) متي ٢٧: ٤٦-٥٠ .



وثانيا: إن الأناجيل اليونانية تقول (لما سبكتني)، والتي ترجمها بعض الباحثين: (لم شبكتني)، أي أوقعتني في الشبكة.[1] لكن يوحنا المؤله وجد التلفظ بهذه الكلمة من قبل (عيسى المؤله)، سيكون محرجاً من جهتين: جهة الألوهية وجهة الضعف اليسوعي!. فاكتفى بالقول (قال: تم كل شيء. وحنى رأسه واسلم الروح)!. وأفتى لوقا بفتوى مغايرة، فقد نقل الحادثة كالأتي (وصرخ يسوع صرخة قوية: (يا أبي في يديك استودع روحي) قال هذا واسلم الروح) . إذن ما الذي سيجعل مرقس متفرداً؟! (صرخ يسوع بصوت عظيم: (ايلوئي، ايلوئي، لما شبقتاني)). فهل العبرية تقول إن (ايلوئي) و(أيلي) كلمتان بمعنى واحد هو (الهي)![2]، ثم ما الذي يدعو (ابن الله) للتصور (انه تركه)! وأنا تعتريني الرغبة العارمة أن أجد الإجابة عند أي أحد، ولا أظنني سأجدها أبداً .

وقت الصلب

تقدم الروايات الإنجيلية صورة مرعبة عما حدث وقت الصلب، فقد أظلمت السماء واحتجبت الشمس، ثم ترتفع نغمة المبالغة الدراماتيكية لتصل إلى انشقاق الهيكل من الوسط، حتى يوصلها متي إلى منتهى الذروة؛ فتتزلزل

---

(1) قهص النجار ز.

(2) اللغة الدارجة في عصر المسيح هي الآرامية وليست العبرية فتنبه .



الأرض وتتشقق الصخور، وتنفتح القبور، وتقوم قيامة كثير من القديسين الذين ظلوا يتجولون في أزقة المدينة المذهولة.(١)

وإظلام السماء ربما حدث نتيجة لكسوف جزئي، وإلا فان المتوقع منهم أن يجعل الكسوف الكلي ـ لو كان حاصلاً ـ دليلاً قاطعاً لشؤم هذا اليوم (والذي من المفترض من جهة أخرى أنه اسعد يوم للبشرية لمغفرة خطاياها)! فمتى حدث كسوف جزئي للشمس في فترة الثلاثينيات من القرن الأول الميلادي؟

إن الكسوف الجزئي المحتمل هو الكسوف الواقع في الثاني عشر من شهر أيلول ٣٢م.

فهل هذا منطبق على الواقعة؟ قطعاً لا!؛ فان المصادر ذاتها تجعل من يوم الصلب بُعيد يوم الفصح، والذي يحتفل به عادة بعد اكتمال البدر النيساني(٢)، والمتوقع من الكسوف أن يحدث في بداية الشهر لا منتصفه!

ويحتفل المسيحيون بـ(جمعة الآلام)، وهي الجمعة التي تسبق عيد الفصح بيومين، فما هو اليوم الموافق للجمعة السابق للبدر الكامل في ثلاثينات القرن الأول الميلادي؟

---

(١) لوقا ٢٣: ٤٤، متي ٢٧: ٥١ .

(٢) يحتفل اليهود بعيد الفصح في الخامس عشر من نيسان احتفالاً بخروجهم من مصر ويسمى أيضاً عيد الفطير، في حين إن المسيحيين يحتفلون به باعتبار إن قيامة المسيح قد حصلت فيه، ويقع بين ٢٢ آذار و٢٥ نيسان لكونهم يتجنبون عيد الفصح اليهودي .



انه يصادف فقط في يوم ٣٢/٤/١٠م. فهل تمت عملية الصلب في هذا اليوم؟.

أما بالنسبة للسنة، فإنها سنة محتملة للحادث. وستكون عملية الصلب قد تمت، والمسيح يبلغ من العمر ٣٦ أو ٥٠ سنة وفق سنوات ميلاده المحتملة ٤ – ١٨ ق.م.[١]

بقي أن نناقش قول القرآن الكريم (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً)؛ فالقرآن يصرح هنا بقاءه مكلماً للناس وهو في حال الكهولة.

والعرب تحدد الكهولة ما بين الأربعين والخمسين.[٢] وقد أشار بعض العلماء إلى هذا الفهم واعتبره متعينا وهو بقاء عيسى عليه السلام على الأرض حتى بلوغه الكهولة. وما قيل عن طريق المسلمين انه سيكلمهم كهلاً في حال عودته للدنيا، مبني على أخذهم إن عمره حال الرفع هو ثلاث وثلاثون سنة، على ما تعارف عليه أهل الكتاب، وفقاً لحسابات دونسيس التائب الخاطئة .

المهم إن هذا الفرض ـ بقاءه حتى بلوغه الكهولة قبل رفعه ـ يتوافق مع اقتراح السنة ١٨ قبل الميلاد، كسنةٍ لولادته كحد أعلى، أو سنة ٧ قبل الميلاد كحد أقل، بعد الاتفاق على إن عملية الصلب تمت في عصر هيرودس انتيباس

---

(١) بما إننا الآن وقد عرفنا إن حسابات دونسيس التائب (٥٣٢)م كانت خاطئة فقد استبعدنا سنة (١) ميلادي من قائمة السنين المحتملة للولادة .

(٢) تقول العرب إن الكهل من كان بين الثالثة والثلاثين إلى تمام الخمسين أو من كان ما بين الأربع والثلاثين إلى أحد وخمسين وبعضهم قال انه من تجاوز الثلاثين وحتى الأربعين.



بن هيرودس انتيباتر، والذي حكم في الفترة (٤ ق.م ـ ٣٩م) وخلال فترة إدارة بونتيوس بايلوت (بيلاطس) لمناطق فلسطينية (٢٦-٣٦م) وعليه، فان عملية الصلب تمت ما بين (٢٩-٣٦) م.[1]

---

(١) وقال يعقوب : كان عيسى عليه السلام في زمان حيردوس .
وفي الكمال: وفي اثنتين وأربعين سنة من ملك هيردوس بن انطيقوس كانت ولادة المسيح... فمكث يدعوهم ويرغبه فيما عند الله ثلاثة وثلاثين سنة حتى طلبته اليهود وادعت أنها عذبته ودفنته في الأرض حيا وادعى بعضهم إنهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطانا عليه، وإنما شبه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه... فلما أراد أن يرفعه أوحى إليه أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا. وتعليقا على ذلك فان حكم هيرودس بدا العام (٣٧ق.م) فميلاد المسيح عند ابن الأثير هو في سنة (٤)م !. وقد نسب إلى النبي أكثر من قول في عمر عيسى المسيح فقد روي إن عمره (١٢٠) سنة ـ والراوي عائشة في مستدرك الحاكم- والتي برزت ذلك بان عمر النبي السابق ضعف عمر النبي اللاحق، وتوفي رسول الله ﷺ عن نيف وستين سنة فلزم أن يكون عيسى قد بلغ العمر المذكور ويحيى بلغ عمره (٢٤٠) سنة وزكريا (٤٨٠) سنة وهكذا يتوالى تضاعف الأعمار لأكثر من (١٢٤٠٠٠) مرة بعدد الأنبياء ليبلغ رقما اكبر من عمر الكون!.
في حين وردت رواية عن فاطمة عليها السلام عن النبي ﷺ إن عيسى مكث في بني إسرائيل (٤٠) سنة .



خمس فرضيات لنهاية المسيح

نهاية المسيح حفلت بنهايات مقترحة عديدة كونتها الظروف الخاصة بدعوته ومحيطه العام. والمشكلة تكمن في ملابسات قضية اعتقاله ذاتها. فهناك فجوة معرفية حدثت أثناء نيام تلاميذه وعدم معرفة الجنود ـ الذين جاءوا لاعتقاله ـ له سابقاً. وفيما يبدو أن الشخص الوحيد الذي يعرف كل ما جرى هو يهوذا الاسخريوطي، والذي كانت نهايته ستتغير وفق أي فرضية تقدم لنهاية المسيح. لذا فان تقرير صورة نهائية لنهاية المسيح سيكون أشبه بالدوران في حلقة مفرغة .

تقدم لنا الأناجيل إجماعاً إن تلاميذه قد غالبهم النوم ثلاث مرات في ذلك المكان المظلم، والذي فيما يبدو انه بستان على كتف وادي قدرون، وأفراد بمثل هذا المزاج الذي يضطرهم ـ في مرحلة خطرة من مراحل دعوتهم ـ أن يمروا بمثل هذا الحال سيكون من المستبعد التصور بأنهم كانوا على وعي تام بما حدث، حتى بعد أن استيقظوا على وقع أقدام الجنود .

ما هي طبيعة المكان؟ انه بستان. ورغم إن البدر لا يزال في كبد السماء، ورغم مشاعل الجنود الذين لم يكن أحد منهم يعرف شخصياً أي من الرجال الثلاثة عشر ـ أكثر أو اقل قليلاً- في ذلك البستان، فالظلام لا يزال يلف تفاصيل الصورة، والتي كانت رهبة الحدث قد حولتها إلى صورة ضبابية. الوحيد الذي لا يزال صاحياً ويعرف المسيح شخصياً هو يهوذا، ويهوذا مات ـ



وفق الفرضيات الخمس ـ بعيد الاعتقال بقليل جداً، بحيث لم تتح له الفرصة لينقل ما رآه لأي إنسان. والجنود الذين لم يكونوا تحديداً من معارف المسيح وعارفيه. ولم يكن لهم في تفسير تفاصيل الواقعة أي دور على الإطلاق، بل ربما لو عرفوا أي تفصيل هم والذين رافقوهم من اليهود فإننا لن نجده في أي وثيقة ما ـ لحد الآن على الأقل.

فإذا رجعنا إلى الأثني عشر، نجدهم قد (هربوا كلهم وتركوه) مرقس ١٤: ٥٠، ولم يستطع بطرس لقاء (المعتقل) بعد أن لحق به إلى المجمع. ولم يحضر أي من تلاميذه عملية الصلب. ولم ير أحدهم عملية الإنزال من الصليب. ولا رأى التكفين والدفن ولا القيامة. فهم آخر من يمكنه أن يقدم لنا تقريراً عما حدث بعيد دخول الجنود الرومان للبستان حتى لقائهم بالمسيح بعد بضعة أيام ـ هذا إذا صدقنا قصة هذا اللقاء.

وهناك خمس فرضيات تتضمن تقديم تصور عن نهاية المسيح، ولكلٍ مؤيد ومروج. والفرضيات الخمس هي كما يأتي:

التفسير الرسمي الأنجيلي

والذي يُفترض بموجبه إن المسيح ذهب بتلاميذه إلى المكان الأخير عبر وادي قدرون، وفي تلك الليلة وشى به يهوذا الخائن، جالباً معه مجموعة من الغوغاء، اعتقلوا المسيح وذهبوا به إلى المجمع، ثم إلى بيلاطس، ثم إلى

هيرودس وأعيد ثانية إلى بيلاطس، ليحكم عليه بالصلب وصلب يوم الجمعة ومات على الصلب، ودفن في مقبرة يوسف، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، والتقى بتلاميذه عدداً من المرات ثم رفع إلى السماء .

وهذه النظرية التي هي عماد العقيدة المسيحية. تكتنفها أخطاء جسيمة، فالمسيح كما في الأناجيل لم يبق في القبر المزعوم إلا ليلة السبت ويوم السب وليلة الأحد، ولم يبق ثلاثة أيام وثلاث ليال تحقيقاً بزعمهم لنبوة النبي يونان (يونس) وقد ذكرنا؛ أن لا شاهد معتبر، من مقربيه، شاهد عملية الاعتقال، والمحاكمة، والصلب، والدفن .

أما عملية الرفع إلى السماء فقد أدرجت في نسخ الأناجيل الأحدث، وقد كانت النسخ الأقدم خالية منها وحذفت من الطبعة القياسية المصححة (R.S.V)(١٩٥٢) لتعود في طبعة لاحقة بعد أن مورست ضغوط واسعة من قبل بعض الطوائف والأفراد. كما إن المعلق على الصليب ملعون كما ورد في العهد القديم. ونقاط الضعف الأخرى اكبر بكثير من أن يسعها مجلد واحد[1].

---

(1) راجع مؤلفات ديدات وخصوصا مؤلفه هل صلب المسيح ورحمة الله الهندي وكتاب الباججي زاده (الفارق بين المخلوق والخالق) .

صلب بلا موت

لقد تبنى بعض مفكري القارة الهندية وجنوب أفريقيا من المسلمين فكرة مفادها إن المسيح اعتقل شخصياً وعلق على الصليب، إلا انه لم يمت عليه، وإنما اعترته حالة من الخمود أو الإغماء العميق، وتم بالتواطؤ مع يوسف الرامي وإغماض بيلاطس عن تفاصيل عملية الصلب إنقاذ المسيح من الموت، وشفي بعدها من جراحه ثم قضى فترة من الزمن على الأرض[1] وارتفع بعدها إلى السماء، فمم نشأت هذه الفكرة؟

يخوض مسلمو القارة الهندية، وجنوب أفريقيا من مجاوري النصارى حرباً عقائدية جدلية مع المبشرين ويمارسون من خلالها إحدى التكتيكات الشهيرة، وفق فكرة (من فمك أدينك)، فيعتمدون في مجادلاتهم معهم على نصوص الكتاب المقدس، وفيما يبدو فإنهم قد رضخوا لطول مطالعة الكتاب المقدس لتأثير الإجماع المسيحي طوال ألفي عام، إن المسيح هو المصلوب، فتقبله البعض منهم، فكان لسان حالهم يقول: إن من السهل لو أثبتنا عدم موته على الصليب بعد اعترافنا بتعليقه عليه هدم أركان المعتقد المسيحي برمته، فلو

---

(1) أولع سكان القارة الهندية بفكرة كونهم الملجأ الأخير للعظماء ففي مدينة سرنجار في كشمير يوجد ما يسمى بـ(قبر النبي الأمير) ويعتقد سكان المنطقة وفق ما نقل عنهم انه قبر المسيح. وفي مدينة مزار شريف في أفغانستان يوجد مرقد ضخم في المدينة يعتقد الأفغان انه ضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .



المسيح ما قام فتبشيرنا باطل، وإيمانكم باطل)![1] فقدمت هذه الفرضية والتي يمثلها ديدات أفضل تمثيل في كتابه (هل صلب المسيح). ورغم قوة القرائن التي تجاوزت العشرين قرينة، على إن المسيح لم يمت على الصليب ـ طبعاً بعد فرض تعليقه عليه ـ والدفاع الرائع الذي قدمه ديدات إلا أن معظمها الأعظم معتمدة على وثاقة الأناجيل وصدق نقلها، وهذا مما يستحيل الجزم به، ما لم يكن الجزم بخلافه بديهياً .

---

(١) كورونثوس الأولى ١٥: ١٤ .



يهوذا: الشك والعقوبة

وبطل هذه الفرضية هو يهوذا أيضاً. فقد طرحت فكرة لبعض الكتاب[1] مفادها إن يهوذا من الأتباع المخلصين إلا انه في لحظة ما شك فخرق واحدة من أهم وصايا الله (لا تجرب الرب إلهك) فأراد أن يختبر القدر، هل هذا هو المسيح حقاً؟ فان كان هو حقاً فسيدافع عن نفسه ويظهر مملكته فيما لو تعرض لخطر، فماذا يحصل لو جلبت عليه المعسكر؟. لقد كان يأمل تحريك دعوة المسيح بالضغط عليها. ووقع نتيجة لشكه هذا في أيدي اليهود لم يدافع عن نفسه كفارة عن خطيئته، وقبل أن يموت على الصليب، فداء لمعلمه وتوبة لخطيئته. ومنشأ تلكم الفرضية هو إن المسيح أشار إلا أن تلاميذه الأثني عشر (الحاضرين ـ ويهوذا كان من بينهم) سيحاكمون أسباط بني إسرائيل الأثني عشر فثبت حاكمية يهوذا على سبط من الأسباط. وكونه من الحواريون آنا من الزمن ينقي صفحته. فنحتاج إلى دليل قاطع ـ غير الأناجيل بالطبع ـ لإثبات سوء نيته وبما انه- وفق مطلق الفرضية- لا يمكن تكذيب عملية الصلب، ولا يمكن أن يكون المسيح هو المصلوب، فثبت إن المصلوب هو يهوذا، الحواري، الشاك والمعاقب!.

(1) العدنانيون ص ٢٠٠-٢٢٠ .



التفسير الشبهاتي الأول

وهو يفترض قيام المسيح بإلقاء الشبه (شبهه) على يهوذا الاسخريوطي، عقاباً على خطيئته لوشايته بمعلمه وخيانته للمسيح. وهو اشهر آراء المسلمين في قضية نهاية المسيح ووافقهم برنابا على ذلك .

فروي عن ابن عباس انه قال: لما مسخ الله الذين سبوا عيسى وأمه بدعائه بلغ ذلك يهودا وهو رأس اليهود فخاف أن يدعو عليه، فجمع اليهود واتفقوا معنى قوله (وأيَدْناهُ برُوح القُدُس) فاجتمع اليهود حول عيسى عليه السلام فجعلوا يسألونه فيقول لهم: يا معشر اليهود إن الله تعالى يبغضكم، فثاروا إليه ليقتلوه، فأدخله جبرئيل عليه السلام خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها فرفعه جبرئيل إلى السماء، فبعث يهودا رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه ططيانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله في الخوخة، فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام، فلما خرج على أصحابه قتلوه وصلبوه، وقيل: ألقي عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده، فقال بعض القوم:إن الوجه وجه عيسى والجسد جسد ططيانوس، وقال بعضهم: إن كان هذا ططيانوس فأين عيسى؟ وإن كان هذا عيسى فأين ططيانوس؟ فاشتبه الأمر عليهم .

وقال وهب بن منبه: أتى عيسى عليه السلام ومعه سبعة من الحواريين في بيت، فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله كلهم على صورة عيسى، فقالوا



لهم: سحرتمونا؟ لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً، فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة؟ فقال رجل منهم اسمه سرجس: أنا، فخرج إليهم، فقال: أنا عيسى، فأخذوه وقتلوه وصلبوه، ورفع الله عيسى من يومه ذلك، وبه قال قتادة ومجاهد وابن إسحاق، وإن اختلفوا في عدد الحواريين ولم يذكر أحد غير وهب أن شبهه ألقي على جميعهم، بل قالوا: ألقي شبهه على واحد ورفع الله عيسى من بينهم.

التفسير الشبهاتي الثاني (الفدائي المصلوب)

وهو يفترض قيام المسيح بإلقاء الشبه(شبهه) على أحد الفدائيين من أنصاره، والذي سينال حظوة خاصة ومرتبة معنوية علية فيكون مع المسيح. وقد قال بهذا الرأي أهم علماء المسلمين (أئمة أهل البيت[1] وعلماء الجمهور ابن كثير وابن جرير وغيرهم)، وبعض النصارى (الدوستية، المرسيونية، الفلنطنيائية، الباسيليديون، السرنتيون)، ورغم إن بعض المسلمين يعتقدون إن الفدائي هو يهوذا، إلا إن الطوائف النصرانية الأربعة الأولى، تعتقد إن المشبه هو سيمون السيراني، في حين يظن (السرنتيوس) إن يهوذا هو المضحي بنفسه، مؤيدين بذلك رأي المسلمين، واجتماع بعض فرق المسلمين مع بعض

---

(1) علي بن إبراهيم عن أبيه عن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثنا عشر رجلا فأدخلهم بيتا، ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال: إن الله أوحى إلي انه رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود فأيكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي؟ فقال شاب منهم: أنا يا روح الله، قال: فأنت هو ذا، فقال لهم عيسى: أما إن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، فقال له رجل منه: أنا هو يا نبي الله؟ فقال له عيسى: أتحس بذلك في نفسك فلتكن هو، ثم قال لهم عيسى عليه السلام: أما إنكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق: فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة ثم رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى عليه السلام إن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، وأخذوا الشاب الذي ألقي عليه شبح عيسى فقتل وصلب، وكفر الذي قال له عيسى: تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفر. والرواية صحيحة .



فرق المسيحية على قضية من القضايا المتعلقة بالمسيح مبشَراً برصانة المستند الذي قام عليه هذا التوافق. كما انه لا يتعارض مع النص القرآني في قضية الصلب ويستفيد من بعض مباني فرضية (الشك والعقوبة).

إذن ما هي المحصلة الفنية؟

تبرز هنا نتائج متنوعة، فأربع من الفرضيات تثبت موت يهوذا، إما انتحاراً أو على الصليب، خائناً كان، أم فادياً. واثنتان من تلك الفرضيات تعلقان المسيح على الصليب، أحدهما تثبت موته والأخرى تدعي نجاته من الصلب!.

ما هي نقاط ضعف كل من هذه الفرضيات غير ما ذكرناه؟

وعلام استندت في إثبات مدعياته؟:

الفرضية الأولى معارضة بالنص القرآني النافي للقتل والصلب معاً؛ مما يضعف الفرضية الثانية أيضاً، فرضية (الصلب بلا موت)، وأما الفرضية الثالثة، فمنشأها غامض، مبني على استحسان وعلى بعض القرائن الظرفية. فلا يمكن تقبلها في حسم تلك المعضلة.

بقي لدينا الفرضيتان الرابعة والخامسة. والرابعة اعتمدت على أقوال جملة من المفسرين تزييفها لا يحتاج إلى دليل، فيهوذا لم يكن رأس اليهود! ولم يرد اسم ططيانوس في أي أدبية كنسية، وأما وهب فهو صاحب اكبر

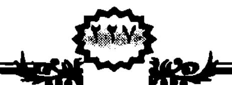
عدد من القصص الزائفة والخرافات والإسرائيليات، فلا يمكن الاعتماد عليه أبداً ولا على مؤيديه.

ومرويات إبن عباس ووهب وأقوالهم في غاية الاضطراب والتناقض، فتارة المصلوب هو سرجيس أو ططيانوس، وتحوّل سبعة من الحواريون إلى شبه المسيح، مما يجعلها - أي هذه الفرضية - في غاية الركاكة رغم شهرتها الواسعة - ورب مشهور ليس له اصل - فتعين الفرض الخامس وهي فرضية الفدائي المصلوب.

وقد نفت طوائف (الساترينيوس) و(الكاربوكرات) و(الفردوسيون) و(البارسكاليون) و(البولصيون) و(المرقيونيون) حادثة الصلب والقتل معاً، مما يرجح كفة الجدل لصالح الفرضية الخامسة، فقد أضحى لدينا (١٠) فرق مسيحية تقول: إن المسيح لم يصلب، ولم يمت على الصليب، ولم يقتل بأي طريقة كانت .

ونتيجة لذلك؛ ترانا لم نهدر وقت القارئ بتفاصيل اليومين الأخيرين من حياة المسيح، إلا ما كان منها مهماً، لإكمال الصورة .

وقد درج معظم من كتب عن المسيح إلى محاولة المقارنة بين ادعاء المسيحيين بصلب المسيح، وزعم الهنود بصلب كرشنا (البطل الوديع) ابن الرب، فشنوا، والذي تجسد ونزل على الأرض ليفتدى الخطايا، وكذلك التشابه بينه وبين الإله اندرا الإله، المصلوب والمثقب بالمسامير؛ في محاولة



لإرجاع عقيدة الصلب إلى الأديان الوثنية السابقة. فهل هذا صحيح؟. الحق انه لا أهل فلسطين البسطاء، ولا ثقافة بولس الدينية تمكنهم من الإطلاع على تلك الأساطير الهندية، والتي لا يطلع عليها معظم سكان العالم المتمدن المعاصر فما بالك بهؤلاء القوم؟ ثم أن بولس لم يكن بمبتدع لفكرة الصلب، بل هو مفلسف ومنظَر لها ومؤمن إنها وقعت على المسيح. والتفكير المنطقي - بعيدا عن الحقيقة - يفترض ذلك. فالمسيح أثار عداء اليهود فمكروا له، وحاولوا اعتقاله عدد من المرات ثم جاؤا بنيِّة مبيتة للقبض عليه وقتله فيما بعد، وتم إلقاء اعتقاله على (نسخة طبق الأصل منه) ثم اقتيدت لتقدم إلى المحاكمة ومن ثم الصلب وأنزلت من الصليب جثة هامدة ودفنت في قبر قريب. فمن جهل الحقيقة، التي لم يطلع عليها إلا بضعة أفراد فقط ما في وقتها أو بعدها بفترة قليلة؛ سيكون مقتنعا تماما بما شاهد على الصليب. وليس في حاجة لنقل تراث الهنود أو أي ملة أخرى .

رفع المسيح

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ[1] وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ◆ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ◆ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.[2]

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا

---

(1) قيل أن المراد به أني قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكلبي وغيرهم، وعلى هذا القول يكون للمتوفي تأويلان.
أحدهما: إني رافعك إلي وافيا لم ينالوا منك شيئا، من قولهم: توفيت كذا واستوفيته، أي أخذته تاما. وقيل: معناه إني متسلمك، من قولهم: توفيت منك كذا أي تسلمته .
وثانيهما: إني متوفيك وفاة نوم، ورافعك إلي في النوم،عن الربيع، قال: رفعه نائما، ويدل عليه قوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي ينيمكم، إن النوم أخو الموت. وقوله (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) .
وثالثهما: إني متوفيك وفاة موت، عن ابن عباس ووهب، قالا: أماته الله ثلاث ساعات. وأما النحويون فيقولون: هو على التقديم والتأخير، أي إني رافعك ومتوفيك، لان الواو لا توجب الترتيب بدلالة قوله (فكيف كان عذابي ونذر) والنذر قبل العذاب وهذا مروي عن الضحاك .

(2) آل عمران ٥٥-٥٧ .

اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ❁ بَلْ رَفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ❁ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ .[1]

الشبه المشار إليه في القرآن يفسر حالة البلبلة التي حصلت بشأن نهاية المسيح[2]. لكن الأشكال الحاصل لم يحل؛ لان المفسرين اضطربت كلمتهم بشأن الضمائر الواردة في الآيات الخاصة بالموضوع .

---

(1) النساء ١٥٧-١٥٨ .

(2) الطالقاني، عن الكوفي، عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن الرضا عليه السلام انه قال في حديث طويل في وصف الأئمة عليهم السلام: ما شبه أمر أحد من أنبياء الله وحججه (عليهم السلام) للناس إلا أمر عيسى بن مريم وحده، لأنه رفع من الأرض حيا، وقبض روحه بين السماء والأرض، ثم رفع السماء ورد عليه روحه، وذلك قوله عز وجل : "إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا" وقال عز وجل حكاية. لقول عيسى عليه السلام ": وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد" الخبر .

عن سدير الصيرفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وأما غيبة عيسى فإن اليهود والنصارى اتفقت على أنه قتل، فكذبهم الله عز وجل بقوله: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.

محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء وساق الحديث إلى أن قال: وأما من عيسى فيقال: إنه مات ولم يمت .

قال أبو علي الجبائي: إن رؤساء اليهود أخذوا إنسانا فقتلوه وصلبوه على موضع عال، ولم يمكنوا أحداً من الدنو إليه فتغيرت حليته، وقالوا: قد قتلنا عيسى، ليوهموا بذلك على عوامهم لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم، فخافوا أن يكون ذلك سببا لإيمان اليهود به ففعلوا ذلك، والذين أختلفوا فيه هم غير الذين صلبوا من صلبوه، وإنما هم باقي اليهود، وقيل: إن الذيدلهم= = عليه وقال: هذا عيسى أحد الحواريين، أخذ على ذلك ثلاثين درهما وكان منافقا، ثم إنه ندم على ذلك واختنق حتى قتل نفسه، وكان اسمه بورس زكريا نوطا، وهو ملعون في النصارى،



لدينا هنا سياق يذكر حادثة الصلب والنتائج المستخلصة كما يلي:

أن القرآن ينكر إن يكون قد حصل (قتل) أو (صلب)، والعلاقة بين القتل والصلب في المؤدى والنتيجة هي علاقة عموم وخصوص من وجه. ونفي طرفي الاحتمال يدل بوضوح إن المسيح لم يقتل بصلب أو غيره ولم يعلق على الصليب أصلا، فضلا عن موته عليه.[1] ويستشعر أمر آخر وهو إن القتل أو الصلب مانع للرفع، فكل مقتول أو مصلوب لا يرفع بل شرط الرفع الحياة. وهذا أسهل التحقيق، لكن الصعوبة تكمن في إرجاع الضمائر في الآيات السابقة. وأول الضمائر هي الهاء في (شبه لهم) فقد قدمت اطروحات متعددة منها: إن (المقصود بالقتل أو الصلب قد شبه لهم) أو إن (القتل شبه لهم) أو (الصلب شبه لهم) أو كليهما معا (أي القتل والصلب)[2] والحق إن

وبعض النصارى يقول: إن بورس زكريا نوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول: لست بصاحبكم، أنا الذي دللتكم عليه .

وقيل: إنهم حبسوا المسيح مع عشرة من أصحابه في بيت فدخل عليهم رجل من اليهود فألقى الله عليه شبه عيسى ورفع عيسى فقتلوا الرجل، عن السدي ...

(1) بعض القتل عن الصلب وبعض الصلب مؤدي إلى القتل. وبعض القتل غير ناتج عن الصلب في حين إن بعض الصلب لا ينتج القتل دائما .

(2) فقيل: إنه يعود إلى الظن، أي ما قتلوا ظنهم يقينا، كما يقال: قتلته علما، عن ابن عباس وجويبر، ومعناه: ما قتلوا ظنهم الذي اتبعوه في المقتول الذي قتلوه، وهم يحسبونه عيسى يقينا أنه عيسى ولا انه غيره، لكنهم كانوا منه على شبهة .

وقيل: إن الهاء عائد إلى عيسى عليه السلام يعني ما قتلوه يقينا، أي حقا، فهو من تأكيد الخبر، عن الحسن، أراد أن الله سبحانه نفي عن عيسى القتل على وجه التحقيق واليقين. بل رفعه الله إليه "يعني بل رفع الله عيسى إليه، ولم يصلبوه ولم يقتلوه .

الأول هو المقصود فاليهود (أو بعضهم) لم يدعوا (الصلب) بل ادعوا القتل فتنتفي كل من الأطروحة الثالثة والرابعة. والضمير يعود إلى الأقرب ـ وفق قواعد البيان العربي ـ فيكون إن القتل هو الذي شبه لهم. ويترتب إن هناك ضحية قتلت واشتبه الأمر على اليهود بأنه المسيح، لا كون إن غير المسيح قد تلبس بصورته، فلا يستفاد من الآية ذلك، نعم هذا منصوص في روايات عديدة.

والجهة الأخرى هو متعلق الضمير في قوله تعالى:(وإنَّ الَّذين اختَلفُوا فيه لَفي شكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْم إلّا اتّباع الظَنِّ ومَا قتلوهُ يقِيناً)[1] فالضمير في قوله (اختَلفوا فيه) ضمن الاحتمالات المطروحة، هو إما المسيح أو القتل ـ بعد أن استبعدنا احتمال الصلب، وهو هنا متعلق بالقتل وفق ما ذكرناه من عود الضمائر إلى الأقرب .(لَفي شكٍّ مِنْه) أي من حصوله (مَا لَهُمْ بِهِ) أي حصول القتل (مِنْ عِلْمٍ) محصل (إلّا اتّباع الظَنّ) في حصول القتل (ومَا قَتَلُوهُ يَقيناً)[2]. (بَلْ رفَعَهُ اللّهُ إليهِ وكانَ اللّهُ عزيزاً حَكيماً) .(وإنْ مِنْ أهْلِ الْكتَاب

---

١ النساء: من الآية١٥٧

(٢) قد يقال: قد جمع النصارى مع كثرتهم على إن المسيح قتل وصلب، فكيف يجوز أن يخبروا عن الشيء، بخلاف الحقيقة؟ ولو حصل ذلك فكيف يمكن أن يوثق بشيء من الأحبار؟ وأجيب: أن هؤلاء دخلت عليهم الشبهة، كما أخبر الله سبحانه عنهم بذلك، فلم يكن اليهود يعرفون عيسى عليه السلام بعينه، وإنما أخبروا أنهم قتلوا رجلا قيل لهم إنه عيسى، فهم في خبرهم صادقون وإن لم يكن المقتول عيسى، وإنما اشتبه الأمر على النصارى لأنه شبه عيسى ألقي على غيره فرأوا من هو على صورته مقتولا مصلوبا، فلم

إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً)[1]. وهي إشارة لإكمال شهادته المشار إليها في قوله: (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ).[2]

يخبر أحد من الفريقين، إلا عما رآه وظن إن الأمر على ما أخبر به فلا يؤدي ذلك إلي بطلان الأخبار بحال .

[1] عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن أبي حمزة، عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجاج: يا شهر، آية في كتاب الله قد أعيتني فقلت: أيها الأمير أية آية هي؟ فقال: قوله (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) والله إني لآمر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد، فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأولت، قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا نصراني إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي، قال: ويحك أنى لك هذا ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فقال: جئت والله بها من عين صافية .

[2] المائدة ١١٦ .



سرقة الجثمان

يخبرنا كلاً من برنابا ومتي بقصة غريبة نتائجها وفق سياقهما وهي حادثة سرقة جثمان المصلوب. بعد دفنه في قبر يوسف الذي تبرع به . فماذا يقول متي:

(وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة واخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان. فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين. قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام. وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين. فاخذوا الفضة وفعلوا كما علّموهم. فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم).[1]

إذن إن الشائع عند اليهود حتى يوم كتابة إنجيل متي، إن جثمان المصلوب قد سرق من القبر ولفقت قضية القيامة من بين الأموات. لكننا نفاجأ فيما بعد إن اليهود اليوم ينكرون ظهور المسيح عيسى عليه السلام أساساً، فلابد أنهم قد استخدموا تكنيكاً جديداً لطمر الحقيقة بإنكار الموضوع ذاته.

ماذا يقول البقية (لوقا ومرقس ويوحنا) بشأن حادثة سرقة؟

لم يقولوا شيئاً، لقد سكتوا. والأغرب من هذا كله إن اليهود كانوا يتوقعون سرقة الجثمان:

---

(١) متي ٢٨: ١١-١٥ .



(وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: يا سيد قد تذكرنا إن ذلك المضل قال وهو حيّ أني بعد ثلاثة أيام أقوم. فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب انه قام من الأموات. فتكون الضلالة الأخيرة اشر من الأولى. فقال لهم بيلاطس عندكم حراس. اذهبوا واضبطوه كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر).

كيف يمكن تصديق متي؟

المفترض إن الحراس الضابطين لقبره سيلتقون بمريم المجدلية عندما جاءت إلى القبر لكن هذا لم يحصل رغم إن الأيام الثلاثة لم تنتهي بعد، فأين ذهب الحراس..؟

ويبدو إن اليهود، وفق متي كانوا متابعين وفاهمين لما يقول المسيح أكثر من تلاميذه الذين (شكّوا)،[1] و(ما صدّقوا) و(لامهم لقلة إيمانهم وقساوة قلوبهم)[2] ولامهم على غبائهم وقلة إيمانهم[3] والناظر في نهايات الأناجيل

(١) متي ٢٨: ١٧ .
(٢) مرقس ١٦: ١٣-١٤ .
(٣) لوقا ٢٤: ٢٥ .



الأربعة يقطع إن التلاميذ إما أنهم لم يفهموا ما كان يقول في حين إن اليهود كانوا أكثر فهماً، أو إن القضية مفبركة برمتها .

ويقدم برنابا صورة أخرى، نستنتج منها إن القيامة المزعومة من القبر ما هي إلا فقدان جسد المصلوب البديل من قبل بعض التلاميذ غير المتورعين:

(أما التلاميذ الذين لم يخافوا الله فذهبوا ليلا وسرقوا جسد يهوذا وخبأوه وأشاعوا إن يسوع قام).[1]

والمثير في الأمر إن جميع الأناجيل متفقة على إن القبر كان فارغا عندما وصله أول الواصلين، صبيحة الأحد!

([1]) برنابا ٢٠٨: ٣ .



متى رفع المسيح؟

المدقق في القصص الواردة عن اليوم السابق لعملية الصلب يلاحظ (وفق وجهة النظر الإسلامية) إن الرفع تم فور دخول الجند وأعداء المسيح ومناوئيه، أو بُعيده بقليل[1]، في حين إن الأناجيل (الأصلية)[2]لم تتطرق إلى حادثة الرفع إلا لوقا فانفرد بذلك، وبحسب لوقا فان عملية الرفع إلى السماء تمت في اليوم الأربعين لحادثة الصلب[3]، وبناءاً على الروايات الصادرة عن بعض أئمة الإسلام، فان عملية الرفع تمت في شهر رمضان[4] في ليلة ٢١ منه (ليلة

(١) الصدوق عن حمزة العلوي، عن أحمد بن محمد، عن الحسن ابن علي بن يوش،ن عن علي بن محمد الجريري، عن حمزة بن يزيد،عن عمر، عن جعفر عن آبائه، عن النبي (ﷺ) قال: لما اجتمعت اليهود على عيسى عليه السلام ليقتلوه بزعمهم أتاه جبرئيل عليه السلام فغشاه بجناحه، وطمح عيسى ببصره فإذا هو بكتاب في جناح جبرئيل" اللهم إني أدعوك باسمك الواحد الأعز، وأدعوك الله باسمك الصمد، وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر، وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ثبت أركانك كلها أن تكشف عني ما أصبحت وأمسيت فيه "فلما دعا به عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى جبرئيل:ارفعه إلي عندي ... الخبر .

(٢) الفقرة المذكورة في إنجيل مرقس من الإصحاح السادس عشر الفقرة التاسعة وحتى نهاية الإصحاح منحولة ومضافة على المخطوطات التي ترجع إلى العصور المسيحية المبكرة وتم حذفها في طبعة (R.S.V) ١٩٥٢ الطبعة القياسية المنقحة ثم ما لبث أن أعيدت إلى النص إما بشكل هامش أو بين قوسين كما في طبعة (الترجمة العربية المشتركة) الطبعة الرابعة ١٩٩٣ والصادرة عن اتحاد جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. وقد ذكر برنابا حادثة الرفع لكنك تعلم إنهم لا يعترفون بإنجيله .

(٣) أعمال الرسل الإصحاح الأول .

(٤) بإسناده عن حبيب بن عمرو قال: لما توفي أمير المؤمنين عليه السلام قام الحسن عليه السلام خطيبا فقال: أيها الناس في هذه الليلة رفع عيسى بن مريم. وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله



شهادة علي عليه السلام)، مما يستلزم - أن لا نصدق إن عملية الرفع تمت قبل اكتمال البدر بليلة أو ليلتين - هو موعد عيد الفصح - بل بعده بأسبوع تقريباً.[1] في حين إن الموعد الآخر المقترح هو أن المسيح بقي بعد عيد الفصح أربعين يوماً قبل رفعه إلى السماء، فنجري البحث عن توافق كل من شهر رمضان وشهر أيار (مايس) ضمن فترة حكم بيلاطس (٢٦-٣٦)م وهذا التوافق قد حصل في السنوات (٣١و٣٢و٣٣) م.

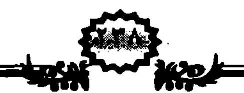
وقد يكون المراد إن المسيح رفع ليلة الأحد[2] وهو موافق لما درج عليه الإنجيليون بلا مستند أصيل، وإذا ما استأنسنا بما سجلناه عن يحيى (عليه السلام) في تاريخه، فان أقصى موعد لحادثة الصلب هو سنة (٣٦) (نهاية حكم بيلاطس) وتاريخ شهادة يحيى عليه السلام تتأرجح ما بين السنوات (٢٥م، ٣٥م، ٣٨م) ويكاد يكون من المسلمات إن دعوة عيسى عليه السلام استمرت ما بين سنة إلى ثلاث سنين بعد شهادة يحيى عليه السلام ، فان حادثة

عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لما كانت الليلة التي قتل فيها علي عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون عليه السلام، وكذلك كانت الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم عليه السلام وكذلك الليلة التي قتل فيها الحسن عليه السلام .

الواضح إن المقصود في هذه الرواية خصوصية ما لوقت معين عبر عنه بالليلة فقد قتل الحسين في يوم الأثنين ١٠ محرم والليلة التي قتل فيها أمير المؤمنين هي ليلة الأحد ٢١ من شهر رمضان .

(١) لان يوم ٢١ ليس يوم ١٤ بداهة .

(٢) باعتبار إن وفاة أمير المؤمنين صادفت ليلة الأحد .



الصلب محتملة وفق هذا في السنوات (٢٩،٢٦، ٣٦، ٤١)م . والتأريخان الأخيران مستبعدان ـ نظرا لمتغيرة (حكم بيلاطس) ـ لكننا لن نلتزم حرفياً بان السنة أو الثلاث سنوات كانت كاملة، فقد تكون دعوته استمرت لمدة سنتين أو اقل أو أزيد، لذا فان التواريخ المقدمة أعلى ستصحح هكذا:

حادثة الصلب محتملة وفق هذا في السنوات من العام ٢٦ وحتى العام ٣٦ م. أما ليلة عيد الفصح فقد كانت خميسا في الأعوام (٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٣).

فعيد الفصح صادف (الجمعة الحزينة) في أحد هذه السنوات وفق التواريخ أدناه:

ليلة الفصح	يوم ٢١ من شهر رمضان	بينهما
٥ نيسان سنة ٣٠	الأحد ١١ حزيران ٣٠	٦٨ يوما
٢٥ نيسان سنة ٣١	الخميس ٣١ أيار ٣١	٣٦ يوما
٢ نيسان سنة ٣٣	السبت ٩ أيار ٣٣	٣٨ يوما
٢١ نيسان سنة ٣٤	الأربعاء ٢٨ نيسان ٣٤	٨ أيام

والنتيجة إن قضية رفع المسيح بعد أربعين يوما كما قال لوقا لا تتوافق مع كونه رُفع في (٢١) من شهر رمضان. وان المحتمل الآخر: إن المسيح قد رفُع



بعد مضي أسبوع من ليلة الفصح يجد تأييده في الأربعاء الثامن والعشرين من نيسان سنة ٣٤م.[1]

(1) قال الطبري إن حكم طيباريوس قيصر قد استمر بعد رفع المسيح خمس سنين. ص ٦٠٤ وانتهى حكم طيباريوس سنة ٣٧م فيكون رفع المسيح تم في العام ٣٢م! وقال إن تيتوس هدم البيت المقدس في تمام السنة الأربعون لرفع المسيح ص ٦٠٦ وتيتوس هدم بيت المقدس سنة ٧٠م. فهنا تاريخ آخر هو سنة ٣٠م. وقال إن ما بين مولده وارتفاعه ٣٠ سنة، وان ما بين ارتفاعه إلى الهجرة ٥٣٥ سنة واشهر. ص ٦٠٨ والهجرة في العام ٦٢٢ ميلادي فارتفاع المسيح هو في العام ٥٥م!



ما بعد المسيح

خاض الرسل الأوائل صراعاً مريرا من ثلاث جهات: أولها اليهود، وثانيها الرومان الوثنيون، وثالثها الرسل الكذابون[1] وتقول أناجيلهم أنه غدوا وبمستطاعهم التحدث بالسنة شتى عندما حل عليهم الروح القدس، وبعد أن مكثوا بضعة أسابيع في أورشليم، بحسب وصيته ساروا كلاً ووجهته؛ لينشروا البشارة الإلهية، فسار بطرس إلى انطاكية ثم إلى روما، وذهب توما إلى بابل ونواحيها. أما فيلبس فسار إلى القيروان وقرطاجة، وانتقل يوحنا إلى افسوس وقبرص، أما مهمة سيمون، فكانت الذهاب إلى بلاد البربر، وكانت مهمة يعقوب، أخا المسيح المكث في أورشليم، ورافق برنابا بولس مدة طويلة في أسفاره قبل أن يتبين له انه عدو الله. وفي مسيرتهم تلك دفعوا المئات بل الآلاف من الشهداء في سبيل عقيدتهم .

والغريب أن لا أحد من أتباع المسيح تمت مطاردته بعد عملية الصلب، وربما يعزى ذلك إلى إنهم لم يكونوا ليظهروا أنفسهم بشكل متميز عن الجماعات المرافقة للمسيح، أو لحذرهم وممارستهم للتقية، مما ضاعف

---

(1) أحمد بن محمد بن الهيثم، عن ابن زكريا، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن الصادق، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله) : إن أمة عيسى افترقت بعده على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها الناجية، وإحدى وسبعون في النار الخبر. وعن أنس، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: أن بني إسرائيل تفرقت على عيسى إحدى وسبعين فرقة، فهلك سبعون فرقة، فهلك سبعون فرقة، ويتخلص فرقة. الخبر .

الجماعة الجديدة من (٢٠٠-٥٠٠٠) فرد خلال السبع سنوات اللاحقة، لغياب المسيح عن عالمنا. ولا شك إن كثيراً من الدخلاء قد أصبحوا في وسطهم ولأسباب عديدة، وكان أخطرهم وأشهرهم بولس، واستمر الصراع بين توحيدية بطرس وأصحابه وبين ثالوث بولس ومريدوه حتى كانت السيطرة الكبرى للثالوثية على عهد قسطنطين .

وخلال تلك الفترة وقعت حادثة أصحاب الكهف أو (نوّام أفسس السبعة) والتي بحسب تحقيقنا وقعت ما بين (٨١-٩٦)م على عهد ديمتيانوس (دومتيشيان) (٨١-٩٦)م.[١] وليس على عصر دقيانوس كما هو المشهور بل المجمع عليه. واستمر نومهم حتى استيقظوا في عصر ثيودسيوس الثاني (٣٩٩-٤٥٠)م .

وبحسب بعض الروايات واستقراء التاريخ الديني، فان دين التوحيد المسيحي لفظ أنفاسه خلال قرنين ونيف من الزمان[٢] ليغرق العالم من جديد في ظلمة الشرك والوثنية .

---

(١) والذي حرم التبشير باليهودية والمسيحية معا وأله نفسه كما فعل بعض أسلافه .

(٢) عن عبد الله عليه السلام: بقي الناس بعد عيسى ابن مريم عليه السلام خمسين سنة ومائتي سنة بلا حجة ظاهرة وعنه: كان بين عيسى عليه السلام وبين محمد (صلى الله عليه وآله) خمسمائة عام، منها مائتان وخمسون عاما ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر، قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا مستمسكين بدين عيسى... الخبر. وقد ورد ذات المضمون في كتب الجمهور من إن دين عيسى بقي من (٢٠٠-٢٥٠) سنة وهو مروي عن أبي الدرداء عن النبي (صلى الله عليه وآله) وصححه ابن حبان.

ديانة شاؤل

يعتقد العالم المسيحي اليوم بديانة بولس (شاؤل) الطرسوسي. فلقد قدم هذا الرجل ديانة مختلفة تماماً عن ديانات الأنبياء الذين بعثوا في بني إسرائيل وغيرها .

ولقد آمن الكثيرون إن دخول بولس إلى المسيحية وهو العدو الألد والخصم العنيد والشاهد على شهادة القديس استفانوس والزاج بالجم الغفير من المسيحيين الأوائل في السجون يمكن تفسيره وفق نظرية المؤامرة. إلا أنني استبعد ذلك؛ فالرجل اليهودي المتعصب لدينه لم يكن ليدفع بالألوف ـ كانت أعداد المسيحيين الأولى ليست كبيرة ـ إلى عين الشرك المثلث والألوهية البشرية، نخوة للدين. باذلاً عمره المتبقي ـ طوال أربعين سنة ـ لإفساد ديانة

وقد رووا عن النبي انه قال (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي).

هناك بعض الروايات الضعيفة تحدد الفترة ما بين المسيح وبين محمد (ﷺ) بخمسمائة سنة لكن الفرق الثابت تاريخيا هو حوالي (٦٠٠) سنة تقريبا بين رحيل المسيح وظهور النبي . فقد ولد رسول الله في العام (٥٧٠)م ورحل المسيح في حدود العام (٣١)م وبينهما (٥٣٩) سنة شمسية أي ما يعادل (٥٥٧) سنة قمرية. فإذا ما افترضنا البينية بين الولادتين فإنها ستقارب الستمائة سنة. فعن سليمان إنها (٦٠٠) سنة وعن قتادة إنها (٥٦٠) سنة قد تفسر بمبدأ (٤٣٣) سنة وقيل (٥٤٠) سنة وقيل (٦١٠) سنة. ويبدو إن الزيادة والنقيصة عن الستمائة سنة قد تفسر بمبدأ احتساب الفترة فمن ولادة المسيح وحتى البعثة أو من بعثته أو رفعه ومن مولد النبي أو بعثته أو هجرته أو وفاته ستختلف الأرقام بالتأكيد .

توحيدية وجرها بعيداً عن الغاية الرئيسية التي يدعوا لها - أيضاً - دينه الأصلي.

إنما أمره: هو الاجتهاد الخاطئ في مقابل النص الصريح والناتج عن سوء تربيته الدينية. فمن الواضح من استقراء التاريخ الديني، إن التعصب هو أول خطوة في طريق الانحراف عن الجادة، وثانيها: الاجتهاد في مقابل النص. ولا استبعد أبدا قصته الغريبة، عن الظهور العجائبي، في طريقه إلى دمشق، والتي لا استبعد أيضاً إنها يمكن أن تفسر كشكل من أشكال التجليات المظلمة .

لقد زكى برنابا بولس عند الرسل، ورافقه طويلاً في بشارتهما بالمسيح ودعوته، إلا أنه وفي الوقت ما كان قد احتدم النزاع بينهما لينفصلا. لقد أصر العديد من المؤمنين الجدد على الالتزام بالشرعة الموسوية، تطبيقا لمقولة المسيح **(ما جئت لا نقض بل لأكمل)** في حين رأى البعض - بولس على رأسهم - إن الدعوة يجب أن تتنازل عن أشياء كثيرة، لكي تنجح وسط الوثنيين فكان عاقبته إن قدم ديانة مختلفة تماماً عن ديانة المسيح.

ويعرف بولس نفسه في هذه المقاطع خير تعريف:

(وأما غير المتزوجين فلا وصية لهم عندي من الرب، ولكني أعطي رأيي كرجل جعلته رحمة الرب موضع ثقة)[1] **(فصرت لليهود يهودياً لأربح اليهود، وصرت لأهل الشريعة من أهل الشريعة - وان كنت لا**

---

(1) (كورنثوس الأولى ٧: ٢٥) .



اخضع للشريعة ـ لأربح أهل الشريعة، وصرت للذين بلا شريعة كالذي بلا شريعة)[١] (وكنت حريصاً أن لا ابشر حيث سمع الناس باسم المسيح، لئلا ابني على أساس غيري)[٢]. (ظن البعض أني لن أجئ الآن إليكم فانتفخوا من الكبرياء.. إيما تفضلون أن أجئ إليكم بعصا أم بالمحبة)![٣] (أما أنا حر؟ أما أنا رسول أما رأيت يسوع ربنا) (أما لنا الحق مثل سائر الرسل وأخوة الرب وبطرس)[٤] (أنا فوقهم ـ يعني خدم المسيح ـ في الجهاد جاهدت أكثر منهم، في دخول السجن قاسيت أكثر منهم، في الضرب تحملته أكثر منهم)[٥] (وعندما جاء بطرس إلى إنطاكية قاومته وجها لوجه)[٦] (أما الذين يتكلون على العمل بالشريعة، فهم ملعونون جميعا. فالكتاب يقول: (ملعون من لا يثابر على العمل بكل ما جاء في كتاب الشريعة)!![٧]

ويستطيع أي فرد رؤية مدى التشوه النفسي الذي يعانيه والذي يذكرنا بشخصيات من عهد الإسلام الأول!.

---

(١) (كورنثوس ٩: ٢٠-٢٣) .

(٢) (رومية ١٥: ٢٠) .

(٣)(كورنثوس الأولى ٤: ١٨-٢١ .

(٤) (كورنثوس (١:٩-٦، ١٥) .

(٥) طالع الرسالة إلى كنيسة كورنثوس الثانية .

(٦)غلاطية ٢: ١١ .

(٧) غلاطية ٣: ١٠ .

ويمكن هنا تلخيص تشريعات بولس الرئيسية بالآتي:

١. إسقاط الشريعة واعتبارها مصدر كل إثم.

٢. وخدمة للموت.[١]

٣. بنوة المسيح لله.[٢]

٤. إسقاط قيمة العقل والمنطق والحكمة .[٣]

٥. إسقاط الختان.[٤]

٦. عقيدة الفداء.[٥]

٧. عقيدة الخطيئة الأصلية .[٦]

٨. الخضوع للسلاطين .[٧]

٩. تحليل ذبائح الأوثان .[٨]

١٠. عقيدة الخبز والخمر.[١]

---

(١) (رومية ٣: ١٩ -٢١/ ٤: ١٤- ١٧/ ٥: ٢٠-٢١/ ٧: ١-٢٥/ ٣: ٨)(كورنثوس الثانية ٣: ٧-١٢٩ .
(غلاطية ٣) (عبرانيين ٧: ١٨ -١٩.

(٢) (رومية ١: ٣- ٥) .

(٣) (كورنثوس الأولى ١: ١٨: ٢٤) .

(٤) (رومية ٢: ٢٥-٢٩/ ٤: ٩-١٣) (غلاطية ٥: ٢-٥) .

(٥) (رومية ٣: ٢٤-٢٦/ ٤: ٢٤-٢٥/ ٥: ٦-١١/ ٨: ٣) .

(٦) (رومية ٥: ١٢-١٩) .

(٧) (رومية ١٣: ١-٧) .

(٨) (كورنثوس الأولى ٨: ١٠) .

١١. تحليل كل شيء.[٢]

١٢. إباحة الخمر .[٣]

١٣. عقيدة الفداء والقيامة.[٤]

١٤. القيامة: روحية .[٥]

كما انه جعل الأحد يوماً مقدساً وقد كان يوماً مقدساً عند المتراسيين، عباد الإله الفارسي (مثرا)، الذي انتشرت عبادته قبل المسيحية وبعدها انتشار النار في الهشيم. كما قام باستحداث ـ أو أقتبس ـ أعياد رأس السنة، والغطاس، والقيامة.

---

(١) (كورنثوس الأولى ١٠: ١٦) .

(٢) (كورنثوس الأولى ١٠: ٢٣-٢٦).

(٣) (تيموثاوس ٢٣: ٥) .

(٤) (كورنثوس الأولى ١٥: ٣-٥) (١٥: ١٢-١٨) .

(٥) (كورنثوس الأولى ١٥: ٤٤) .



خصائص المسيح

وصف القرآن الكريم الرسول عيسى عليه السلام بأوصاف رفيعة بلغت قرابة العشرين وصفاً فهو:

عبد منعم عليه،[1] نبي صالح،[2] كلمة من الله، وجيهاً في الدنيا والآخرة، من المقربين،[3] رسول الله،[4] رسولاً إلى بين إسرائيل،[5] مصدقاً لما بين يديه من التوراة،[6] من الشاهدين،[7] مرفوع إلى الله، مطهَر،[8] مؤيد بروح القدس،[9] معلم الكتاب والحكمة،[10] خالق ومبرئ للمرضى بأذن الله، آية للعالمين،[11] علم للساعة، مبشراً بأحمد،[12] مثله مثل آدم،[13] قول الحق.[14]

---

(1) المائدة: ٧٥ .

(2) الأنعام: ٨٥، عمران: ٤٦ .

(3) آل عمران:٤٥ .

(4) النساء:١٧١ ، المائدة: ٧٥ .

(5) آل عمران:٤٩ .

(6) آل عمران:٥٠، المائدة: ٤٦ .

(7) آل عمران:٥٣ .

(8) آل عمران ٥٥ .

(9) المائدة: ١١٠ .

(10) المؤمنون: ٥٠.

(11) الزخرف: ٦١ .

(12)الصف: ٦ .

(13) آل عمران: ٥٩ .

(14) مريم: ٣٤ .



ابن الله وابن الإنسان

(ابن الله)[1] تلك الكلمة المرعبة التي سيطرت على العقل المسيحي طوال ألفي عام ما معناها؟

إنها حقاً لأغمض من كل مفاهيم الدين!

هل ولد الله بمعنى (أنجب)؟

سيقولون كلا وحاشا. فما معناها عندهم أذن؟

وما معناها في الحقيقة إن ثبت إنها قبلت من مرجع محترم؟.

هنا وقبل الخوض في تفصيل ذلك لنطالع الأناجيل ونكتشف بيبلوغرافية الكلمة .

لقد وردت هذه اللفظة (٣٠) مرة وقُصد بها المسيح. وبعد فحص النصوص يتبين الآتي:

- وردت الكلمة بصيغة السؤال والاستفهام من قبل اليهود وإبليس الذي كان يجربه (٧) مرات، والسؤال ليس بالضرورة أن يجاب بالإيجاب دائما. فضلا عن صيغة التبري المعهودة (انتم تقولون هذا) .

---

(1) عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي عميرة، عن ابن أذينة، عن الأحول قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الروح التي في آدم قوله: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) قال: هذه روح مخلوقة، والروح التي في عيسى مخلوقة...
عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحجال، عن ثعلبة ابن ميمون، عن حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله:" (وَرُوحٌ مِنْهُ)، قال: هي روح الله مخلوقة خلقها في آدم وعيسى عليهما السلام .

- وردت بصيغة التهمة من قبل أعداءه اليهود مرتين .
- وردت على لسان أرواح نجسة وشياطين كان يخرجها (٥) مرات .
- وردت على لسان مجهولي الهوية وقادة رومان وثنيين (٣) مرات .

فنصف العدد صار هباء تذروه الرياح، فلا تقبل شهادة الشياطين والأرواح النجسة واليهود والوثنيين في أدنى من هذه الأمور؛ فكيف تقبل في مثل هذه المعضلة الخطيرة..؟

أما البقية فإحدى عشر منها ورد في إنجيل يوحنا الذي وضع خصيصاً لإثبات ألوهية المسيح كما عرفت .

بقي موضعان أولها في مقدمة إنجيل مرقس؛ ومحققو المسيحية الذين أصدروا أحدث طبعة للكتاب ـ يذكرون في الهامش إن بعض المخطوطات خالية من تلك العبارة.[1] وبالتأكيد فإنها المخطوطات الأقدم وإن من غير المعقول ـ نزاهة وتورعاً- أن تحذف كلمة من (كلمات الله)! خصوصاً بعد مطالعة نهاية رؤيا يوحنا .

والآخر على لسان بطرس[2]، فهل يكفي لو قبلنا بإنجيل متي كنص تاريخي معتمد عليه أن نرهن حياة المليارات من البشر على كلمة غامضة كتلك؟،

---

(1) قالوا في الصفحة ٥٥ من العهد الجديد طبعة جمعية الكتاب المقدس في لبنان ١٩٩٦ في الهامش الأول (لا نجد في بعض المخطوطات عبارة ابن الله). هـ فيا لها من عبارة بريئة.

(2) متي ١٦: ١٦ .



والأدهى من ذلك إن المسيح ليس وحده ابناً لله فآدم كذلك (آدم بن الله)،[1] وأبناء الله كثر فقد تزوج (أبناء الله) من بنات الناس![2] وأبناء الله في المزامير هم المؤمنين بالرب[3] وصانعوا السلام،[4] وأبناء القيامة[5] هم من أبناء الله، والله هو أب المؤمنين[6] والمحبين[7]، بل إن كل مؤمن بالمسيح فهو ابن الله،[8] وتتسع قائمة الأبناء لتشمل داود[9] وسليمان،[10] بل إن كل إسرائيل[11] وبني إسرائيل هم أبناء الله.[12] والمسلمون (عيال الله) أيضا. فان افتخر النصارى إن مسيحهم الموهوم (ليس المسيح الحقيقي) بأنه ابنا لله فما هو إلا واحد من بضعة مليارات من أبناء الله!.

والفهم المخطوء الذي حصل يرجع في الأصل إلى سوء فهم لغوي وعقائدي معاً. فلم تفهم البنوة بمعناها المجازي المتعين في مثل هذه الحالة،

---

(1) لوقا٣: ٣٨ .

(2) تكوين٦: ٢.

(3) المزامير ٢٩: ١/٨٩: ٦.

(4) متي٥: ٩.

(5) لوقا ٢٠: ٣٦ .

(6) يوحنا ١١: ٥٢ .

(7) رسالة يوحنا الأولى ٣: ٩/ ٤: ٧ .

(8) رسالة يوحنا الأولى ٥: ١-٢/ يوحنا ٢٠: ١٧ .

(9) مزمور ٨٨: ٢٠ .

(10) صموئيل الثاني ٧.

(11) ارميا ٣١: ٩ .

(12) هوشع ١: ١٠.



فكلمة (الأبناء) تعني الأصحاب والأتباع والقائمين بالأمر والخدام والمشمولين بالتربية والرعاية والطلاب والمواطنين والمحكومين،[1] واستأنس أيضاً بالفهم الوثني الروماني، الذي كان له الدور الأكبر في نشر هذه العقيدة لإبراز هذه الخصوصية المزعومة تأسياً ببنوة بعض الآلهة لبعضها الآخر.

كما وردت لفظة ابن الله في سفر (أعمال الرسل) مرتين الأولى على لسان وزير حبشي دعاه فيلبس للإيمان وتقول، هوامش طبعة الكتاب المقدس الجديدة[2] (وهذه الآية لا ترد في معظم المخطوطات القديمة)!!

أما الموضع الثاني فعلى لسان بولس، ويكفي أنك عرفت من هو بولس لتتبين قيمة هذا القول. وترد لفظة ابن الإنسان (٨٠) مرة في الأناجيل الأربعة. فهل نفاجأ إذا عرفنا إن (٧٨) مرة منها كانت على لسان المسيح نفسه!: (٣١) مرة في متي و(١٣) مرة في مرقس (٢٥) مرة في لوقا و(٩) مرات في يوحنا .

فهل نقاوم اعتراف المسيح (٧٨) مرة بأنه (ابن إنسان) مقابل قول بطرس مرة واحدة: انه ابن الله الحي! .[3]

---

(١) قارن معاني (أبناء الدنيا وأبناء البلد وأبناء السبل. ويطلق على رجل الدين المسيحي (أب) أو (أبونا)، وتدبر في معنى ابن عرس وبنات الشفة وبنات نعش .

(٢) سفر الأعمال ص ١٩٣ من العهد الجديد الهامش الثاني. طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .١٩٩٦ .

(٣) في الفصل السبعين من إنجيل برنابا إن المسيح وبخ بطرس توبيخا شديدا وقاسيا وكاد أن يطرده من سلك تلاميذه لولا توسل بقية التلاميذ وتوبة بطرس الفورية من هذا القول.



عودة المسيح

تزامن المرويات الإسلامية بين عودة المسيح وظهور المسيح الدجال من جهة، وظهور القائم الموعود من جهة أخرى. وقد عرضناها في كتابنا (المهدي في الكتب المقدسة) والمسألة لا تدخل في التاريخ؛ بل بمستقبل الإنسان والإنسانية وإنما ذكرناها ختما لهذا الموجز.[1]

فلم يبقى بين أيديهم ما يتمسكون به فلا فضل لأي إنجيل على الآخر فكلها مقطوعة الإسناد مجهولة المؤلف وتاريخ المؤلف .

[1] جعفر بن محمد الفزاري رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: يا خيثم. سيأتي على الناس زمان لا يعرفون الله ما هو، والتوحيد؛ حتى يكون خروج الدجال، وحتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ويقتل الله الدجال على يديه، ويصلي بهم رجل منا أهل البيت... الخبر.

ماجيلويه، عن عمه، عن أحمد بن هلال، عن الفضل بن دكين، عن معمر ابن راشد، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته فقدمه وصلى خلفه .

ومثله عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن جده، عن أبي سعيد عقيصا، عن الحسن ابن علي (صلوات الله عليه) روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: عيسى عليه السلام لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة. وقد صح عنه (صلى الله عليه وآله) انه قال: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟ رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

وراجع على سبيل المثال صحاح البخاري ج٤ ص ١٤٣ ومسلم ج٨ ص ١٨٠ وسنن أحمد ج٤ ص٧ والترمذي ج٣ ص ٣٢٤، ٣٤٤ ومجمع الزوائد ج٨ ص٥ وكنز العمال ج١٤ ص ٣٣٢ والدر المنثور ج٢ ص ٢٤١ وج٦ ص ٢٠ .

القسم الرابع

الإنجيل بحسب المسلمين

أقوال المسيح
الواردة في الموروث الإسلامي

- رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق، فقال له عيسى: سرقت؟ فقال: كلاّ والذي لا إله إلاّ هو. فقال عيسى: آمنت بالله وكذّبت عيني.
- قال عيسى بن مريم: إذا كان صوم يوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلاّ يرى الناس أنّه صائم، فإذا أعطى بيمينه فليخف من شماله، وإذا صلّى فليرخِ ستر بابه، فإنّ الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق.
- لقي جبرائيل عيسى بن مريم فقال: السلام عليك يا روح الله، قال: وعليك السلام يا روح الله. قال: يا جبرائيل، متى الساعة؟ قال: فانتفض جبرائيل في أجنحته ثمّ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة، أو قال: لا يجليها لوقتها إلاّ هو.

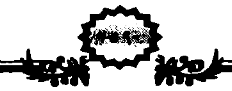


- قال عيسى بن مريم للحواريين: كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فدعوا لهم الدنيا.
- كان عيسى بن مريم يقول: يا ابن آدم، إذا عملت الحسنة فاله عنها فإنّها عند من لا يضيّعها، ثمّ تلا هذه الآية: إنّا لا نضيّع أجر من أحسن عملاً ، وإذا عملت سيّئة فاجعلها نصب عينيك. وقال ابن الورّاق: عند عينيك.
- قال عيسى بن مريم: أربع لا تجتمع في أحد من الناس إلاّ يعجب - أو إلاّ يعجبه - الصمت، وهو أوّل العبادة، والتواضع لله، والزهادة في الدنيا، وقلّة الشيء.
- قال عيسى بن مريم: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم. أنظروا إلى هذه الطيور تغدو وتروح، لا تحصد ولا تحرث والله يرزقها. فإن قلتم نحن أعظم بطوناً من هذا الطير، فانظروا إلى هذه الأباقر من الوحش والحمر، فإنّها تغدو وتروح، لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها. اتّقوا فضول الدنيا فإنّ فضول الدنيا عند الله رجز.
- لقي يحيى بن زكريّا عيسى بن مريم صلّى الله عليهما فقال: أخبرني بما يُقرّب من رضا الله وما يُبعد من سخط الله؟ فقال: لا تغضب.



قال: الغضب، ما يبدأه وما يعيده؟ قال: التعزّز والحمية والكبرياء والعظمة. قال: فغير ذلك أسألك عنه؟ قال: سل عمّا بدا لك. قال: الزنا ما يبدأه وما يعيده؟ قال: النظر، فيقع في القلب ما يُكثر الخطو إلى اللهو والغنى فتكثر الغفلة والخطيئة، ولا تدم النظر إلى ما ليس لك، فإنّه لن يعسك ما لم ترَ ولن يرسك ما لم تسمع.

- أتى الحواريّون عيسى بن مريم فقالوا له: يا روح الله وكلمته، أرِنا جدّنا سام بن نوح ليزيدنا الله يقيناً. فسار بهم عيسى إلى قبر سام فقال: أجب بإذن الله يا سام بن نوح. فقام بقدرة الله كالنخلة السحوق. قال له: كم عشت يا سام؟ قال له: عشت أربعة آلاف سنة تنبّيت ألفين وعمّرت ألفين. قال له عيسى: فكيف كانت الدنيا عندك؟ قال له سام: كبيت ببابين دخلت من هذا وخرجت من هذا.
- ممّا أُنزل على لسان عيسى بن مريم: أنّ اللعنة تكون في الأرض إذا كان أمراؤها الصبيان.
- أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: أن يا عيسى، عظ نفسك فإنْ اتّعظت، فعظ الناس، وإلاّ فاستحِ منّي.



- قال المسيح: أكثروا ذكر الله عزَ وجلَ وحمده وتقديسه وأطيعوه، فإنَما يكفي أحدكم من الدعاء إذا كان الله عزَ وجلَ راضياً عنه أن يقول: اللهمَ، اغفر لي خطيئتي، وأصلح لي معيشتي، وعافني من المكاره، يا إلهي.
- كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول: إذا تصدَق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله، وإذا صلَى فليدنِ عليه ستر بابه، فإنَ الله عزَ وجلَ يقسم الثناء كما يقسم الأرزاق.
- قيل لعيسى بن مريم عليه السلام: يا رسول الله، لو اتَخذت حماراً تركبه لحاجتك؟ قال: أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلني به.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام: ما لي لا أرى فيكم أفضل العبادة؟ قالوا: وما أفضل العبادة يا روح الله؟ قال: التواضع لله عزَ وجلَ.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام قال: اجعلوا كنوزكم في السماء فإنَ قلب المرء عند كنزه.
- أوحى الله عزَ وجلَ إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى، إنَي قد وهبت لك حبَ المساكين ورحمتهم تحبَهم ويحبَونك ويرضون بك



إماماً وقائداً وترضى بهم صحابة وتبعاً. وهما خلقان. إعلم أنه من لقيني بهما لقيني بأزكى الأعمال وأحبها إليّ.

- قال عيسى بن مريم: يا معشر الحواريين، أيكم يستطيع أن يبني على موج البحر داراً؟ قالوا: يا روح الله، ومن يقدر على ذلك؟ قال: إياكم والدنيا فلا تتخذوها قراراً.
- قال المسيح صلى الله عليه وسلم: من تعلم وعمل وعلم فذاك يُسمى - أو يدعى - عظيماً في ملكوت السماء.
- قيل له لعيسى بن مريم: كيف تمشي على الماء؟ قال: باليقين. قال: فقيل له: فإنا نوقن. قال: أرأيتم الحجارة والمدر والذهب، سواء عندكم؟ قالوا: لا. قال: أظنه قال: فإنّ ذلك عندي سواء.
- لقي يحيى عيسى عليهما السلام فقال له يحيى: استغفر لي، أنت خيرٌ مني؟ قال له عيسى: أنت خير مني، سلمت على نفسي وسلم الله عليك. فعرف الله عزّ وجلّ فضلهما.
- عيسى بن مريم قال: رأس الخطيئة حبّ الدنيا، والنساء حبالة الشيطان، والخمر مفتاح كلّ شرّ.

- كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول: حبَ الدنيا أصل كلَ خطيئة، والمال فيه داء كثير. قالوا: وما داؤه؟
- قال عيسى بن مريم: بحقَ أقول لكم، إنَ أكناف السماء لخالية من الأغنياء، ولدخول جمل في سمَ الخيَاط أيسر من دخول غنيَ الجنَة.
- قال المسيح ابن مريم عليه السلام: ليس كما أريد ولكن كما تريد، وليس كما أشاء ولكن كما تشاء.
- المسيح عيسى بن مريم صلَى الله عليه وسلم كان يقول: يا معشر الحواريَين، لا تطلبوا الدنيا بهلكة أنفسكم، واطلبوا أنفسكم بترك ما فيها، عراة جئتم وعراة تذهبون، ولا تطلبوا رزق ما في غد، كفى اليوم بما فيه وغداً يدخل بشغله، واسألوا الله أن يجعل رزقكم يوماً بيوم.
- كان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يأكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث أمسى، ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبَىء غداء لعشاء ولا عشاء لغداء وكان يقول: كلَ يوم يجيء رزقه معه.

- رأى جماعة عيسى يخرج من بيت مومسة فقيل له: يا روح الله، ما تصنع عند هذه؟ قال: إنّما يأتي الطبيب المرضى.
- قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه: الدنيا لإبليس مزرعة وأهلها له حرّاثون.
- قال عيسى بن مريم لأصحابه: إن كنتم أخواني وأصحابي فوطّنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس، إنّكم لا تدركون ما تطلبون إلاّ بترك ما تشتهون، ولا تنالون ما تحبّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون.
- قال المسيح عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمّروها.
- قال المسيح عليه السلام: لا يزني فرجك ما غضضت بصرك.
- مرّ عيسى عليه السلام على بقرة قد اعترض ولدها في بطنها، فقالت: يا كلمة الله، ادعُ الله أن يخلّصني؟ فقال: يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس، خلّصها؟ فألقت ما في بطنها.
- قال عيسى بن مريم: كانت الدنيا ولم أكن فيها، وتكون ولا أكون فيها، وإنّما لي فيها أيّامي التي أنا فيها، فإن شقيت فيها فأنا شقي.

- مرّ إبليس بعيسى بن مريم وهو متوسّد حجراً فقال له: يا عيسى، قد رضيت من الدنيا بهذا الحجر؟ قال: فأخذه من تحت رأسه فقذف به إليه فقال: هذا لك مع الدنيا لا حاجة لي فيه.
- مرّ عيسى عليه السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا. فقال عيسى عليه السلام: ما أشدّ بياض أسنانه.
- مرّ بعيسى بن مريم عليه السلام خنزير فقال: مر بسلام. فقيل له: يا روح الله، لهذا الخنزير تقول؟ قال: أكره أن أعوّد لساني الشرّ.
- سُئل عيسى بن مريم صلوات الله عليه عن النصح لله، قال: إذا عرض لك أمران، أحدهما لنفسك والآخر لله، فابدأ بأمر الله.
- روى عن عيسى عليه السلام أنّه قال: استكثروا من شيء لا تأكله النار. قيل: وما هو؟ قال: المعروف.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريّين: لن تنالوا ما عند الله حتّى تلبسوا الصوف على لذّة، وتأكلوا الشعير على لذّة، وتفترشوا الأرض على لذّة.
- مرّ أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا وجوههم صفر وعيونهم زرق فصاحوا إليه وشكوا ما بهم من العلل فقال: دواؤه معكم، أنتم

إذا أكلتم اللحم طبختموه غير مغسول، وليس شيء يخرج من الدنيا إلاَ بجنابة. فغسلوا بعد ذلك لحومهم فذهبت أمراضهم. و﴿قال:﴾ مرّ أخي بمدينة وإذا أهلها أسنانهم منتشرة ووجوههم منتفخة فشكوا إليه فقال: أنتم إذا نمتم تطبقون أفواهكم فتغلي الريح في الصدور حتَى تبلغ إلى الفم فلا يكون لها مخرج فتردّ إلى أصول الأسنان فيفسد الوجه، فإذا نمتم فافتحوا شفاهكم وصيّروه لكم خلقاً. ففعلوا فذهب ذلك عنهم.

- قال عيسى بن مريم عليه السلام: كن في الدنيا ضيفاً واتَخذ المسجد بيتاً.
- وعظ عيسى عليه السلام بني إسرائيل فبكوا وأقبلوا يمزّقون الثياب فقال: ما ذنب الثياب؟ أقبلوا على القلوب فعاتبوها.
- مرَ عيسى عليه السلام ذات يوم بوادٍ يقال له وادي القيامة فإذا هو بجمجمة بيضاء قد نُخرت عظامها فأعجبه بياضها وقد مات صاحبها منذ اثنتين وسبعين سنة، فقال عيسى عليه السلام: اللهمَ، إنَي أسألك يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون أن تأذن لهذه الجمجمة أن تخبرني من أيَ أمَة كانت؟ فأوحى الله إليه: يا

عيسى، كلِّمها تكلِّمك بقدرتي وأنا على كلّ شيء قدير. قال: فتوضّى عيسى عليه السلام وصلّى ركعتين ودنا منها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم. فأجابته الجمجمة بلسان طليق وهي تقول: يا روح الله، لقد سمّيت على خير الأسماء. فقال لها عيسى عليه السلام: سألتك بالله العظيم، إلاّ أخبرتني أين الحسن والبياض، وأين اللحم والشحم، وأين العظام والروح؟ فقالت له: يا روح الله، أمّا الحسن والبياض فقد غيّرهما التراب، وأمّا اللحم والشحم فقد أكلهما الدود، وأما العظام فقد نخرت، وأمّا الروح فهو اليوم عند النار في عذاب شديد. فقال لها عيسى عليه السلام: سألتك بالله العظيم، من أيّ أمّة كنت؟ فقالت له: يا روح الله، أنا من أمّة سخط الله عليها في دار الدنيا. فقال لها: كيف سخط الله عليكم في دار الدنيا؟ فقالت: يا روح الله، أرسل الله إلينا نبيّاً جاءنا بالصدق فكذّبناه، وأمرنا بطاعة الله فعصيناه، فأنزل الله علينا المطر سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيّام بالصواعق، فلمّا كان ذات يوم نزل علينا ملائكة من ملائكة العذاب ومع كلّ ملك منهم سوطان، سوط من حديد وسوط من نار، فما زال الملك يقبض روحي من مفصل إلى مفصل

ومن عرق إلى عرق حتّى بلغ الروح الحلقوم. قالت الجمجمة: فعند ذلك مدّ يده ملك الموت فأخرج روحي. فقال لها عيسى عليه السلام: سألتك بالله العظيم، إلاّ ما وصفت لي ملك الموت. فقالت له: يا روح الله، له يد بالمشرق ويد بالمغرب، ورأسه في أعلى عليّين ورجلاه في تخوم الأرضين السابعة السفلى، والدنيا بين ركبتيه، والخلائق بين عينيه. قالت: يا رسول الله، ثمّ لم تلبث إلاّ ساعة إذ أتاني ملكان أسودان أزرقان، كلامهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف، يقطّان في شعورهما ويخرّان الأرض بأنيابهما فقالا لي: من ربّك ومن نبيّك ومن إمامك؟ ففزعت منهما يا روح الله وقلت لهما: ما لي ربّ ولا نبيّ ولا إمام سوى الله. فقالا لي: كذبت يا عدوّ الله وعدوّ نفسك. وضربوني بمرزبة من حديد ضربة شديدة حسست من شدّة الضربة عظامي قد تكسّرت ولحمي قد تمزّق، وألقوني في قعر جهنّم وعذّبوني فيها ما شاء الله، فبينما أنا كذلك إذا بالحافظين الكاتبين اللذين يكتبان أعمال الخلايق في دار الدنيا فقالا لي: يا عدوّ الله سر معنا إلى منازل أهل الجنّة. قالت: فسرت معهما إلى أوّل باب من أبواب الجنّة فإذا بالجنّة لها ثمانية أبواب بنيانها لبنة

ذهب ولبنة فضة، ترابها المسك وحشيشها الزعفران وحصاها الدر والياقوت، أنهارها اللبن والماء والعسل، سكّانها الجواري والكواعب الأتراب المقصورات في الخيام صنع ذي الجلال والإكرام. ففرحت بها يا روح الله فقالا لي: يا عدوّ الله وعدوّ نفسه، لم تصنع خيراً في الدنيا فيكون لك هذا، ولكن سرْ معنا إلى منازل أهل النار. قالت: فسرت معهما إلى أوّل باب من أبواب أهل النار تصفّر فيه الحيّات والعقارب، فقلت لهما: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً. قالت: ثمّ سرت معهما إلى الباب الثاني فإذا رجال معلّقون من لحائهم مثل الكلاب تعلف من بين أيديهم دماً وقيحاً فقلت لهما: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللذين يشربون الخمر في دار الدنيا ويأكلون الحرام. قالت: ثمّ سرت معهما إلى الباب الثالث فإذا برجال تدخل النار من أفواههم وتخرج من أدبارهم فقلت: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللذين يرمون المحصّنات في دار الدنيا. قالت: ثمّ سرت معهما إلى الباب الرابع فإذا بنساء متعلّقات من ألسنتهنّ والنار تخرج من أفواههنّ فقلت لهما: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللذين هم تاركون الصلاة في دار

الدنيا. قالت: ثمَ سرت معهما إلى الباب الخامس فإذا بنساء متعلَقات من شعورهنَ والنار من فوقهنَ فقلت لهما: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللذين يتزيَنون لغير أزواجهنَ في دار الدنيا. قالت: ثمَ سرت معهما إلى الباب السادس فإذا بنساء معلَقات من شعورهنَ وأفواههنَ فقلت لهما: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللطيَحات في دار الدنيا. قالت: ثمَ سرت معهما إلى الباب السابع فإذا برجال وتحتهم بئر يقال لها بئر الفلق، فأُرميت فيها يا روح الله وأنا في شدَة العذاب ورأيت من الأهوال كثيراً. فقال عيسى عليه السلام: اسأليني إن شئت بإذن الله يا جمجمة؟ فقالت: يا روح الله، ادعُ الله لي أن يردَني إلى دار الدنيا؟ فدعا الله لها فأحياها له وردَها له ﴿بشراً﴾ سوياً بقدرة الله سبحانه. فمكثت اثنتي عشرة سنة تعبد الله مع عيسى عليه السلام حتَى أتاها اليقين وهو الموت وماتت على الإيمان وجعلها الله من أهل الجنَة برحمته.

- لَما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا: أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها. فقال: هذا حادث قد حدث، مكانكم. فطار حتَى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئاً، ثمَ وجد

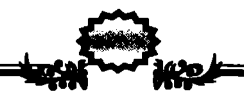


عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة حافّين به فرجع إليهم فقال: إنّ نبيّاً قد ولد البارحة، ما حملت أنثى قطّ ولا وضعت إلاّ وأنا حاضرها إلاّ هذا، فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة، ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفّة.

- روي عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنّه قال: يا معشر الحواريّين، أنتم تخافون المعاصي ونحن معشر الأنبياء نخاف الكفر.
- قال المسيح صلّى الله عليه وسلّم: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمّروها. وقيل له: يا نبيّ الله، لو أمرتنا أن نبني بيتاً نعبد الله فيه؟ قال: اذهبوا فابنوا بيتاً على الماء. فقالوا: كيف يستقيم بنيان على الماء؟ قال: وكيف تستقيم عبادة مع حبّ الدنيا.
- قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريّين، ادعوا الله تعالى أن يهوّن عليّ هذه السكرة-يعني الموت-فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت.
- قال عيسى عليه السلام: إنّ لي حبيبين اثنين فمن أحبّهما فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني، الفقر والجهاد.



- بينما عيسى بن مريم في بعض سياحته إذ مرّ بجمجمة نخرة فأمرها أن تتكلَم، فقالت: يا روح الله، أنا بلوان بن حفص ملك اليمن، عشت ألف سنة، وولد لي ألف ذكر، وافتتضت ألف بكر، وهزمت ألف عسكر، وقتلت ألف جبَار، وافتتحت ألف مدينة، فمن رآني فلا يغترَ بالدنيا فما كانت إلاَ كحلم نايم. فبكى عيسى عليه السلام.
- عيسى بن مريم كان يقول: إنّ الذي يصلّي ويصوم ولا يترك الخطايا مكتوب في الملكوت كذّاباً.
- كانت مريم تقول: كان عيسى إذا كان عندي أحد يتحدّث معي سبّح في بطني، وإذا خلوت فلم يكن عندي أحد حدّثته وحدّثني وهو في بطني.
- لقي عيسى عليه السلام إبليس فقال: أسألك بالحيّ القيّوم، ما الذي يقطع ظهرك؟ قال: صهيل الخيل في سبيل الله.
- قال عيسى عليه السلام: عالجت الأبرص والأكمه فأبرأتهما، وعالجت الأحمق فأعياني، والسكوت عن الأحمق جوابه.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام: يا بني آدم، لدوا للموت، وابنوا للخراب، تفنَ نفوسكم وتُبلَ دياركم.



- قال عيسى بن مريم ع للحواريين اياكم والنظر الى المحذورات فانها بذر الشهوات وبنات الفسق.
- قال عيسى بن مريم ع رايت حجرا عليه مكتوب اقلبني فقلبته فإذا على باطنه مكتوب من لا يعمل بما يعلم مشؤم عليه طلب ما لا يعلم ومردود عليه ما علم.
- سالوا عيسى بن مريم ع : يا روح الله مع من نجالس ؟ قال ع : من يذكركم رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الاخرة عمله
- قال عيسى بن مريم ع ما امرض قلب باشد من القسوة وما اعتلت نفس باصعب نقص الجوع وهما زمامان للطرد والخذلان
- قال عيسى بن مريم ع احرز لسانك لعماره قلبك وليسعك بيتك واحذر من الرياء وفضول معاشك واستحيي من ربك وابك على خطيئتك وفر من الناس فرارك من الاسد والافعى فانهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء ثم الق الله تعالى متى شئت.
- كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول : هو لا تدرى متى يلقاك ما يمنعك أن تستعد له قبل أن يفجأك ؟



- قال عيسى بن مريم لاصحابه : تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للاخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل، ويلكم علماء السوء، الاخرة تأخذون والعمل لا تصنعون ! يوشك رب العمل أن يطلب عمله، ويوشك أن يخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر، كيف يكون من أهل العلم من مصيره إلى اخرته وهو مقبل على دنياه، وما يضره أشهى إليه مما ينفعه ؟
- قال عيسى بن مريم عليه السلام : طوبى لمن كان صمته فكرا، ونظره عبرا، وكلامه ذكرا، وبكى على خطيئته، وسلم الناس من يده ولسانه.
- قال عيسى بن مريم - صلى الله عليه - في خطبة قام فيها في بني إسرائيل : أصبحت فيكم وإدامي الجوع، وطعامي ما تنبت الأرض للوحوش والأنعام، وسراجي القمر، وفراشي التراب، ووسادي الحجر، ليس لي بيت يخرب، ولا مال يتلف، ولا ولد يموت، ولا امرأة تحزن، وليس لي شئ وأنا أغنى ولد آدم.

- قال عيسى بن مريم للحواريين : يا بني إسرائيل، لا تأسوا على ما فاتكم من دنياكم إذا سلم دينكم، كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا سلمت دنياهم. .
- قال عيسى بن مريم - صلوات الله عليه - : هول لا تدري متى يغشاك ! ما يمنعك أن تستعد له قبل أن يفجأك.
- قال عيسى بن مريم عليهما السلام : يا معشر الحواريين ! لي إليكم حاجة، اقضوها لي. قالوا : قضيت حاجتك يا روح الله ! فقام فغسل أقدامهم، فقالوا : كنا نحن أحق بهذا يا روح الله ! فقال : إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم.
- صنع عيسى عليه السلام للحواريين طعاما، فلما أكلوا وضأهم بنفسه، قالوا : يا روح الله نحن أولى أن نفعله منك، قال : إنما فعلت هذا لتفعلوه بمن تعلمون.
-
- قال عيسى عليه السلام : بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل.

- قال عيسى بن مريم ع : الدينار داء الدين، والعالم طبيب الدين فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتهموه، واعلموا انه غير ناصح لغيره.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام : أشقى الناس من هو معروف عند الناس بعلمه مجهول بعمله.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام : يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة فاقضوها لي. قالوا : قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا : كنا نحن أحق بهذا يا روح الله، فقال : إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى عليه السلام : بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، كذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام لبعض أصحابه : مالا تحب أن يفعل بك فلا تفعله بأحد، وإن لطم أحد خدك الايمن فأعط الايسر.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين : يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من دنياكم إذا سلم دينكم، كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا سلمت دنياهم

- مواعظ المسيح عليه السلام في الانجيل " : طوبى للمتراحمين، أولئك هم المرحومون يوم القيامة. طوبى للمصلحين بين الناس أولئك هم المقربون يوم القيامة. طوبى للمطهرة قلوبهم أولئك يزورون الله يوم القيامة. طوبى للمتواضعين في الدنيا أولئك يرثون منابر الملك يوم القيامة. طوبى للمساكين لهم ملكوت السماء. طوبى للمحزونين هم الذين يسرون. طوبى للذين يجوعون ويظمؤون خشوعا، هم الذين يسبقون. طوبى للمسبوبين من أجل الطهارة فإن لهم ملكوت السماء. طوباكم إذا حسدتم وشتمتم وقيل فيكم كل كلمة قبيحة كاذبة حينئذ فافرحوا وابتهجوا فإن أجركم قد كثر في السماء. وقال : يا عبيد السوء تلومون الناس على الظن ولا تلومون أنفسكم على اليقين ؟ يا عبيد الدنيا تحلقون رؤوسكم وتقصرون قمصكم وتنكسون رؤوسكم ولا تنزعون الغل من قلوبكم ؟ ! يا عبيد الدنيا مثلكم كمثل القبور المشيدة يعجب الناظر ظهرها، وداخلها عظام الموتى، مملوءة خطايا. يا عبيد الدنيا إنما مثلكم كمثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه ! يا بني إسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثوا على الركب، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي

الارض الميتة بوابل المطر. يا بني إسرائيل قلة المنطق حكم عظيم، فعليكم بالصمت فإنه دعة حسنة وقلة وزر، وخفة من الذنوب فحصنوا باب العلم فإن بابه الصبر، وإن الله يبغض الضحاك من غير عجب، والمشاء إلى غير أرب، ويحب الوالي الذي يكون كالراعي لا يغفل عن رعيته، فاستحيوا الله في سرائركم كما تستحيون الناس في علانيتكم، واعلموا أن كلمة الحكمة ضالة المؤمن، فعليكم قبل أن يرفع، ورفعه أن يذهب رواته، يا صاحب العلم عظم العلماء لعلمهم ودع منازعتهم، وصغر الجهال لجهلهم ولا تطردهم، ولكن قربهم وعلمهم. يا صاحب العلم اعلم أن كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ عليها، يا صاحب العلم اعلم أن كل معصية عجزت عن توبتها بمنزلة عقوبة تعاقب بها، يا صاحب العلم كرب لا تدري متى تغشاك فاستعد لها قبل أن تفجأك. وقال لاصحابه : أرأيتم لو أن أحدا مر بأخيه فرأى ثوبه قد انكشف عن عورته أكان كاشفا عنها أم يرد على ما انكشف منها ؟ قالوا : بل يرد على ما انكشف منها، قال : كلا بل تكشفون عنها ! فعرفوا أنه مثل ضربه لهم، فقالوا : يا روح الله وكيف ذاك ؟ قال ذاك الرجل منكم

يطلع على العورة من أخيه فلا يسترها. بحق أقول لكم أعلمكم لتعلموا ولا أعلمكم لتعجبوا بأنفسكم، إنكم لن تنالوا ما تريدون إلا بترك ما تشتهون، ولن تظفروا بما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون، إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلوب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة، طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في نظر عينه لا تنظروا في عيوب الناس كالارباب، وانظروا في عيوبهم كهيئة عبيد الناس، إنما الناس رجلان : مبتلى ومعافى، فارحموا المبتلى، واحمدوا الله على العافية. يا بني إسرائيل أما تستحيون من الله ؟ إن أحدكم لا يسوغ له شرابه حتى يصفيه من القذى،ولايبالي أن يبلغ أمثال الغيلة، ألم تسمعوا أنه قيل لكم في التوراة صلوا أرحامكم، وكافوا أرحامكم ؟ وأنا أقول لكم : صلوا من قطعكم، وأعطوا من منعكم وأحسنوا إلى من أساء إليكم، وسلموا على من سبكم، وأنصفوا من خاصمكم، واعفوا عمن ظلمكم، كما أنكم تحبون أن يعفى عن إساءتكم فاعتبروا بعفو الله عنكم، ألا ترون أن شمسه أشرقت على الابرار والفجار منكم، وأن مطره ينزل على الصالحين و الخاطئين منكم ؟ فإن كنتم لا تحبون إلا من أحبكم ولا تحسنون إلا

إلى من أحسن إليكم ولا تكافئون إلا من أعطاكم فما فضلكم إذا على غيركم ؟ قد يصنع هذا السفهاء الذين ليست عندهم فضول ولا لهم أحلام، ولكن إن أردتم أن تكونوا أحباء الله وأصفياء الله فأحسنوا إلى من أساء إليكم، واعفوا عمن ظلمكم، أن تكونوا أحباء الله وأصفياء الله فأحسنوا إلى من أساء إليكم، واعفوا عمن ظلمكم، وسلموا على من أعرض عنكم، اسمعوا قولي، و احفظوا وصيتي، وارعوا عهدي كيما تكونوا علماء فقهاء. بحق أقول لكم : إن قلوبكم بحيث تكون كنوزكم، وكذلك الناس يحبون أموالهم وتتوق إليها أنفسهم، فضعوا كنوزكم في السماء حيث لا يأكلها السوس، ولا ينالها اللصوص. بحق أقول لكم : إن العبد لا يقدر على أن يخدم ربين، ولا محالة إنه يؤثر أحدهما على الآخر وإن جهد، كذلك لا يجتمع لكم حب الله وحب الدنيا. بحق أقول لكم : إن شر الناس لرجل عالم آثر دنياه على علمه فأحبها وطلبها وجهد عليها حتى لو استطاع أن يجعل الناس في حيرة لفعل، وماذا يغني عن الاعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ؟ كذلك لا يغني عن العالم علمه إذا هو لم يعمل به، ما أكثر ثمار الشجر وليس كلها ينفع

ولا يؤكل وما أكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم ! وما أوسع الارض وليس كلها تسكن ! وما أكثر المتكلمين وليس كل كلامهم يصدق ! فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم ثياب الصوف، منكسو رؤوسهم إلى الارض، يزورون به الخطايا، يطرفون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب، وقولهم يخالف فعلهم، وهل يجتنى من العوسج العنب ؟ ومن الحنظل التين ؟ وكذلك لا يؤثر قول العالم الكاذب إلا زورا، وليس كل من يقول يصدق. بحق أقول لكم : إن الزرع ينبت في السهل ولاينبت في الصفا، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار، ألم تعلموا أنه من شمخ برأسه إلى السقف شجه، ومن خفض برأسه عنه استظل تحته وأكنه، وكذلك من لم يتواضع لله خفضه، ومن تواضع لله رفعه، إنه ليس على كل حال يصلح العسل في الزقاق، وكذلك القلوب ليس على كل حال تعمر الحكمة فيها، إن الزق ما لم ينخرق أو يقحل أو يتفل فسوف يكون للعسل وعاء، و كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات ويدنسها الطمع ويقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة. بحق أقول لكم : إن الحريق ليقع في البيت الواحد فلا يزال

ينتقل من بيت إلى بيت حتى تحترق بيوت كثيرة إلا أن يستدرك البيت الاول فيهدم من قواعده فلا تجد فيه النار محلا، وكذلك الظالم الاول لو أخذ على يديه لم يوجد من بعده إمام ظالم فيأتمون به كما لو لم تجد النار في البيت الاول خشبا وألواحا لم تحرق شيئا. بحق أقول لكم : من نظر إلى الحية تؤم أخاه لتلدغه ولم يحذره حتى قتلته فلا يأمن أن يكون قد شرك في دمه، وكذلك من نظر إلى أخيه يعمل الخطيئة ولم يحذره عاقبتها حتى أحاطت به فلا يأمن أن يكون قد شرك في إثمه، ومن قدر على أن يغير الظالم ثم لم يغيره فهو كفاعله، وكيف يهاب الظالم وقد أمن بين أظهركم لا ينهى ولا يغير عليه ولا يؤخذ على يديه، فمن أين يقصر الظالمون أم كيف لا يغترون ؟ فحسب أحدكم أن يقول : لا أظلم ومن شاء فليظلم، ويرى الظلم فلا يغيره، فلو كان الامر على ما تقولون لم تعاقبوا مع الظالمين الذين لم تعملوا بأعمالهم حين تنزل بهم العثرة في الدنيا، ويلكم يا عبيد السوء كيف ترجون أن يؤمنكم الله من فزع يوم القيامة وأنتم تخافون الناس في طاعة الله، وتطيعونهم في معصيته، وتفون لهم بالعهود الناقضة لعهده ؟ بحق أقول لكم : لا يؤمن الله من فزع ذلك اليوم من

اتخذ العباد أربابا من دونه. ويلكم يا عبيد السوء من أجل دنيا دنية وشهوة رديئة تفرطون في ملك الجنة و تنسون هول يوم القيامة ! ويلكم يا عبيد الدنيا من أجل نعمة زائلة وحياة منقطعة تفرون من الله وتكرهون لقاءه ! فكيف يحب الله لقاءكم وأنتم تكرهون لقاءه ؟ وإنما يحب الله لقاء من يحب لقاءه، ويكره لقاء من يكره لقاءه، وكيف تزعمون أنكم أولياء الله من دون الناس وأنتم تفرون من الموت وتعتصمون بالدنيا ؟ فماذا يغني عن الميت طيب ريح حنوطه وبياض أكفانه وكل ذلك يكون في التراب، كذلك لا يغني عنكم بهجة دنياكم التي زينت لكم، وكل ذلك إلى سلب وزوال، ماذا يغني عنكم نقاء أجسادكم وصفاء ألوانكم و إلى الموت تصيرون، وفي التراب تنسون، وفي ظلمة القبر تغمرون ؟ ! ويلكم يا عبيد الدنيا القبر تغمرون ؟ ! ويلكم يا عبيد الدنيا تحملون السراج في ضوء الشمس وضوؤها كان يكفيكم، وتدعون أن تستضيؤوا بها في الظلم ومن أجل ذلك سخرت لكم ! كذلك استضأتم بنور العلم لامر الدنيا وقد كفيتموه وتركتم أن تستضيؤوا به لامر الآخرة ومن أجل ذلك أعطيتموه، تقولون : إن الآخرة حق وأنتم تمهدون الدنيا، وتقولون :

إن الموت حق وأنتم تفرون منه، وتقولون : إن الله يسمع ويرى ولا تخافون إحصاءه عليكم، فكيف يصدقكم من سمعكم فإن من كذب من غير علم أعذر ممن كذب على علم وإن كان لا عذر في شئ من الكذب. بحق أقول لكم : إن الدابة إذا لم تركب ولم تمتهن وتستعمل لتصعب ويتغير خلقها، وكذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت ويتبعها دؤوب العبادة تقسو وتغلظ. ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ؟ كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة ! فاسرعوا إلى بيوتكم المظلمة فأنيروا فيها، كذلك فاسرعوا إلى قلوبكم القاسية بالحكمة قبل أن ترين عليها الخطايا فتكون أقسى من الحجارة، كيف يطيق حمل الاثقال من لا يستعين على حملها ؟ أم كيف تحط أوزار من لا يستغفر الله منها ؟ أم كيف تنقى ثياب من لا يغسلها ؟ وكيف يبرأ من الخطايا من لا يكفرها ؟ أم كيف ينجو من غرق البحر من يعبر بغير سفينة ؟ وكيف ينجو من فتن الدنيا من لم يداوها بالجد والاجتهاد ؟ وكيف يبلغ من يسافر بغير دليل ؟ وكيف يصير إلى الجنة من لا يبصر معالم الدين ؟ وكيف ينال مرضاة الله من

لا يطيعه ؟ وكيف يبصر عيب وجهه من لا ينظر في المرآة ؟ وكيف يستكمل حب خليله من لا يبذل له بعض ما عنده ؟ وكيف يستكمل حب ربه من لا يقرضه بعض ما رزقه ؟ بحق أقول لكم : إنه كما لا ينقص البحر أن تغرق فيه السفينة ولا يضره ذلك شيئا كذلك لا تنقصون الله بمعاصيكم شيئا ولا تضرونه بل أنفسكم تضرون، وإياها تنقصون، وكما لا ينقص نور الشمس كثرة من يتقلب فيها بل به يعيش ويحيى كذلك لا ينقص الله كثرة ما يعطيكم ويرزقكم، بل برزقه تعيشون وبه تحيون، يزيد من شكره إنه شاكر عليم. ويلكم يا أجراء السوء الاجر تستوفون، والرزق تأكلون، والكسوة تلبسون، و المنازل تبنون، وعمل من استأجركم تفسدون ؟ ! يوشك رب هذا العمل أن يطالعكم فينظر في عمله الذي أفسدتم فينزل بكم ما يخزيكم، ويأمر برقابكم فتجذ من أصولها ويأمر بأيديكم فتقطع من مفاصلها، ثم يأمر بجثتكم فتجر على بطونها، حتى توضع على قوارع الطريق، حتى تكونوا عظة للمتقين، ونكالا للظالمين. ويلكم يا علماء السوء لا تحدثوا أنفسكم أن آجالكم تستأخر من أجل أن الموت لم ينزل بكم، فكأنه قدحل بكم فأظعنكم، فمن الآن فاجعلوا

الدعوة في آذانكم، و من الآن فنوحوا على أنفسكم، ومن الآن فابكوا على خطاياكم، ومن الآن فتجهزوا وخذوا أهبتكم، وبادروا التوبة إلى ربكم. بحق أقول لكم : إنه كما ينظر المريض إلى طيب الطعام فلا يلتذه مع ما يجده من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب المال، وكما يلتذ المريض نعت الطبيب العالم بما يرجو فيه من الشفاء فإذا ذكر مرارة الدواء وطعمه كدر عليه الشفاء كذلك أهل الدنيا يلتذون ببهجتها وأنواع ما فيها، فإذا ذكروا فجأة الموت كدرها عليهم وأفسدها. بحق أقول لكم : إن كل الناس يبصر النجوم ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها، وكذلك تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي لها منكم إلا من عمل بها. ويلكم يا عبيد الدنيا نقوا القمح وطيبوه، وأدقوا طحنه تجدوا طعمه، ويهنئكم أكله. بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجا يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضأتم به فلم يمنعكم منه ريح قطرانه، كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها، ويلكم يا عبيد الدنيا لا كحكماء تعقلون، ولا كحلماء تفقهون، ولا كعلماء تعلمون، ولا كعبيد

أتقياء، ولا كأحرار كرام، توشك الدنيا أن تقتلعكم من أصولكم فتقلبكم على وجوهكم، ثم تكبكم على مناخركم، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ويدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلماكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيجزيكم بسوء أعمالكم. ويلكم يا عبيد الدنيا أليس بالعلم أعطيتم السلطان على جميع الخلائق فنبذتموه فلم تعملوا به، وأقبلتم على الدنيا فبها تحكمون، ولها تمهدون، وإياها تؤثرون وتعمرون فحتى متى أنتم للدنيا ليس لله فيكم نصيب ؟. بحق أقول لكم : لا تدركون شرف الآخرة إلا بترك ما تحبون، فلا تنتظروا بالتوبة غدا، فإن دون غد يوما وليلة، قضاء الله فيهما يغدو ويروح. بحق أقول لكم : إن صغار الخطايا ومحقراتها لمن مكائد إبليس يحقرها لكم و يصغرها في أعينكم، وتجتمع فتكثر وتحيط بكم. بحق أقول لكم : إن المدحة بالكذب والتزكية في الدين لمن رأس الشرور المعلومة وإن حب الدنيا لرأس كل خطيئة. بحق أقول لكم : ليس شئ أبلغ في شرف الآخرة وأعون على حوادث الدنيا من الصلاة الدائمة، وليس شئ أقرب إلى الرحمن منها، فدوموا عليها، واستكثروا منها، وكل عمل صالح يقرب إلى الله فالصلاة أقرب إليه وآثر عنده. بحق أقول

لكم : إن كل عمل المظلوم الذي لم ينتصر بقول ولا فعل ولا حقد هو في ملكوت السماء عظيم، أيكم رأى نورا اسمه ظلمة أو ظلمة اسمها نور ؟ كذلك لا يجتمع للعبد أن يكون مؤمنا كافرا، ولا مؤثرا للدنيا راغبا في الآخرة، وهل زراع شعير يحصد قمحا أو زراع قمح يحصد شعيرا ؟ كذلك يحصد كل عبد في الآخرة ما زرع، ويجزى بما عمل. بحق أقول لكم : إن الناس في الحكمة رجلان : فرجل أتقنها بقوله وضيعها بسوء فعله، ورجل أتقنها بقوله وصدقها بفعله، وشتان بينهما ! فطوبى للعلماء بالفعل، وويل للعلماء بالقول. بحق أقول لكم : من لا ينقي من زرعه الحشيش يكثر فيه حتى يغمره فيفسده، و كذلك من لا يخرج من قلبه حب الدنيا يغمره حتى لا يجد لحب الآخرة طعما. ويلكم يا عبيد الدنيا اتخذوا مساجد ربكم سجونا لاجسادكم، واجعلوا قلوبكم بيوتا للتقوى ولا تجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات. بحق أقول لكم : أجزعكم على البلاء لاشدكم حبا للدنيا، وإن أصبركم على البلاء لازهدكم في الدنيا. ويلكم يا علماء السوء ألم تكونوا أمواتا فأحياكم فلما أحياكم متم ؟ ويلكم ألم تكونوا أميين فعلمكم فلما علمكم نسيتم ؟ ويلكم ألم

تكونوا جفاة ففقهكم الله فلما فقهكم جهلتم ؟ ويلكم ألم تكونوا ضلالا فهداكم فلما هداكم ضللتم ؟ ويلكم ألم تكونوا عميا فبصركم فلما بصركم عميتم ؟ ويلكم ألم تكونوا صما فأسمعكم فلما أسمعكم صممتم ؟ ويلكم ألم تكونوا بكما فأنطقكم فلما أنطقكم بكمتم ؟ ويلكم ألم تستفتحوا فلما فتح لكم نكصتم على أعقابكم ؟ بخوضكم في الدنيا والشهوات، وترككم الاقبال على الاخرة، فكنتم خلقتم للاخرة ونعيمها والبقاء فيها فأعرضتم عنها واقبلتم الى الدنيا فصرتم ميتين بل أشد خيبة منهم، لانكم في الاخرة معذبون وعن نعيمها محرومون. حيث إنكم لم تعملوا بما تعلمون فكانكم نسيتم ذلك. بترككم العمل بفقهكم. الهداية هنا بمعنى إرادة الطريق، أي هديتم السبيل، فمشيتم على غيره فضللتم. أي بصركم فلم تبصروا ولم تنفعكم البصائر، حيث إنكم عملتم عمل من لا يبصر شيئا. حيث إنكم تركتم القول فيما أنطقكم له. ويلكم ألم تكونوا أذلة فأعزكم فلما عززتم قهرتم واعتديتم وعصيتم ؟ ويلكم ألم تكونوا مستضعفين في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فنصركم وأيدكم فلما نصركم استكبرتم وتجبرتم ؟ فيا ويلكم من ذل

يوم القيامة كيف يهينكم ويصغركم ؟ و يا ويلكم يا علماء السوء إنكم لتعملون عمل الملحدين وتأملون أمل الوارثين وتطمئنون بطمأنيته الآمنين، وليس أمر الله على ما تتمنون وتتخيرون، بل للموت تتوالدون، وللخراب تبنون وتعمرون، وللوارثين تمهدون. بحق أقول لكم : إن موسى كان يأمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين، وأنا أقول : لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، ولكن قولوا : لا ونعم. يا بني إسرائيل عليكم بالبقل البري، وخبز الشعير، وإياكم وخبز البر فإني أخاف عليكم أن لا تقوموا بشكره. بحق أقول لكم : إن الناس معافى ومبتلى، فاحمدوا الله على العافية، وارحموا أهل البلاء. بحق أقول لكم : إن كل كلمة سيئة تقولون بها تعطون جوابها يوم القيامة. يا عبيد السوء إذا قرب أحدكم قربانه ليذبحه فذكر أن أخاه واجد عليه فليترك قربانه وليذهب إلى أخيه فليرضه ثم ليرجع إلى قربانه فليذبحه. يا عبيد السوء إذا أخذ قميص أحدكم فليعط رداءه معه، ومن لطم خده منكم فليمكن من خده الآخر ومن سخر منكم ميلا فليذهب ميلا آخر معه. بحق أقول لكم : ماذا يغني عن الجسد إذا كان ظاهره صحيحا وباطنه فاسدا ؟ وما يغني عنكم

أجسادكم إذا أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم ؟ وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة. بحق أقول لكم : لا تكونوا كالمنخل يخرج الدقيق الطيب ويمسك النخالة، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم. بحق أقول لكم : ابدؤوا بالشر فاتركوه، ثم اطلبوا الخير ينفعكم، فإنكم إذا جمعتم الخير مع الشر لم ينفعكم الخير. بحق أقول لكم : إن الذي يخوض النهر لابد أن يصيب ثوبه الماء وإن جهد أن لا يصيبه، كذلك من يحب الدنيا لا ينجو من الخطايا. بحق أقول لكم : طوبى للذين يتهجدون من الليل، أولئك الذين يرثون النور الدائم من أجل أنهم قاموا في ظلمة الليل على أرجلهم في مساجدهم يتضرعون إلى ربهم رجاء أن ينجيهم في الشدة غدا. بحق أقول لكم : إن الدنيا خلقت مزرعة، يزرع فيها العباد الحلو والمر والشر والخير، الخير له مغبة نافعة يوم الحساب، والشر له عناء وشقاء يوم الحصاد. بحق أقول لكم : إن الحكيم يعتبر بالجاهل، والجاهل يعتبر بهواه، أوصيكم أن تختموا على أفواهكم بالصمت حتى لا يخرج منها ما لا يحل لكم. بحق أقول لكم : إنكم لا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون، ولا تبلغون ما

تريدون إلا بترك ما تشتهون. بحق أقول لكم : يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقص شهوته من الدنيا ولا تنقطع منها رغبته. بحق أقول لكم : يا عبيد الدنيا ما الدنيا تحبون، ولا الآخرة ترجون، لو كنتم تحبون الدنيا أكرمتم العمل الذي به أدركتموها، ولو كنتم تريدون الآخرة عملتم عمل من يرجوها. بحق أقول لكم : يا عبيد الدنيا إن أحدكم يبغض صاحبه على الظن، ولا يبغض نفسه على اليقين، وأقول لكم : إن أحدكم ليغضب إذا ذكر له بعض عيوبه وهي حق، ويفرح إذا مدح بما ليس فيه. بحق أقول لكم : إن أرواح الشياطين ما عمرت في شئ ما عمرت في قلوبكم، وإنما أعطاكم الله الدنيا لتعملوا فيها للآخرة، ولم يعطكموها لتشغلكم عن الآخرة، وإنما بسطها لكم لتعلموا أنه أعانكم بها على العبادة، ولم يعنكم بها على الخطايا، وإنما أمركم فيها بطاعته، ولم يأمركم فيها بمعصيته، وإنما أعانكم بها على الحلال ولم يحل لكم بها الحرام، وإنما وسعها لكم لتواصلوا فيها ولم يوسعها لكم لتقاطعوا فيها. بحق أقول لكم : إن الأجر محروص عليه، ولا يدركه إلا من عمل له. بحق أقول لكم : إن الشجرة لا تكمل إلا بثمرة طيبة، كذلك لا يكمل الدين إلا

بالتحرج عن المحارم بحق أقول لكم : إن الزرع لا يصلح إلا بالماء والتراب، كذلك الايمان لا يصلح إلا بالعلم والعمل. بحق أقول لكم : إن الماء يطفئ النار، كذلك الحلم يطفئ الغضب. بحق أقول لكم : إنه لا يجتمع الماء والنار في إناء واحد، كذا لا يجتمع الفقه و الغي في قلب واحد. بحق أقول لكم : إنه لا يكون مطر بغير سحاب، كذلك لا يكون عمل في مرضاة الرب إلا بقلب تقي. بحق أقول لكم : إن النفس نور كل شئ، وإن الحكمة نور كل قلب، و التقوى رأس كل حكمة، والحق باب كل خير، ورحمة الله باب كل حق، ومفاتيح ذلك الدعاء والتضرع والعمل، وكيف يفتح باب بغير مفتاح ؟ ! بحق أقول لكم : إن الرجل الحكيم لا يغرس شجرة إلا شجرة يرضاها، ولا يحمل على خيله إلا فرسا يرضاه، كذلك المؤمن العالم لا يعمل إلا عملا يرضاه ربه. بحق أقول لكم : إن الصقالة تصلح السيف وتجلوه، كذلك الحكمة للقلب تصقله وتجلوه، وهي في قلب الحكيم مثل الماء في الارض الميتة تحيي قلبه كما يحيي الماء الارض الميتة، وهي في قلب الحكيم مثل النور في الظلمة يمشي بها في الناس. بحق أقول لكم : إن نقل الحجارة من رؤوس الجبال أفضل من أن تحدث من لا

يعقل عنك حديثك، كمثل الذي ينقع الحجارة لتلين، وكمثل الذي يصنع الطعام لاهل القبور. طوبى لمن حبس الفضل من قوله الذي يخاف عليه المقت من ربه، ولا يحدث حديثا لا يفهمه، ولا يغبط امرءا في قوله حتى يستبين له فعله، طوبى لمن تعلم من العلماء ما جهل، وعلم الجاهل مما علم، طوبى لمن عظم العلماء لعلمهم وترك منازعتهم وصغر الجهال لجهلهم، ولا يطردهم ولكن يقربهم ويعلمهم. بحق أقول لكم : يا معشر الحواريين إنكم اليوم في الناس كالاحياء من الموتى فلا تموتوا بموت الاحياء. وقال المسيح : يقول الله تبارك وتعالى : يحزن عبدي المؤمن أن أصرف عنه الدنيا وذلك أحب ما يكون إلي وأقرب ما يكون مني، ويفرح أن أوسع عليه في الدنيا و ذلك أبغض ما يكون إلي وأبعد ما يكون مني.

- قال عيسى عليه السلام : سمعتم ما قيل للاولين لا تزنوا، وأنا أقول لكم : إن من نظر إلى امرأة فاشتهاها فقد زنى بها في قلبه. إن خانتك عينك اليمنى فاقلعها وألقها عنك، لانه خير لك أن تهلك أحد أعضائك ولا تلقي جسدك كله في نار جهنم، وإن شككتك يدك

اليمنى فاقطعها وألقها عنك فإنه خير لك أن تهلك أحد أعضائك من أن يذهب كل جسدك في جهنم.

- قال عليه السلام : أقول لكم : لا تهتموا ماذا تأكلون، ولا ماذا تشربون، ولا لاجسادكم ما تلبس، أليس النفس أفضل من المأكل ؟ والجسد أفضل من اللباس ؟ انظروا إلى طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن، وربكم السماوي يقوتها، أليس أنتم أفضل منهم ؟ من منكم يهتم فيقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة ؟ فلماذا تهتمون باللباس ؟
- قال عليه السلام: أي إنسان منكم يسأله ابنه خبزا فيعطيه حجرا ؟ أو يسأله شملة فيعطيه حية ؟ فإذا كنتم أنتم الاشرار تعرفون تعطون العطايا الصالحة لابنائكم فكان بالاحرى
- قال واحد من تلاميذه : ائذن لي أولا يا سيدي أن أمضي فأواري أبي، فقال له عيسى عليه السلام : دع الموتى يدفنون موتاهم واتبعني.

- كان المسيح عليه السلام يقول : من كثر همه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذب نفسه، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر كذبه ذهب بهاؤه، ومن لاحى الرجال ذهبت مروءته.
- إن الله عزوجل أوحى إلى عيسى بن مريم عليه السلام : يا عيسى ما أكرمت خليقة بمثل ديني، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي، اغسل بالماء منك ما ظهر، وداو بالحسنات ما بطن، فإنك إلي راجع، فشمر فكل ما هو آت قريب، وأسمعني منك صوتا حزينا.
- مكتوب في الانجيل : لا تطلبوا علم مالا تعلمون ولما عملتم بما علمتم فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد من الله إلا بعدا.
- قال المسيح عليه السلام للحواريين : إنما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.
- قال عيسى ابن مريم عليه السلام : الدينار داء الدين، والعالم طبيب الدين، فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتهموه، واعلموا أنه غير ناصح لغيره.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام : طوبى لمن كان صمته فكرا، ونظره عبرا، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته، وسلم الناس من يده ولسانه.

- أوحى الله إلى عيسى بن مريم عليه السلام : يا عيسى هب لي من عينيك الدموع، ومن قلبك الخشوع، واكحل عينيك بميل الحزن إذا ضحك البطالون، وقم على قبور الاموات فنادهم بالصوت الرفيع لعلك تأخذ موعظتك منهم، وقل : إني لاحق في اللاحقين.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام لاصحابه : تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة ولا ترزقون فيها إلا بالعمل، ويلكم علماء السوء ! الاجرة تأخذون والعمل لا تصنعون يوشك رب العمل أن يطلب عمله، وتوشكوا أن تخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر، كيف يكون من أهل العلم من مصيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه ؟ وما يضره أشهى إليه مما ينفعه.
- مر أخي عيسى عليه السلام بمدينة وفيها رجل وامرأة يتصايحان فقال : ما شأنكما ؟ قال : يا نبي الله هذه امرأتي وليس بها بأس، صالحة، ولكني أحب فراقها، قال : فأخبرني على كل حال ما شأنها ؟ قال : هي خلقة الوجه من غير كبر، قال لها : يا امرأة أتحبين أن يعود ماء وجهك طريا ؟ قالت : نعم، قال لها : إذا أكلت فإياك أن تشبعي

لان الطعام إذا تكاثر على الصدر فزاد في القدر ذهب ماء الوجه، ففعلت ذلك فعاد وجهها طريا.

- مر أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا في ثمارها الدود، فشكوا إليه ما بهم، فقال : دواء هذا معكم وليس تعملون، أنتم قوم إذا غرستم الاشجار صببتم التراب ثم صببتم الماء، وليس هكذا يجب، بل ينبغي أن تصبوا الماء في أصول الشجر ثم تصبوا التراب لكيلا يقع فيه الدود، فاستأنفوا كما وصف فذهب ذلك عنهم.
- مر أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا وجوههم صفر، وعيونهم زرق، فصاحوا إليه وشكوا ما بهم من العلل، فقال : دواؤه معكم، أنتم إذا أكلتم اللحم طبختموه غير مغسول، وليس يخرج شئ من الدنيا إلا بجنابة، فغسلوا بعد ذلك لحومهم فذهبت أمراضهم.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام في خطبته قام لها في بني إسرائيل : أصبحت فيكم وإدامي الجوع، وطعامي ما تنبت الارض للوحوش والانعام، وسراجي القمر، و فراشي التراب، ووسادتي الحجر، ليس لي بيت يخرب، ولا مال يتلف، ولا ولد يموت، ولا امرأة تحزن، أصبحت وليس لي شئ، وأمسيت وليس لي شئ وأنا أغنى ولد آدم.



- قال عيسى بن مريم عليه السلام يا معشر الحواريين بحق أقول لكم : إن الناس يقولون : إن البناء بأساسه، وأنا لاأقول لكم كذلك، قالوا : فماذا تقول يا روح الله ؟ قال : بحق أقول لكم : إن آخر حجر يضعه العامل هو الاساس، قال أبو فروة : إنما أراد خاتمة الامر

- قيل لعيسى بن مريم عليه السلام : كيف أصبحت يا روح الله ؟ قال : أصبحت وربي تبارك وتعالى من فوقي، والنار أمامي، والموت في طلبي، لا أملك ما أرجو، ولا أطيق دفع ما أكره، فأي فقير أفقر مني ؟ ! الخبر.

- بينا عيسى بن مريم في سياحته إذ مر بقرية فوجد أهلها موتى في الطريق والدور، قال : فقال : إن هؤلاء ماتوا بسخطة، ولو ماتوا بغيرها تدافنوا، قال : فقال أصحابه : وددنا أنا عرفنا قصتهم، فقيل له : نادهم يا روح الله، قال : فقال : يا أهل القرية، قال : فأجابه مجيب منهم : لبيك يا روح الله، قال : ما حالكم ؟ وما قصتكم ؟ قال : أصبحنا في عافية وبتنا في الهاوية، قال : فقال : وما الهاوية ؟ فقال : بحار من نار، فيها جبال من النار، قال : وما بلغ بكم ما أرى ؟ قال : حب الدنيا وعبادة الطاغوت، قال : وما بلغ من حبكم الدنيا ؟ قال :

كحب الصبي لامه، إذا أقبلت فرح وإذا أدبرت حزن، قال : وما بلغ من عبادتكم الطواغيت ؟ قال : كانوا إذا أمرونا أطعناهم، قال : فكيف أنت أجبتني من بينهم ؟ قال : لانهم ملجمون بلجم من نار عليهم ملائكة غلاظ شداد، وإني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما أصابهم العذاب أصابني معهم، فأنا متعلق بشعرة على شفير جهنم، أخاف أن أكبكب في النار، قال فقال عيسى عليه السلام لا صحابه : إن النوم على المزابل وأكل خبز الشعير خير كثير مع سلامة الدين.

- أوحى الله تعالى جلت عظمته إلى عيسى عليه السلام جد في أمري ولا تترك، إني خلقتك من غير فحل آية للعالمين، أخبرهم آمنوا بي وبرسولي النبي الامي، نسله من مباركة، و هي مع أمك في الجنة، طوبى لمن سمع كلامه، وأدرك زمانه، وشهد أيامه، قال عيسى : يا رب وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة تحتها عين، من شرب منها شربة لم يظمأ بعدها أبدا، قال عيسى : يا رب اسقني منها شربة، قال : كلا يا عيسى إن تلك العين محرمة على الانبياء حتى يشربها ذلك النبي، وتلك الجنة محرمة على الامم حتى يدخلها أمة ذلك النبي.

- قال عيسى ابن مريم عليه السلام لجبرئيل متى قيام الساعة ؟ فانتفض جبرئيل انتفاضة أغمي عليه منها فلما أفاق قال : يا روح الله ما المسؤول أعلم بها من السائل، وله من السماوات والارض لا تأتيكم إلا بغتة، وقال الحواريون لعيسى : يا معلم الخير علمنا أي الاشياء أشد ؟ قال : أشد الاشياء غضب الله، قالوا : فبما يتقى غضب الله ؟ قال : بأن لا تغضبوا، قالوا : وما بدء الغضب ؟ قال : الكبر والتجبر ومحقرة الناس.
- إن عيسى بن مريم عليه السلام قال : داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الاكمه والابرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الاحمق فلم أقدر على إصلاحه، فقيل : يا روح الله وما الاحمق ؟ قال : المعجب برأيه ونفسه، الذي يرى الفضل كله له لا عليه، ويوجب الحق كله لنفسه ولا يوجب عليها حقا، فذلك الاحمق الذي لا حيلة في مداواته.
- إن عيسى عليه السلام مر بقوم مجلبين فسأل عنهم، فقيل : بنت فلان تهدى إلى بيت فلان، فقال : صاحبتهم ميتة من ليلتهم، فلما كان من الغد قيل : إنها حية، فذهب مع الناس إلى دارها، فخرج زوجها،



فقال له : سل زوجتك ما فعلت البارحة من الخير ؟ فقالت : ما فعلت شيئا إلا أن سائلا كان يأتيني كل ليلة جمعة فيما مضى، وإنه جاءنا ليلتنا فهتف فلم يجب، فقال : عز علي أنها لا تسمع صوتي و عيالي يبقون الليلة جياعا، فقمت متنكرة فأنلته مقدار ما كنت أنيله فيما مضى، قال عيسى عليه السلام : تنحي عن مجلسك، فتنحت فإذا تحت ثيابها أفعي عاض على ذنبه، فقال : بما تصدقت صرف عنك هذا.

- كان المسيح عليه السلام يقول لاصحابه : إن كنتم أحبائي وإخواني فوطنوا أنفسكم على العداوة و البغضاء من الناس، فإن لم تفعلوا فلستم بإخواني، إنما أعلمكم لتعملوا، ولا أعلمكم لتعجبوا، إنكم لن تنالوا ما تريدون إلا بترك ما تشتهون، وبصبركم على ما تكرهون، وإياكم والنظرة فإنها تزرع في قلب صاحبها الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة. يا طوبى لمن يرى بعينيه الشهوات ولم يعمل بقلبه المعاصي، ما أبعد ما قد فات وأدنى ما هو آت ! ويل للمغترين لو قد آزفهم ما يكرهون، وفارقهم ما يحبون، و جاءهم ما يوعدون، في خلق هذا الليل والنهار معتبر، ويل لمن كانت الدنيا همه، والخطايا

عمله، كيف يفتضح غدا عند ربه ؟ ولا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون، لا تنظروا إلى عيوب الناس كأنكم رثايا عليهم، ولكن انظروا في خلاص أنفسكم فإنما أنتم عبيد مملوكون، إلى كم يسيل الماء على الجبل لايلين ؟ ! إلى كم تدرسون الحكمة لايلين عليها قلوبكم ؟ ! عبيد السوء فلا عبيد أتقياء،انظروا في خلاص أنفسكم فإنما أنتم عبيد مملوكون، إلى كم يسيل الماء على الجبل لايلين ؟ ! إلى كم تدرسون الحكمة لايلين عليها قلوبكم ؟ ! عبيد السوء فلا عبيد أتقياء، ولا أحرار كرام، إنما مثلكم كمثل الدفلى يعجب بزهرها من يراها، ويقتل من طعمها. والسلام.

- قال عيسى عليه السلام : بحق أقول لكم : كما نظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجده من حلاوة الدنيا. بحق أقول لكم : كما أن الدابة إذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت وبنصب العبادة تقسو وتغلظ. وبحق أقول لكم : إن الزق إذا لم ينخرق يوشك أن يكون

وعاء العسل، كذلك القلوب إذا لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسها النعيم فسوف تكون أوعية الحكمة.

- في الانجيل إن عيسى عليه السلام قال : اللهم ارزقني غدوة رغيفا من شعير، وعشية رغيفا من شعير، ولا ترزقني فوق ذلك فأطغى
- أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : أن كن للناس في الحلم كالارض تحتهم، وفي السخاء كالماء الجاري، وفي الرحمة كالشمس والقمر فإنهما يطلعان على البر والفاجر
- قال عليه السلام : من ذا الذي يبني على موج البحر دارا ؟ تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا.
- قال عليه السلام : هول لا تدري متى يغشاك لم لا تستعد له قبل أن يفجأك.
- قيل له عليه السلام : من أدبك ؟ قال : ما أدبني أحد، رأيت قبح الجهل فجانبته.
- قال عليه السلام : لا تدري متى يغشاك الموت لم لا تستعد له ؟
- وقال عليه السلام : طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود لم يره



- قال عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا، اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة.
- قال عليه السلام : يا معشر الحواريين إني قد أكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي، فإن من خبث الدنيا أن عصي الله فيها، وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها، فاعبروا الدنيا ولا تعمروها، واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا، ورب شهوة أورثت أهلها حزنا طويلا.
- قال عليه السلام : إني بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها، فلا ينازعنكم فيها إلا الملوك والنساء، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لم يتعرضوا لكم ما تركتم دنياهم، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة
- قال عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد.
- قيل له عليه السلام : لو اتخذت بيتا، قال : يكفينا خلقان من كان قبلنا.



- روي أن عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد يوما، فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه، فرفعت له خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذ هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذ هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال : إلهي لكل شئ مأوى، ولم تجعل لي مأوى، فأوحى الله تعالى إليه : مأواك في مستقر رحمتي، وعزتي لازوجنك يوم القيامة مائة حورية خلقتها بيدي، ولاطعمن في عرسك أربعة آلاف عام، يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرن مناديا ينادي : أين الزهاد في الدنيا ؟ احضروا عرس الزاهد عيسى بن مريم.
- قال عيسى : ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها، ويأمنها وتغره، ويثق بها وتخذله، ويل للمغترين كيف رهقهم ما يكرهون ؟ وفارقهم ما يحبون ؟ وجاءهم ما يوعدون ؟ وويل لمن الدنيا همه، والخطايا أمله، كيف يفتضح غدا عند الله
- قيل لعيسى عليه السلام : علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه، قال : أبغضوا الدنيا يحببكم الله.



- روي أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء، عليها من كل زينة، فقال لها : كم تزوجت ؟ فقالت : لا أحصيهم، قال : وكلهم مات عنك أو كلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم قتلت، فقال عيسى عليه السلام : بؤسا لازواجك الباقين كيف تهلكهم واحدا واحدا ولم يكونوا منك على حذر.
- أوحى الله تعالى إلى عيسى : إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك.
- بينما عيسى بن مريم عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويثير الارض، فقال عيسى عليه السلام : اللهم انزع منه الامل، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة، فقال عيسى : اللهم اردد إليه الامل، فقام فجعل يعمل، فسأله عيسى عن ذلك فقال : بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي : إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير ؟ فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي : والله لابد لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي.

- قال عليه السلام : بماذا نفع امرؤ نفسه ؟ باعها بجميع ما في الدنيا ثم ترك ما باعها به ميراثا لغيره وأهلك نفسه، ولكن طوبى لامرئ خلص نفسه واختارها على جميع الدنيا.
- روي أنه عليه السلام ذم المال وقال : فيه ثلاث خصال، فقيل : وماهن يا روح الله ؟ قال : يكسبه المرء من غير حله، وإن هو كسبه من حله منعه من حقه، وإن هو وضعه في حقه شغله إصلاحه عن عبادة ربه.
- كان عليه السلام إذا مر بدار قد مات أهلها وخلف فيها غيرهم يقول : ويحا لأربابك الذين ورثوك كيف لم يعتبروا بإخوانهم الماضين.
- كان يقول : يا دار تخربين وتفنى سكانك، ويا نفس اعملي ترزقي، ويا جسد انصب تسترح.
- كان عليه السلام يقول : يا ابن آدم الضعيف اتق ربك، وألق طمعك، وكن في الدنيا ضعيفا، وعن شهوتك عفيفا، عود جسمك الصبر، وقلبك الفكر، ولا تحبس لغد رزقا فإنها خطيئة عليك، وأكثر حمد الله على الفقر فإن من العصمة أن لا تقدر على ما تريد.

- قال عليه السلام : النوم على المزابل وأكل كسر خبز الشعير في طلب الفردوس يسير.
- كان عليه السلام يقول : يا معشر الحواريين تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم،والتمسوا رضاه بسخطهم.
- قال عليه السلام لأصحابه : استكثروا من الشئ الذي لا تأكله النار، قالوا : وما هو ؟ قال : المعروف.
- تمثلت الدنيا لعيسى عليه السلام في صورة امرأة زرقاء، فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت : كثيرا، قال : فكل طلقك ؟ قالت : بل كلا قتلت، قال : فويح أزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين ؟
- كان عيسى عليه السلام يقول : هول لا تدري متى يلقاك ما يمنعك أن تستعد له قبل أن يفجأك؟
- قال عيسى عليه السلام : اشتدت مؤونة الدنيا ومؤونة الآخرة، أما مؤونة الدنيا فإنك لا تمد يدك إلى شئ منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليها، وأما مؤونة الآخرة فإنك لاتجد أعوانا يعينونك عليها.
- قال عيسى بن مريم عليه السلام : من كثر كذبه ذهب بهاؤه.

- اجتمع الحواريون إلى عيسى عليه السلام فقالوا له : يا معلم الخير أرشدنا، فقال لهم : إن موسى كليم الله عليه السلام أمركم أن لا تحلفوا بالله تبارك وتعالى كاذبين، وأنا آمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين، قالوا : يا روح الله زدنا، فقال : إن موسى نبي الله عليه السلام أمركم أن لا تزنوا، وأنا آمركم أن لا تحدثوا أنفسكم بالزنا فضلا عن أن تزنوا، فإن من حدث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوق فأفسد التزاويق الدخان وإن لم يحترق البيت.
- قالت الحواريون لعيسى : يا روح الله من نجالس ؟ قال : من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله.
- كان المسيح عليه السلام يقول : لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فإن الذين يكثرون الكلام قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون.

الملاحق



ملحق رقم (١)

ذكر المسيح في القرآن بخمس صيغ متعددة وهي:

الأولى: عيسى بن مريم : (البقرة ٨٧، ٢٥٣) (المائدة ٤٦، ١١٦،١١٤،١١٢،١١،٧٨) (الأحزاب ٧) (الحديد) (الصف١٤،٦)

الثانية: المسيح عيسى بن مريم: (آل عمران ٤٥) (النساء١٥٧، ١٧١).

الثالثة: المسيح: (البقرة٣٦) (آل عمران٥٢، ٥٥، ٥٩، ٨٤)(النساء٧١، ١٥٧، ١٦٣)(الأنعام٨٥) (مريم ٣٤، ٥٨) (الشورى ١٣) .

الرابعة: المسيح بن مريم: (التوبة٢٩، ٣٠) (المائدة ٢١٧، ٧٢، ٧٥).

الخامسة: ابن مريم: (الزخرف ٦٣) (المؤمنون ٥٠) .

ملحق رقم (٢)

ذكر مريم في القرآن

ذكرت مريم منفردة في القرآن ثمان مرات وكما يلي:

(آل عمران ٣٦، ٤٤) (النساء ١٥٦، ١٧١)(مريم ١٦، ٣٤) (التحريم١٢) (المؤمنون٥٠) .

وخصائص مريم في القرآن كما أوردتها الآيات الكريمة:

إنها محصنة وآية للعالمين مع ابنها، ومصدقة بكلمات الله وكتبه، ومن القانتين وساجدة وراكعة ومبشرة ومقرورة العين ومصطفاة ومطهرة ومختارة .

ملحق رقم (٢)

نسب يوسف حسب متي

١. داود الملك ولد سليمان من التي لأوريا.

٢. وسليمان ولد رحبعام. ورحبعام ولد ابيا. وابيا ولد آسا.

٣. وآسا ولد يهوشافاط. ويهوشافاط ولد يومرام. ويورام ولد عزيا.

٤. وعزيا ولد يوثام. ويوثام ولد آحاز. وآحاز ولد حزقيا.

٥. وحزقيا ولد منسى. ومنسى ولد آمون. وآمون ولد يوشيا.

٦. ويوشيا ولد يكنيا واخوته عند سبي بابل .

٧. وبعد سبي بابل، يكنيا ولد شألتيئيل. وشألتيئيل ولد زربابل .

٨. وزربابل ولد ابيهود . وابيهود ولد الياقيم. والياقيم ولد عازور

٩. وعازور ولد صادوق. وصادوق ولد اخيم. واخم ولد اليود .

١٠. واليود ولد أليعازر وأليعازر ولد متان. متان ولد يعقوب.

١١. ويعقوب ولد يوسف .

ملحق رقم (٤)

نسب يوسف حسب لوقا

١. يوسف بن هالي.

٢. بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينّا بن يوسف.

٣. بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاي.

٤. بن مآث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا .

٥. بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شألتيئيل بن نيري .

٦. بن ملكي بن أدي بن قصم بن ألمودام بن عير .

٧. بن يوسي بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوي .

٨. بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن ألياقيم .

٩. بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود .

المحتوى

ABRIDGED

OF

History

JESUS

BY

ABBAS ABDUL SAADA